علم التفسير

أصوله ومناهجه

د. محمد عفيف الدين دمياطي
رملي الإندونيسي

خويدم القرآن والعلم
بمعهد دار العلوم للدراسات الإسلامية
بجومباغ

دار الصالح

علم التفسير

أصوله ومناهجه

د. محمد عفيف الدين دمياطي
رملي الإندونيسي

دار الصالح

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الثانية
١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

رقم الإيداع
٢٥٥١٢ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي ٤-٩١-٦٥٥٢-٩٧٧-٩٧٨

8 ش أبي البركات الدردير - خلف الأزهر الشريف - القاهرة
هاتف: 00201068307973 - 00201120747478
e-mail: darassaleh88@yahoo.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

مُقَدِّمَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله منزل الكتاب، ومُجري السحاب، ومعلم العلوم والآداب، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على رسولنا المصطفى محمد بن عبد الله، أمين وحي الله، والمستنير بخزائن علم الله، ومُبلّغه للأمة والناس كافة، وعلى آله وصحبه الهادين المهتدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن أفضل ما اشتغل به الباحثون، وأحسن ما تسابق فيه المتسابقون، وأحق ما أعملتْ فيه الأفكار، وخير ما أفنيت فيه الأعمار بحثا عن علومه وكشفا عن حقائقه، وبُذِلت فيه الأوقات دراسة وتدريسا لنفي الشكوك والرِيَبِ عنه، وصرفت فيه الجهود حفظا وتلاوة دفاعا عن ساحته، كتابُ الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ فهو حبل الله المتين وصراطه القويم.

ولقد تسابق الفصحاء والبلغاء والحكماء والشعراء في وصف هذا الكتاب العزيز وذِكر محاسنه وفضائله. فالكرامة والهداية والشفاء والرحمة والهيمنة والتمام والحفظ والصدق، كل هذه وغيرها أوصاف كريمة حملتها آياته العالية، وقد جاءت آية واحدة تطوي كل هذه الأوصاف في ثنايا جلال ومهابة، وذلك قوله تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وإذا ولّينا وجوهنا بعد ذلك شطر السنة المطهرة من مروياتها في فضائل القرآن لنجد الكثير، فهو شافع لا ترد شفاعته إذا اشتد الهول، فقد روى الإمام مسلم عن أبي أُمامة الباهِلِيّ رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يقول: "اقرءوا القرآن فإنّه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزّهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنّهما تأتيان يوم القيامة كأنّهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنّهما فرقان من طيرٍ صوافّ، تحاجّان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة، فإنّ أخذها بركةٌ، وتركها حسرةٌ، ولا تستطيعها البطلة".[1]

ولم نجد واصفا وصف القرآن بأبلغ وأوفى من وصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فقد روى الإمام الترمذي بسنده عن الحارث الأعور، قال: مررْت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليّ، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث ؟، قال: أوَ قَدْ فعلوها ؟، قلت: نعم، قال: أمَا إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ألا إنها ستكون فتنة، فقلت : ما المخرج منها يا رسول الله ؟، قال : كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلُق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن : ١-٢]، مَن قال به صدق ومن عَمِل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم، خُذها إليك يا أعور".[2]

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، انظر: مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الجزء 1، ص 553.

[2] أخرجه الترمذي في باب ما جاء في فضل القرآن. انظر : أبو عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف ، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، الجزء ٥، ص ١٧٢.

فالقرآن الكريم بحر لا يدرك غوره، ولا تنفد دُرَرُه، ولا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معارفه ولا تستقصى علومه، كلما قرأه المسلم وتدبره ازداد شوقا إليه، هو المعجزة الخالدة على مر الدهور والأزمان، أنزله الله على نبينا ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم، فبلغ صلى الله عليه وسلم كلام ربه كما أنزل عليه وأدى الأمانة كاملة، واجتهد في نصح الأمة حق الاجتهاد، وجاهد في الله حق جهاده، فما أحق الأعمار أن تُفنى فيه، والأزمان أن تُشغل به، فالسعيد من صرف همته إليه ووقف فكره وعزمه عليه والموفق من وفقه الله لتدبره واصطفاه للاشتغال به، فكل ساعة يقضيها الباحث سواء بالنظر في كتاب الله، أو التأمل فيه أو في البحث فيما يتصل به، فهو في سبيل الله.[1]

ومن أجل ذلك عرف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قدرَه فحرصوا أشد الحرص على حفظ كتاب الله ومدارسته والعمل به، وأصبح حجر الزاوية في كيان الأمة الإسلامية حتى عرفت به أقدار الرجال، وقدم أهله في كل موقع بل وجعل مهورا للنساء، وكان معيار التفاضل بينهم إذا تفاضل غيرهم بالدرهم والدينار أو بالجاه والحسب.

ولقد توارثت أجيال المسلمين عبر تاريخهم هذا الاهتمام بأمر القرآن، ومن ثم حظي بالنصيب الأوفى من المؤلفات والدراسات التي تهدف إلى التمكين له في قلوب المسلمين وعقولهم حفظا وتلاوة، وفهما ودراسة وتفسيرا. وذلك منذ فجر عصر التدوين للعلوم الإسلامية في قرون الإسلام الأولى، فتتابع التصنيف في علم التفسير، وكثرت فيه المؤلفات، ومع الأيام تعددت تلك التفاسير في الاتجاهات والمناهج والأساليب رغم وحدة الموضوع.

وهذا الكتاب الذي أقدمه إنما هو جامع لأشتات المواد التي تتعلق بعلم التفسير وأصوله ومناهجه، والذي يحاول أن يبين للدارسين الاتجاهات والمناهجَ والأساليب

[1] انظر : محمد بن محمد أبو شهبة، مدخل لدراسة القرآن الكريم، القاهرة، مكتبة السنة، ٢٠٠٣ م، -مقدمة-.

التي انتهجها المفسرون في تفاسيرهم، ويقدم لهم القواعدَ والأدواتِ لتفسير صحيح للقرآن الكريم بطريقة منهجية علمية.

وبما أني قمتُ بتدريس هذه المادة بقسم التفسير وعلوم القرآن في بعض الجامعات الإندونيسية، فإني قد اخترتُ بعض المباحث التي أرى أنها مهمة وضرورية لفهم هذا العلم والتمكن من مسائله. ولا يزال هناك بعض المباحث التي لا أحرر مسائلها، فأرجو من الله أن ييسر لي وللباحثين الآخرين تناول ذلك - فيما بعد -، إنه خير مسؤول.

وقد حاولتُ أن أكتب مباحث هذه المادة بأسلوب سهل يناسب الطلاب والدارسين؛ معززا مسائلها بالأمثلة والشواهد الموضحة لها، وإن كان بعضها قد يخلو، مستدلا عليها بأقوال العلماء والمفسرين. راجيا من الله العلي القدير أن يجعلها لبنة صالحة في صرح ذلك المجال من مجالات الدراسات القرآنية.

وإلى هذا، قصدتُ، فإذا انجلى قصدي عن صواب فالفضل فيه لله وحده وأبرأ إليه من كل حول، وإن كان غير ذلك فما أردت إلا الحق، والله سبحانه وتعالى أسأل أن يغفر لي ولوالديّ ولأولادي ولمشايخي ولجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، إنه غفور رحيم.

جومبانج إندونيسيا ٢٠١٦

محمد عفيف الدين دمياطي

بسم الله الرحمن الرحيم

مبادئ في علم التفسير

العلم سبب في مرضاة الله تعالى، وسبب في الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وهو سبب لتقويم السلوك وتهذيب النفوس، وهو سبب لمن أخلص النية في طلبه وتطبيقه في النجاة من الشرور على اختلاف أنواعها وأجناسها.

وينبغي لكل طالب علم أن يبدأ بمقدمات يتعرف فيها على مبادئه، وهي الأصول والقواعد الخاصة به، فلا وصول لمن حرم الأصول. ولا شك أن من أهم ما يعنى به طالب العلم هو علم التفسير بعد حفظ كتاب الله عز وجل. فضبط طالب علم التفسير لمبادئ التفسير وما يتعلق بها من الأصول والقواعد والمناهج ييسر عليه فهم المسائل والموضوعات في هذا الفن، ويعينه في إرجاع كل فرع إلى أصله، وذلك لارتكازه على ركن شديد فلا بيت لمن لا أساس له، ولا نظم لمن لا وزن عنده.

معنى التفسير:

التفسير كما قال أهل اللغة مأخوذ من "الفسر" بمعنى : الكشف والإبانة، قال صاحب القاموس: الفسر هو الإبانة وكشف المغطى كالتفسير.[1] وقال الراغب

[1] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، بيروت، دار الفكر، ج ٢، ص ١١٤.

الأصفهاني: الفَسْر، والسَفْر متقاربا المعنى كتقارب لفظيهما، والفرق بينهما أنّ الأوّل يستعمل في إظهار المعنى المعقول، كقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. أي أحسن تبييناً، ومنه قيل لما ينبّئ عنه البول تفسرة، وتسمى بها قارورة الماء. والثاني يُستعمل في إبراز الأعيان للأبصار، فقيل: أسفر الصبحُ، أو سفرتْ المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح، وسفرت البيت: إذا كنسته.[١]

أمّا التفسير في الاصطلاح فقد عرفه البعض بأنه: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. وبعبارة أُخرى، هو إزالة الخفاء عن دلالة الآية على المعنى المقصود.

وقد عرفه أبو حيان بأنه: علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب وتتمات لذلك كمعرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح ما أبهم في القرآن ونحو ذلك.[٢]

وعرفه آخرون بأنه: علم نزول الآيات وشئونها وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابها، وناسخها ومنسوخها، وعامها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسَّرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها وأمثالها.[٣]

وأما الزركشي فعرّفه بقوله: علم يعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمّد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه.[٤]

ولا تخفى في هذه التعريفات الاصطلاحية أن العلاقة قائمة بين مضمونها وبين ما وضع له لفظ الفسر في اللغة من الكشف والإبانة، لأن ما ورد في التعريف

---

[١] أبو القاسم الراغب الأصفهاني، **مقدمة جامع التفاسير**، تحقيق وتعليق: د. أحمد حسن فرحات، الكويت، دار الدعوة، ١٤٠٥، ص ٤٧.

[٢] أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ج ١، ص ٢٦.

[٣] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة، مكتبة مصر، ص ٥٤٤.

[٤] بدر الدين الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، بيروت، دار المعرفة، الجزء ١، ص ٣٣.

الاصطلاحي إنما هو محاولة الكشف والبيان للنص القرآني من حيث معناه ومدلولاته من جهة، وملابسات نزوله من جهة أخرى.

ويمكن القول مما تقدم إن التفسير هو: علم يبتغى به التوصل إلى معرفة مراد الله تعالى فيما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم على قدر الطاقة البشرية.

فائدته :

وفائدة هذا العلم التذكر والاعتبار ومعرفة هداية الله في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق ليفوز الأفراد والمجتمع بخير العاجلة والآجلة، وذلك بعد معرفة مراتب الحجج والأدلة من آيات القرآن وكشفها وتوضيح معانيها، وإدراك مواطن عبرها إلى غير ذلك على وجه الصحة والدقة العلمية.

موضوعه ومسائله :

وموضوع التفسير هو كلام الله سبحانه المسمّى بالقرآن الكريم، وأمّا مسائله فهي ما يستظهر من الآيات بما أنّه مراده سبحانه وتعالى.

غرضه :

وأمّا الغرض من التفسير فهو الوقوف على مراده سبحانه في القرآن الكريم، وتوضيح آياته وكشف معانيها وتبيين أحكامها وحكمها، للوصول إلى حقيقة كتاب الله واستنباط الأحكام الشرعية منه، للحصول على سعادتي الدنيا والآخرة.

شرفه وفضله :

وشرف العلم باعتبار موضوعه وغايته؛ فهو أشرف العلوم وأعظمها. وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الشرعية الثلاثة. قال الأصبهاني: أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن الكريم؛ ذلك أن

شرف الصناعة يكون إما بشرف موضوعها أو بشرف غرضها أو بشدة الحاجة إليها، والتفسير قد حاز الشرف من الجهات الثلاث فموضوعه كلام الله تعالى، والغرض منه الوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.[١] وقال الطبري مبيناً فضل هذا العلم: "اعلموا عباد الله أن أحق ما صرفت إلى علمه العناية وبلغت في معرفته الغاية ما كان لله في العلم به رضا وللعالم به إلى سبيل الرشد هدى وأن أجمع ذلك لباغيه كتاب الله الذي لا ريب فيه وتنزيله الذي لا مرية فيه الفائز بجزيل الذخر وسنى الأجر تاليه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد".[٢]

حاجة القرآن إلى التفسير:

من المعروف لدى العلماء أن القرآن غير غني عن التفسير، إمّا من جانب نفسه كتبيين معنى آية بأُختها، أو تبيينه بكلام مَنْ نزل على قلبه. يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٤٤]. ولم يقل "لتقرأ" بل قال : ﴿لتُبَين﴾ إشارة إلى أنّ القرآن يحتاج بعد قراءة النبي، إلى تبيين، فالقرآن يحتاج إلى التفسير بأحد الطريقين: تفسير الآية بالآية، أو تفسيرها بكلام النبي صلى الله عليه وسلم.

والحقائق التى تكشف عن حاجة القرآن إلى التبيين أُمور، نذكر منها ما يلي:

١. إنّ أسباب النزول لآيات القرآن، تمثل قرائن حالية اعتمد المتكلم عليها في إلقاء كلامه بحيث لو قطع النظر عنها، وقُصِّر إلى نفس الآية، لصارت الآية مجملة غير مفهومة، ولو ضمّت إليها تكون واضحة شأن كل قرينة منفصلة عن الكلام، مثل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ

[١] السيوطي، المصدر السابق، ص ٥٤٦.

[٢] أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م، الجزء ١، ص ٦.

ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة : ١١٨]، فبالرجوع إلى أسباب النزول يتضح معنى الآية ولا إبهام فيه.

٢. إنّ في القرآن مجملات كالصلاة والصوم والحجّ لا يفهم منها إلاّ معاني مجملة، غير أنّ السنّة كافلة لشرحها، فلا غنى للمفسّر عن الرجوع إليها في تفسير المجملات.

٣. إنّ في القرآن آيات متشابهة غير واضحة المراد في بدء النظر، وربما يكون المتبادر منها في بدء الأمر غيرَ ما أراد الله تعالى، وإنّما يُعلم المراد بردها إلى المحكمات حتى تفسّر بها. قال تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾ [آل عمران : ٧].

٤. إنّ القرآن المجيد نزل منجّماً، بهدف تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم طيلة عهد الرسالة. قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان : ٣٢]، فتدريج النزول يقتضي تفريق الآيات الباحثة عن موضوع واحد في سور مختلفة، والقضاء في موضوع واحد يتوقف على جمع الآيات المرتبطة به في مكان واحد حتى يستنطق بعضها ببعض، ويستوضح بعضها ببعض آخر.[١]

الفرق بين التفسير والتأويل :

التأويل في اللغة: مرادف للتفسير في أشهر معانيه اللغوية قال صاحب القاموس أوّل الكلام تأويلا وتأوله دبره وقدره وفسره ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عمران : ٧]. وكذلك جاءت آيات كثيرة فيها لفظ التأويل ومعناه في جميعها البيان والكشف

١ جعفر السبحاني، **المناهج التفسيرية في علوم القرآن**، قم، مؤسسة الإمام الصادق، ١٤٣٢ هـ، ص ١٤-١٥ بتصرف.

والإيضاح. وقد اختلف العلماء في تحديد معنى التأويل في الاصطلاح:

فبعضهم يرى أنه مرادف للتفسير وعلى هذا فالنسبة بينهما التساوي ويشيع هذا المعنى عند المتقدمين ومنه قول مجاهد إن العلماء يعلمون تأويله يعني القرآن وقول ابن جرير في تفسيره القول في تأويل قوله تعالى: كذا واختلف أهل التأويل في هذه الآية. ويُنسَب هذا القول إلى أبي عبيدة وطائفة[١].

وبعضهم يرى أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط ويجعل التفسير أعم مطلقا وكأنه يريد من التأويل بيان مدلول اللفظ بغير المتبادر منه لدليل ويريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقا، قاله الراغب.

وبعضهم يرى أن التفسير مباين للتأويل، فالتفسير هو القطع بأن مراد الله كذا والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع وهذا هو قول الماتريدي. أو التفسير بيان اللفظ عن طريق الرواية والتأويل بيان اللفظ عن طريق الدراية. أو التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة. أو التفسير إخبار عن دليل المراد والتأويل إخبار عن حقيقة المراد؛ لأن اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل؛ مثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، تفسيره أنه من الرصْد، يقال: رصدته رقبته، والمرصاد مِفعال منه، وتأويله التحذير من التهاون بأمر الله والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض عليه.[٢]

أصول التفسير؛ معناها وموضوعها وغايتها وفائدتها:

الأصل في اللغة: أسفل الشيء، وأصول التفسير هي الأسس والمقدمات العلمية التي تعين في فهم التفسير، وما يقع فيه من الاختلاف، وكيفية التعامل معها،[٣] ويدور محور الدراسة في هذا العلم بين أمرين، كيف فُسِّر القرآن، وكيف نفسر القرآن؟.

---

[١] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة، مكتبة مصر، ص ٥٤٣.

[٢] المصدر السابق، ص ٥٤٣.

[٣] مساعد بن سليمان الطيار، **فصول في أصول التفسير**، الدمام، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩ م، ص ١١.

ففي الأولى يكون الرجوع إلى تفاسير المفسرين السابقين ومعرفة مناهجهم، وطرقهم فيها، خاصة تفاسير السلف التي تُعد العمدة في هذا العلم. وفي الثانية يكون الاعتماد على ما قُعِّد من أصول في تفاسير السابقين، لكي يُعتمد الصحيح في التفسير ويُتجنّب الخطأ فيه.[١]

وموضوع أصول التفسير هو علم التفسير من حيث التعريف به وتاريخه ومصادره وقواعده وأسسه وأقسامه وطرقه واتجاهاته ومناهجه وأساليبه والإجماعات في التفسير وأسباب الاختلاف فيه وأنواعه ونحو ذلك.

وغاية هذا العلم ضبط التفسير بوضع القواعد الصحيحة والطرق السليمة والمناهج السديدة للتفسير والشروط المحكمة والآداب الفريدة للمفسر.

وفوائد علم أصول التفسير كثيرة، لا يمكن حصرها ومن أهمّها :[٢]

١ - التزود بالثقافة العالية من المعارف القيمة والتسلح بسلاح العلم والمعرفة للدفاع عن القرآن الكريم ضد الأعداء الذين يبذلون وسعهم لتحريف معاني القرآن والإلحاد فيه.

٢ - معرفة الطرق الصحيحة لتفسير القرآن الكريم وما يُقبل منها وما يُردّ ومعرفة من يصح تلقي التفسير عنه، ومن لا يصح تفسيره للقرآن.

٣ - معرفة القواعد التي تعين على فهم كتاب الله تعالى فهما صحيحا حتى يبنيَ المسلم عقيدته على قاعدة ثابتة.

٤ - الاطلاع على الجهود العظيمة التي بذلها علماء السلف للمحافظة على القرآن الكريم لفظا ومعنى، ومن ثم الاقتداء بهم في ذلك والسير على نهجهم.

---

[١] المرجع السابق، ص ١١.

[٢] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، الرياض، مكتبة جامعة الملك سعود، ٢٠١٣ م، ص ١٨-١٩.

شروط التفسير

من المعلوم أنه ما من علم من علوم الدين والدنيا إلا وقد اشترط أهله له شروطا. فللفقهاء شروطهم وآدابهم، وللغويين شروطهم وآدابهم، والمفسرون أولى وأحرى بأحسن الآداب وأقوى الشروط التي تضمن سلامة المعنى وصيانة القرآن من أن يكون عرضة للأهواء واللعب وعدم الاهتمام.

معنى شروط التفسير:

يقصد بشروط التفسير هي الأسس والمباني الفكرية والعقائدية التي لا بد أن يقوم عليها التفسير من أجل أن يكون تفسيرا صحيحا للقرآن الكريم.

شروط المفسر:

لا بدّ للمفسِّر من شروط ومؤهِّلات ومهارات ينطلق منها ويعتمد عليها تساعده على القيام بتلك المهمّة الجليلة. وفيما يتعلق بهذا الصدد، لقد ذكر الراغب الأصفهاني في ״مقدّمة جامع التفاسير״ الشروط التي لا بد أن تتوفر للمفسر وهي ما يلي :

الأوّل : معرفة الألفاظ، وهو علم اللغة.

الثاني : معرفة مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، وهو الاشتقاق.

الثالث : معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية والتعاريف والإعراب، وهو النحو.

الرابع : معرفة ما يتعلّق بذات التنزيل، وهو معرفة القراءات.

الخامس : معرفة ما يتعلّق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، وشرح الأقاصيص التي تنطوي عليها السور من ذكر الأنبياء عليهم السلام والقرون الماضية، وهو علم الآثار والأخبار.

السادس : ذكر السنن المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعمّن شهد الوحي ممن اتّفقوا عليه وما اختلفوا فيه ممّا هو بيان لمجمل أو تفسير لمبهم، المنبأ عنه بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل : ٤٤]، وبقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام : ٩٠]، وذلك علم السنن.

السابع : معرفة الناسخ والمنسوخ، والعموم والخصوص، والإجماع والاختلاف، والمجمل والمفصّل، والقياسات الشرعية، والمواضع التي يصحّ فيها القياس والتي لا يصحّ، وهو علم أُصول الفقه.

الثامن : أحكام الدين وآدابه، وآداب السياسات الثلاث التي هي سياسة النفس والأقارب والرعية مع التمسك بالعدالة فيها، وهو علم الفقه والزهد.

التاسع : معرفة الأدلّة العقلية والبراهين الحقيقية والتقسيم والتحديد، والفرق بين المعقولات والمظنونات، وغير ذلك، وهو علم الكلام.

العاشر : علم الموهبة، وذلك علم يورثه الله مَنْ عَمِلَ بما علم.

فجملة العلوم التي هي كالآلة للمفسر، ولا تتم صناعة إلاّ بها، هي هذه العشرة: علم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والسير، والحديث، وأُصول الفقه،

وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة. فمن تكاملت فيه هذه العشرة واستعملها خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه.[١]

هذا نصّ كلام الراغب الأصفهاني، وقد ذكر أُمّهات الشرائط التي ينبغي على المفسر التحلّي بها، والنقطة المهمة في كلامه هو ما ذكره في الشرط العاشر وهو علم الموهبة.

وقد كان للإمام جلال الدين السيوطي كلام نفيس في شروط التفسير نذكره لما فيه من اللطافة، قال: "يجوز تفسيره [أي القرآن] لمن كان جامعا للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علما:

أحدها: اللغة لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

الثاني: النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره.

الثالث: التصريف لأنّ به تعرف الأبنية والصيغ.

الرابع: الاشتقاق لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادّتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما.

الخامس والسادس والسابع: المعاني والبيان والبديع، لأنّه يعرف بالأوّل خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى وبالثاني خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هي علوم البلاغة.

الثامن: علم القراءات لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراءات يترجّح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: أصول الدين بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

العاشر: أصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادي عشر: أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية

---

[١] الراغب الأصفهاني، **مقدمة جامع التفاسير**، الكويت، دار الدعوة، ص ٩٤-٩٦.

المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبيّنة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة وهو علم يورّثه الله تعالى لمن عمل بما علم وإليه الإشارة بحديث: "من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم".[١]

وبعد سرد أقوال العلماء في شروط المفسر وما ينبغي أن يتحلى به قبل التصدي لتفسير القرآن، يمكن في عصرنا الحاضر استخلاص علوم يتوقف عليها المفسر في فهم الآية وتبيينها، وهذه الشروط تأتي تحت عناوين خاصة، مع تفاصيلها:

١. الإحاطة بالعلوم اللغوية:

إنّ القرآن الكريم نزل باللغة العربية، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، فعلى الذي يريد التفسير أن يتوسع في معرفة علوم اللغة العربية، ومن أهم تلك العلوم:

أ. علم المفردات العربية ومدلولاتها:

علم المفردات العربية يعين المفسر في تعرف دلالات الألفاظ وغريب اللغة، ولقد كان المفسرون يستشهدون بالشعر العربي الجاهلي عند بيان المعنى اللغوي للكلمة من القرآن طبقا للاستعمال العربي الأصيل. وتفسير القرطبي مليء بالشواهد على الاستعمالات العربية للفظة القرآنية، وكان ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد من الشعر أو النثر على الاستخدام اللغوي لألفاظ القرآن.

---

[١] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص ٥٥٥-٥٥٦ باختصار.

ب. قواعد اللغة العربية :

لا بد للمفسر الإحاطة بقواعد اللغة العربية من النحو والصرف والاشتقاق، فلا بد له من اعتبار الإعراب لأن المعنى يتغير ويختلف باختلافه، والعلم بالصرف يعين المفسر على معرفة الأبنية والصيغ من الكلمات القرآنية حتى يتسنى له تحديد المعنى الصحيح منها، وأما الاشتقاق فيحتاج إليه المفسر لمعرفة مادة الكلمة وجذرها.

ج. علوم البلاغة :

إن من أعظم أركان شروط المفسر الإلمام بعلوم البلاغة بأقسامها الثلاثة: المعاني والبيان والبديع. وذلك لأن المفسر لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز، وذلك لا يُدرك إلا بها. فبعلم المعاني يعرف المفسر خواص تركيب الكلام من حيث إفادتها المعنى، وبعلم البيان يعرف خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبعلم البديع يعرف وجوه تحسين الكلام.[١]

٢. الإلمام بالعلوم المتعلقة بالتفسير:

وهي العلوم التي تخدم القرآن تفسيرا وبيانا، وقد أطلق العلماء على تسميتها علوم القرآن الكريم، وهي العلوم التي لا غنى عنها للمفسر لارتباطها الوثيق بالقرآن، ومن أهمها:

أ. علم القراءات :

يجب على المفسر الإلمام بأطراف من القراءات التي قد تختلف عن قراءاته التي يتلو بها القرآن؛ وذلك لما تمدنا به هذه القراءات من معان لا بد منها، كقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ قرأ بعضهم: فتثبّتوا. والتثبت يعطي المدى الذي يجب أن يكون عليه التبيّن واستكشاف الحقيقة. وحتى القراءات الشاذة

[١] خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٧م، ص ١٨٦.

ينبغي العلم بها، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾. نزلت في صيام رمضان لبيان حكم الإفطار فيه وما يجب على المفطر، وقد قرئ في الشواذ: وعلى الذين يُطَوَّقون. أي يُحْمَلون عليه ويتلقَّونه فلا يطيقونه بيسر، فهي تحدد نوع الطاقة، وهي التي تكون مع بذل أقصى الطاقة.[١]

ب. أسباب النزول :

من المعروف، أن من القرآن ما نزل ابتداء من غير سبب، ومنه ما نزل ليفصل في وقائع وقعت، والاشتغال بمعرفة ذلك من المهمات التي لها فوائد عديدة، منها:

أ- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

ب- تخصيص الحكم به عند مَن يرى أن العبرة بخصوص السبب.

ج- أن اللفظ قد يكون عامًّا ويقوم الدليل على تخصيصه، فلا يتناول التخصيص صورة السبب.

د- الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال، فمثلًا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [المائدة: ٩٣]. قد يفهم منه إباحة بعض المطعومات المحرمة ما دام المتناول تقيًّا مؤمنًا عاملًا للصالحات، فإذا عرف سبب النزول فُهم أنها نزلت لما سأل الصحابة عن مصير إخوانهم الذين ماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس ولم تكن قد حرمت؛ فأنزل الله الآية إشارة إلى أن مَن مات قبل التحريم فلا جناح عليه.

هـ- دفع توهم الحصر؛ فمثلًا قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]. وظاهر هذا حصر المحرمات في هذه الأمور، فإذا علم السبب وهو أن المشركين لما حرموا ما أحل الله وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة

[١] عبد المتعالي الجبري، **شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية**، القاهرة، دار الاعتصام، ص ٢٠.

والمحادة جاءت الآية مناقضة لغرضهم؛ فكأنه قال: لا حلال إلا ما حرمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه، نازلًا منزلة مَن يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فنقول: لا آكل اليوم إلا حلاوة. والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة؛ فكأنه قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من هذه الأصناف، ولم يقصد حل ما وراءها أو تحريمه؛ بل هو مسكوت عنه حتى جاءت آيات تضيف أصنافًا أخرى إلى هذه المحرمات.

و- التعرف على الاسم الذي نزلت فيه وتعيين المبهم فيها؛ مثل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، وهي خولة وزوجها سلمة بن الأكوع.[١]

ج. الناسخ والمنسوخ :

إنّ معرفة الناسخ والمنسوخ من الأهمية بمكان عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، وقد وردت آثار كثيرة في الحث على معرفته، فقد روي أن عليا رضي الله عنه مرّ على قاض فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، فقال: هلكتَ وأهلكتَ. وعن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحرامه وحلاله.[٢]

د. علم أصول التفسير:

وهو الذي يضبط التفسير، ويحول بين المفسر وبين الخطأ في الفهم والاستنباط، ويعين المفسر على أداء مهمته على الوجه الأفضل، وعلم أصول التفسير أحد العلوم التي قامت لخدمة القرآن الكريم، وهو بالنسبة إلى التفسير كعلم أصول الفقه بالنسبة للفقه وعلم أصول الحديث بالنسبة للحديث.

---

[١] محمد عبد المنعم القيعي، **الأصلان في علوم القرآن**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الرابعة، ١٩٩٦م، ص ١٣٤.

[٢] نقلا عن: مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، سورابايا، مكتبة الهداية، ص ٢٣٣-٢٣٤.

ومما يشتمل عليه هذا العلم: معرفة الأصول التي يدور عليها التفسير، وطرق التفسير، وطريقة السلف في التفسير، ومصادر التفسير، وأسباب الاختلاف في التفسير وأنواعه، وأساليب التفسير، وكليات القرآن، وقواعد الترجيح في التفسير.[١]

٣. الإحاطة بالعلوم الشرعية :

يجب على المفسر القدرة على اختيار أحسن الآراء، والمعرفة بمصادر الأدلة حتى يمكنه ترجيح رأي على رأي آخر، ولهذا يجب الإلمام والإحاطة بالعلوم الشرعية ومناهجها. ومن تلك العلوم:

أ. علم أصول الدين :

إن معرفة هذا العلم معرفةً صحيحة مبنية على منهج صحيح، مهمة لمن تصدى للتفسير، وبه يحترز المفسر من الوقوع في تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار والتكلف في تأويل الآيات وصرفها عن مرادها.

ب. الحديث وعلومه :

لا بد للمفسر أن يكون عارفا بالحديث وعلومه، مميّزا لصحيح الآثار من سقيمها، عالما بما ورد في السنة، مبينا للقرآن ومفصلا له. وذلك لأنّ أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مبيّنة لتفسير المجمل والمبهم، وهي التي يستعين بها المفسر على توضيح ما يشكل عليه، ولا يمكن فهم القرآن دون معرفة الأحاديث، فلا محيص للمفسر من الرجوع إليها عند تفسير الآية وفهمها. ولنذكر نموذجاً من تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، لمّا نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ [البقرة : ١٨٧]، قال له عدي بن حاتم: يا رسول الله، إنّي أجعل تحت وسادتي عقالين: عقالا أبيض وعقالا أسود، أعرف الليل من النهار، فقال رسول

[١] مساعد سليمان الطيار، المرجع السابق، ص ١٠ وما بعدها.

اللّه صلى الله عليه وسلم: "إنّ وسادتك لعريض، إنما هو سواد الليل وبياض النهار".[١]

ج. علم الفقه وأصوله :

ومعرفة المفسر بعلم الفقه وأصوله شرط لتأهيله العلمي، فلا بد له أن يعرف أقوال الفقهاء المعتبرين، ووجه استدلالهم واستنباطهم حتى لا يقع في الخطأ في الاستدلال والاستنباط وفهم الآيات.

٤. الإلمام بالعلوم الكونية والاجتماعية :

إن العلوم الكونية والاجتماعية والنفسية وكل ما خلق الله من معارف، لا بد للمفسر من الاطلاع عليها، فهي تعطينا شواهد تزيدنا يقينا بنسب القرآن إلى الله العليم الخبير، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[فصلت : ٥٣].

ولا شك أن حقائق العلوم المتنوعة التي سبق القرآن بتبيانها وسبيل الوصول إليها من تجارب ومعدات علمية لم تكن موجودة عند نزول القرآن، وما كان من الممكن للعرب أن يعرف تفاصيلها. وكل ذلك يزيدنا يقينا بأن القرآن من عند الله. وهي بهذا تؤكد لنا علم الله بالغيبيات وهيمنته على المخلوقات كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤].[٢]

٥. علم الموهبة :

يجب على المفسر أن يكون عاملا بما يعلم، فيتولد له من ذلك علم الموهبة، وهذا العلم يورثه الله تعالى لمن عمل بما يعلم، وقد أشار الله تعالى إليه بقوله سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وقد روى أبو نعيم في الحلية عن أنس

[١] أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب أن الدخول في الصيام يحصل بطلوع الفجر، انظر: مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الجزء ٢، ص ٧٦٦.

[٢] عبد المتعالي الجبري، المرجع السابق، ص ٢٢.

قال: قال رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: "من عمل بما علم، ورّثه الله علم ما لم يعلم".[١] وقال الإمام السيوطي: "ولعلك تستشكل علم الموهبة، وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان، وليس كما ظننتَ من الإشكال، والطريق إلى تحصيله: ارتكاب الأسباب الموجبة من العمل والزهد..."[٢].

آداب المفسر:

هناك آداب ينبغي أن يتحلى بها المفسر قبل التصدي للتفسير حتى يكون نموذجا صالحا لتطبيق كلام الله تعالى قولا وعملا تحدثت عنها الكتب بالتفصيل، وهي :[٣]

١- حسن النية وصحة المقصد : فإنما الأعمال بالنيات، والعلوم الشرعية أولى بأن يكون هدف صاحبها منها الخير العام، وإسداء المعروف لصالح الإسلام، وأن يتطهر من أعراض الدنيا ليسدد الله خطاه، ويتم الانتفاع بعلمه.

٢- حسن الخُلُق : فالمفسِّر في موقف المؤدِّب، ولا تبلغ الآداب مبلغها في النفس إلا إذا كان المؤدِّب مثالًا يُحتذى في الخُلُق والفضيلة، والكلمة النابية قد تصرف الطالب عن الاستفادة مما يسمع أو يقرأ وتقطع عليه مجرى تفكيره.

٣- الامتثال والعمل : فإن العلم يجد قبولًا من العاملين أضعاف ما يجد من سمو معارفه ودقة مباحثه - وحسن السيرة يجعل المفسِّر قدوة حسنة لما يقرره من مسائل الدين، وكثيرًا ما يصد الناس عن تلقي العلم من بحر زاخر في المعرفة لسوء سلوكه وعدم تطبيقه.

٤- تحري الصدق والضبط في النقل : فلا يتكلم أو يكتب إلا عن تثبت لما يرويه حتى يكون في مأمن من التصحيف واللَّحن.

٥- التواضع ولين الجانب : فالتكبر حاجز يحول بين العالِم والانتفاع بعلمه.

---

[١] جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت، دار الفكر، الجزء ٢، ص ١٢٣.

[٢] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص ٥٥٦.

[٣] مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، سورابايا، مكتبة الهداية، ١٩٧٣م، ص ٣٣١-٣٣٢.

٦- عزة النفس : فعلى العالِم أن يترفع عن سفاسف الأمور, ولا يغشى أعتاب الجاه والسلطان كالسائل المتكفف.

٧- الجهر بالحق.

٨- حسن السمت : الذي يُكسب المفسِّر هيبة ووقارًا في مظهره العام وجلوسه ووقوفه ومشيته دون تكلف.

٩- الأناة والروية : فلا يسرد الكلام سردًا بل يفصِّله ويُبِين عن مخارج حروفه.

١٠- تقديم من هو أولى منه : فلا يتصدى للتفسير بحضرتهم وهم أحياء، ولا يغمطهم حقهم بعد الممات، بل يرشد إلى الأخذ عنهم وقراءة كتبهم.

١١- حسن الإعداد وطريقة الأداء : كأن يبدأ بذكر سبب النزول - ثم معاني المفردات وشرح التراكيب وبيان وجوه البلاغة والإعراب الذي يتوقف عليه تحديد المعنى، ثم يبين المعنى العام ويصله بالحياة العامة التي يعيشها الناس في عصره، ثم يأتي إلى الاستنباط والأحكام.

تاريخ التفسير

من الأهمية بمكان الاهتمام بتاريخ التفسير والحفاظ عليه، ونقله إلى الأجيال نقلا صحيحا، بحيث يكون نبراسا وهاديا للدارسين في تعاملهم بتفسير كتاب الله، وذلك لأن التاريخ مرآة، يعكس ماضيه ويترجم حاضره ويستلهم من خلاله مستقبله.

وتاريخ التفسير يعين على معرفة المتعاصِرين من المفسرين، وهو يسجل الأحداث والوقائع والمراحل التي يمر عليها تفسير القرآن الكريم وما صاحبها من تغيرات في المناهج والطرق والأساليب.

ويمكن تقسيم تاريخ التفسير إلى عدة مراحل آتية :

المرحلة الأولى : التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

نشأ تاريخ التفسير منذ ظهور الإسلام الأول، وكان مصدره الوحي الإلهي الّذي عرّف الرسول صلى الله عليه وسلم كمفسِّرٍ للقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل : ٤٤]. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتمد على القرآن نفسه في التفسير، ومن هنا نشأت طريقة تفسير القرآن بالقرآن،

فهذا أعرابي يسأله صلى الله عليه وسلم عن معنى آية من القرآن، وهي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قائلا: أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ليس كما تظنّون، إنّما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾" [لقمان: ١٣]".[١] فمن هذا، يتبين لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يفسر لأصحابه معاني القرآن الكريم، كما يفسر لهم ألفاظه.

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا. ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة. وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَلَّ في أعيننا. وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين".[٢]

وقد فسر النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآن لتفصيل ما أُجمل فيه، وبيان ما أُبهم منه إمّا بياناً في أحاديثه الشريفة وسيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في جُلّ تشريعاته من فرائض وسنن وأحكام وآداب. وهكذا فكلُّ ما جاء في الشريعة من فروع أحكام العبادات والسنن والفرائض، وأحكام المعاملات، والأنظمة والسياسات، كلّ ذلك تفصيل لما أُجمل في القرآن الكريم من تشريع وتكليف.

وقد اختلف العلماء في مقدار ما فسّره الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فريقين:

الفريق الأول يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بيّن لأصحابه كل معاني القرآن كما بلّغهم ألفاظه، وقد عدّ بعضُ العلماء في مقدمة هؤلاء ابنَ تيمية حيث قال: "يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن كما

[١] أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، الجزء ٩، ص ١٨.

[٢] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **مقدمة في أصول التفسير**، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٦.

بيّن له ألفاظه".[١] وقد استدلّ هذا الفريق بأدلّة منها:[٢]

١- قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. والبيان يتناول الألفاظ والمعاني، وكما أنه يبيّن ألفاظه كلها فقد بيّن معانيه كلها.

٢- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا".[٣] قالوا: ولو كان المراد مجرد الحفظ لما احتاج إلا إلى زمن يسير فدلّ على أن المراد فهم المعاني.

٣- قالوا: إن كل كلام المقصود منه فهم معانيه، دون مجرد ألفاظه فالقرآن أولى، والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا في فنّ من العلم كالطبّ والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

الفريق الثاني يرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبيّنْ للصحابة إلا بعض معاني القرآن، ونسِب هذا الرأي إلى أبي عبيدة حيث قال: "إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين... فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن؛ فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه".[٤] وقد قال به الحُوبِّي، والسيوطي، والفخر الرازي، والشوكاني.

وأدلة هذا الفريق متمثلة فيما حكاه الإمام السيوطي عن الحويّي من كون الحكمة من ذلك أن يتفكّر عباد الله في كتابه المنزل،[٥] وفيما قرّره الإمام فخر الرازي من وجوب أن المحكم في القرآن مبيَّن لا يحتاج إلى بيان،[٦] وما قرّره الإمام السيوطي

---

[١] المصدر السابق، ص ٣٥.

[٢] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، القاهرة، مكتبة وهبة، ج ١، ص ٥٥.

[٣] أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، الجزء ١٠، ص ٥٠.

[٤] نقلا عن فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، الرياض، مكتبة جامعة الملك سعود، ٢٠١٣، ص ٢٣.

[٥] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة، مكتبة مصر، ص ٥٤٧.

[٦] محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥، الجزء العشرين، ص ٣٩.

من أن ما صحّ في التفسير عن الرسول صلى الله عليه وسلّم قليل، [١] وهو أمر تشهد له كتب السنّة الصحيحة.

هذا مجمل ما ذكره العلماء في مسألة المقدار الذي بينه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه من القرآن، وقد عرض لها الشيخ الدكتور محمد حسين الذهبي واختار التوسط بين الفريقين، وقال:

"والرأى الذى تميل إليه النفس - بعد أن اتضح لنا مغالاة كل فريق في دعواه وعدم صلاحية الأدلة لإثبات المُدَّعى - هو أن نتوسط بين الرأيين فنقول: إن الرسول صلى الله عليه وسلم بيَّن الكثير من معاني القرآن لأصحابه، كما تشهد بذلك كتب الصحاح، ولم يُبيِّن كل معاني القرآن، لأن مِن القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته كما صرّح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير، قال: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله".

وبدهي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفسِّر لهم ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب، لأن القرآن نزل بلغتهم، ولم يفسِّر لهم ما تتبادر الأفهام إلى معرفته وهو الذى لا يُعرف أحد بجهله، لأنه لا يخفى على أحد، ولم يفسِّر لهم ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وحقيقة الروح، وغير ذلك من كل ما يجري مجرى الغيوب التي لم يُطلع الله عليها نبيه، وإنما فسَّر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض المغيبات التي أخفاها الله عنهم وأطلعه عليها وأمره ببيانها لهم، وفسَّر لهم أيضاً كثيراً مما يندرج تحت القسم الثالث، وهو ما يعلمه العلماء يرجع إلى اجتهادهم، كبيان المجمل، وتخصيص العام، وتوضيح المشكل، وما إلى ذلك من كل ما خفي معناه والتبس المراد به".[٢]

---

[١] جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ص ٥٥٠.

[٢] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج ١، ص ٥٨-٥٩.

المرحلة الثانية : التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم :

من المتفق عليه أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفهمون القرآن في جملته؛ ظاهره وأحكامه، أما تفصيله ومعرفة دقائقه وأسراره كلها بحيث لا يغيب عنهم من ذلك شيء، فلم يكن ذلك أمرا ميسورا لهم لمجرد أن القرآن نزل بلغتهم، فمن جهةٍ لا يحيط باللغة إلا النبي المعصوم، ومن جهة أخرى هناك من معاني القرآن ومدلولاته ما لا يتوقف على مجرد معرفة اللغة بل لا بد من معرفة أمور أخرى من البحث والنظر وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم إن هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا في معرفة اللغة سواءً، بل كانوا يتفاوتون في ذلك، ومن ثَمّ تفاوتوا في فهمهم لكثير من معاني القرآن، بل تتفاوت مراتبهم، وقد أشكل على بعضهم ما زهر للبعض الآخر منهم، وهذا التفاوت يرجع إلى أسباب عديدة منها:[١]

١- تفاوتهم في أدوات الفهم كالعلم باللغة، فمنهم من كان واسع الاطلاع عليها متبحرا فيها، ملمّا بغريبها، ومنهم دون ذلك.

٢- تفاوتهم في ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحضور مجلسه، فقد كان بعض الصحابة أكثر ملازمة من غيره كأبي هريرة، ومنهم من كان مشغولا بالسعي في كسب الرزق، ومنهم المكثر من الحفظ كعبد الله بن عباس وغيره.

٣- تفاوتهم في معرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.

٤- تفاوتهم في العلم الشرعي، فلم يكونوا على درجة واحدة فيه، فمنهم من كان كثير الفُتيا، ومنهم المتوسط، ومنهم المقِلّ جدا.

٥- تفاوتهم في مداركهم العقلية من مثل الذكاء والفهم والحفظ، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من البشر، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يشتركون في قدر من العلم بالقرآن، إلا أن بعضهم كان يفوق البعض الآخر فيما زاد عن هذا القدر.

---

[١] ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، **معالم في أصول التفسير**، الرياض، دار الصميعي، ٢٠١٢، ص ٥٤-٥٦.

وفي صدد هذا، يقول الشيخ محمد حسين الذهبي: "ولو أننا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنهم لم يكونوا في درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم، وأشكل على بعضهم ما ظهر للبعض الآخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوُتهم في القوة العقلية، وتفاوتهم في معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي معناه على بعض الصحابة، ولا ضير في هذا، لأن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم ولم يدع أحد أن كل فرد من أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها".[١]

ومما يؤكد التباس الأمر في بعض مفردات القرآن على بعض كبار الصحابة رضي الله عنهم ما ذكره أبو عبيد في الفضائل، فقد أخرج عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ كلّ هذا قد علمناه، فما الأبّ؟ ثم ضرب بيده، ثم قال: لعمرك إن هذا لهو التكلف. وكذلك أخرج عن إبراهيم التيمي أن أبا بكر رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، فقال: أيّ سماء تظلني وأيّ أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. كما أخرج من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها. وكذلك ما أخرجه ابن جريج عن سعيد بن جابر أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ فقال: سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا، وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: لا والله لا أدري ما حنانا.[٢]

وخلاصة القول أن النبي صلى الله عليه وسلم قد كلف من قبل الله تعالى بأن بين للناس ما نزل إليهم، وأن الله تعالى قد تكفل بتعليمه ذلك ليكون على بينة من إجابة ما يتوجهون إليه من أسئلة، وأن الصحابة كانوا يواجهون من مشكلات القرآن ما يحتاج إلى بيان وتوضيح، وذلك كله أدى إلى نشأة علم التفسير، فكانت أصوله الأولى فيما دار من أسئلة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد.

[١] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، القاهرة، مكتبة وهبة، ج ١، ص ٣٨-٣٩.

[٢] جلال الدين السيوطي ، **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة، مكتبة مصر، ص ١٥٦.

وقد تصدّى عدد من الصحابة لتفسير القرآن على ضوء منهج النبي الذي يعتمد على المنهج النقلي، أي الاستناد إلى القرآن والروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في تفسير آيات القرآن فيما سألوه عنه. وكانت حصيلة ما تجمع لدى الصحابة رضي الله عنهم مما يتعلق بتفسير القرآن الكريم ترجع إلى ثلاثة أشياء:

أولها : ما بينه لهم النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً.

ثانيها : ما أجاب لهم النبي صلى الله عليه وسلم على أسئلتهم فيما أشكل عليهم.

ثالثها : معرفتهم لملابسات الوحي، من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ وغير ذلك، لمعايشتهم لها ووقوعها بين ظهرانيهم.

ومع تباعد العهد من عصر النبوة، اشتدت الحاجة إلى معرفة تفسير كثير من الآيات في القرآن. وقياما بتحقيق التوجيهات النبوية الكريمة المؤكدة على وجوب التبليغ من جهة، وفضل من يبلغ العلم من جهة أخرى، تصدى جمع من الصحابة لتفسير القرآن، وعرف عنهم ذلك، فقصدهم الناس للسؤال من الصحابة والتابعين، وأضافوا إلى حصيلتهم السابقة ما اجتهدوا في معرفته من معاني القرآن بأنفسهم، وهو ما يعرف بالمنهج العقلي الاجتهادي.

يقول الدكتور الذهبي: "ثم وجد من الصحابة من تكلم في تفسير القرآن بما ثبت لديه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بمحض رأيه واجتهاده، وكان ذلك على قلّة يرجع السبب فيها إلى الروعة الدينية التي كانت لهذا العهد، والمستوى العقلي الرفيع لأهله، وتحدد حاجات حياتهم العملية، ثم شعورهم مع هذا بأن التفسير شهادة على الله بأنه عنى باللفظ كذا".[1]

ويمكن إرجاع التفسير في عهد الصحابة –فيما يتعلق باستمداده- إلى أربعة مصادر، وهي القرآن الكريم، وما أخذوه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق سؤالهم أو عن طريق مبادرته، وما كان نتيجة لاجتهادهم وإعمال فكرهم فيما كانوا بصدد معرفتهم، وما أخبرهم به أهل الكتاب من اليهود والنصارى.[2]

[1] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، القاهرة، مكتبة وهبة، ج ١، ص ١٥٣.

[2] محمد السيد جبريل، **مدخل إلى مناهج المفسرين**، القاهرة، الحرية للطباعة، ص ٤٨.

وأما منهج الصحابة رضي الله عنهم في التفسير فيقوم على ثلاثة أسس : وهي تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما لم يجدوا بيانه في القرآن، وإن لم يجدوا التفسير في القرآن ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتهدوا وأعملوا أفكارهم واستنبطوا لأنهم عرب خُلّص شاهدوا التنزيل وحضروا مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا فيما يحتاج إلى اجتهاد وإعمال ذهن.[١]

وإذا كان تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسنة لم يستوعبا جميع آيات القرآن، وأن الصحابة إلى جانب ذلك كانت لهم أراؤهم، فإنهم قد فسّروا الكثير منه على هذا الأساس، ومع ذلك فإن هذا النوع من تفسيرهم لم يستوعبْ القرآن كله. فبالرغم من تسويغهم فهم القرآن الكريم بإعمال الفكر والاجتهاد، وقوة الاستنباط فيما لم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة إلا أنهم قد خاضوا هذا المجال على حذر، فلمْ يكثروا منه ولم يتكلموا فيه إلا بقدر ما ترجَّح عندهم من أنه هو المعنى المراد.[٢]

ولقد اشتهر عدد من الصحابة بالتفسير، ونقل عنهم فيه الكثير وحفلت كتب التفسير بالمأثور بالعديد من أقوالهم. وقد اشتهر بالتفسير منهم الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأبَي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن الزبير وعائشة. وهناك عدد آخر من الصحابة نُقل عنهم في التفسير نقل قليل لم يصل بهم إلى درجة الشهرة، ومنهم أنس وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن العاص.[٣]

المرحلة الثالثة : التفسير في عهد التابعين رضي الله عنهم :

لا يمكن التفصيل بين عهد الصحابة والتابعين من الناحية العملية، لكنه ممكن من الناحية العلمية، ومن الناحية التاريخية. فليس هناك حد فاصل بالمعنى

---

[١] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجع السابق، ص ٣٠-٣٣.

[٢] محمد السيد جبريل، **مدخل إلى مناهج المفسرين**، القاهرة، الحرية للطباعة، ص ٦٧.

[٣] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجع السابق، ص ٣٤.

الدقيق من العهدين. لأن المد العلمي منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم قد تتابعت أمواجه، ووتتلمذ التابعون على الصحابة، وتلقوا عنهم إلى جانب القرآن الكريم علم السنة – رواية – بما ورد ضمنها من تفسيرهم للقرآن، ذلك من الناحية العملية.

أما من الناحية العلمية : فيمكن التمييز بين العهدين، من جهة اتساع قاعدة الرأي والاجتهاد، وتعدد المصادر في التفسير بإضافة أقوال الصحابة أنفسهم، وزيادة الحاجة إلى التفسير لزيادة الغموض كلما بعد عهد النبوة، وكذلك من جهة ما دخل التفسير من الوضع مثله في ذلك مثل الحديث بالإضافة إلى بداية التدوين في عهدهم.

وأما من الناحية التاريخية : فإن عهد الصحابة ينتهى بموت آخرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وبذلك أيضا يبدأ عهد التابعين.

ومثلما تصدى للتفسير جمع من الصحابة واشتهروا به، وعرف عنهم، تصدى كذلك للأمر نفسه جماعة كبيرة من التابعين من أمثال : سعيد بن جبير، وعلي بن أبي طلحة، ومجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، وزيد بن أسلم، ومسروق و عامر الشعبي، والحسن البصرى وغيرهم.

وقد تتلمذ هؤلاء على المسافرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمثال: ابن عباس، وابن مسعود، وأبى بن كعب، وغيرهم.

والواقع أن مصادر التفسير في عهد التابعين هي نفس تلك المصادر، يضاف إليها مصدران آخران، هما ما روؤه عن الصحابة مما كان تفسيره نتيجة لاجتهادهم، وكذلك ما اجتهد فيه التابعون أنفسهم بما يسر الله تعالى فهمه لهم من كتابه المبارك.

وقد سبق لنا الكلام على تلك المصادر بما فيها ما كان من تفسير الصحابة باجتهادهم. أما هذا المصدر الأخير، وهو تفسير التابعين باجتهادهم ورأيهم، فإنهم قد لجأوا إليه عندما لم يصل إلى علمهم شيء فيما تكلموا فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن أحد من أصحابه، فضلا عن عدم وجوده في القرآن.

وجدير بالذكر أن علم التفسير في عصر التابعين قد شاب صفاءَ موردِه ظهورُ الوضع في الحديث، الذى كان يمثل أهم المصادر بالنسبة له، كما عرف هذا العلم

الإسرائيليات في ذلك العصر أيضا. على أنه من الناحية الأخرى فإن هذا الذى حدث لم يطغ على الحقيقة الناصعة، وما لبث أن ظهر من علماء الأمة من تلك الطائفة من تصدوا بالنقد والبيان والتصحيح لكل انحراف، أو غلط، أو تشويه.[١]

ومن جهة أخرى تميز التفسير في عهد التابعين بتعدد مسائله، وكثرة الخلاف فيه عما كان في عصر الصحابة، وإن كان ما وجد من خلاف في هذا المضمار بين الصحابة، أو بين التابعين لم يكن خلاف تناقض أو تضاد، بل كان من قبيل خلاف التنوع كما نص على ذلك ابن تيمية –رحمه الله – في مقدمته في أصول التفسير.

وفي عصر التابعين أخذ علم التفسير شكل التخصص عن ذي قبل، بمعنى أنه ظهر فيه المتخصصون من تلاميذ الصحابة من بين التابعين الذين عُرفوا برواية ما يتعلق بالتفسير من بين مرويات السنة.

ويتميّز التفسير في عهد التابعين بالسمات التالية :[٢]

١- اهتمامهم ببيان الألفاظ وأسباب النزول وبيان ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ وغيرها من علوم القرآن.

٢- دخول كثير من الإسرائيليات في التفسير لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام ككعب الأحبار، ووهب بن منبه، والسدّي، وابن جريج، وابن إسحاق، وكان لا يزال عالقا بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعية.

٣- احتفاظ التفسير بطابع التلقي والرواية، إلا أنه لم يكن تلقيا بالمعنى الشامل كما هو الشأن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بل كان تلقّيا ورواية يغلب عليهما طابع الاختصاص، فأهل كل مصر يعنون بالتلقي والرواية عن إمام مصرهم بوجه خاص.

٤- ظهور ما يسمى بالتفسير الكامل، حيث وُجد في عصرهم من فسّر القرآن كاملا آية آية.

---

[١] محمد السيد جبريل، **مدخل إلى مناهج المفسرين**، القاهرة، الحرية للطباعة، ص ٧٤-٧٧.

[٢] ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧.

٥- ظهور نواة الخلاف الفقهي والعقدي، فظهرتْ بعض الأقوال في التفسير تحمل في طيَّاتها بذور هذه المذاهب.

٦- ظهور الاختلافات في التفسير بين التابعين، وكان أكثر مما كان في عصر الصحابة رضي الله عنهم.

ولقد اشتهر من التابعين مجموعة من المفسرين، منهم: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة، والحسن البصري، وزيد بن أسلم، وقتادة بن دعامة السدوسي، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية الرياحي، وعامر الشعبي، وغيرهم.[١]

وبالجملة، فإن التفسير في عهد التابعين يُعتبر الحلقة المهمة بين التفسير باعتباره مرويات من السنة، ومسائل من الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وعهد أصحابه من بعده، وبينه باعتباره فنا مدونا.

المرحلة الرابعة: التفسير في عصر التدوين:

إن التفسير قبل مرحلة التدوين يُتناقل بطريق الرواية، حيث يروي الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروي بعضهم عن بعض، ويروي التابعون عنهم. وهي المراحل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم والتابعين.

وأما مرحلة التدوين في التفسير فقد مرت بعدة خطوات تالية:[٢]

الخطوة الأولى: بداية جمع التفسير وجعله بابا من أبواب كتب الحديث، فقد وجد من العلماء من طوف الأمصار ليجمع الحديث النبوي الشريف، فجمع بجوار ذلك ما روي في الأمصار من تفسير منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى الصحابة رضي الله عنهم، أو إلى التابعين، ومن هؤلاء العلماء: يزيد بن هارون السُّلمي (ت ١١٧ هـ)، وشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ)، ووكيع ابن الجراح (ت ١٩٧ هـ)، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ)، وروح بن عبادة البصري (ت ٢٠٥ هـ)، وغيرهم، وهؤلاء جميعا

[١] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجع السابق، ص ٤٣.

[٢] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ص ١٥١-١٥٦ بتصرف.

كانوا من أئمة الحديث، فكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من أبواب الجديث.

الخطوة الثانية : تدوين التفسير واستقلاله عِلما قائما بذاته، حيث وضع التفسير لكل آية من آيات القرآن الكريم، ورتّب حسب ترتيب المصحف، وتم ذلك على أيدي نخبة من العلماء منهم: ابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ)، وابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، وابن أبي حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، وغيرهم من الأئمة. ويتميّز التدوين في هذه المرحلة بما يلي:

١- إسناد التفسير إلى صاحب التفسير المروي عنه.

٢- أن ما دُوّن فيها هو التفسير المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضي الله عنهم وتابعيهم.

٣- لم تكن للمفسرين عناية بالنقد، وتحري الصحة في رواية أحاديث التفسير، بل إن بعضهم ذكر جميع ما رُوي في كل آية من صحيح وضعيف ولم يتحر الصحة، وعذرهم في هذا أنهم يكتفون بذكر الإسناد عن بيان درجة المروي.

٤- اتساع رواية الإسرائيليات فدُوّن الكثير منها ضمن التفسير.

الخطوة الثالثة : اختصار الأسانيد ونقل أقوال المفسرين القدماء دون نسبتها إليهم، فدخل الوضع في التفسير والتبس الصحيح بالعليل، وأصبح الناظر في هذه الكتب يظن أن كل ما فيها صحيح، فنقله كثير من المتأخرين في تفاسيرهم على جهة التسليم، وأوردوا ما جاء في هذه الكتب من إسرائيليات على أنها حقائق ثابتة، وكان ذلك هو بداية ظهور الوضع والإسرائيليات في التفسير.

الخطوة الرابعة : التوسع في تدوين العلوم في التفسير، فبعد أن كان تدوين التفسير مقصورا على رواية ما نُقل عن سلف هذه الأمة، تجاوز بهذه الخطوة الواسعة إلى تدوين تفسير اختلط فيه العقلي بالتفسير النقلي، وأصبح كل صاحب فن أو مذهب يفسر القرآن بما يتناسب مع فنه، أو يشهد لمذهبه ولو كان بعيدا كل البعد عن المقصد الذي نزل من أجله القرآن.

هذا، وقد تورّطت مجموعة العلماء بتفسير وتأويل القرآن طبقاً لميولهم وبدون رعاية الضوابط والقرائن، ومن هنا نشأ التفسير بالرأي. وقد تصدّت الأحاديث الصادرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا النوع من التفسير ومنعتهُ بشدّة، فلقد تضافرت الروايات على النهي عن التفسير بالرأي عن النبي صلى الله عليه وسلم. فقد أخرج الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اتّقوا الحديث عنّي إلاّ ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار".[1]

وقد شهد تاريخ التفسير ظهور مناهج وأساليب أُخرى بين المسلمين بشكل تدريجي، نتيجة ترجمة آثار وكتب الحضارتين اليونانية والفارسية ونفوذ أفكارهم وعلومهم. وقد تكوّنت الاتجاهات التفسيريّة الكلاميّة بسبب ظهور المباحث الكلاميّة والفلسفيّة، فكانت كلّ فرقة من فرق المسلمين كالشيعة والخوارج والمعتزلة تفسّر القرآن طبقاً لآرائها وعقائدها وتستدلّ بآيات من القرآن يدعم بها أصول مذهبها وإن لم توافقْها. ثم تتابعت المؤلفات في التفسير وتنوّعت ألوانها وتعددت مشاربها، فبدأت تظهر أساليب جديدة في التفسير على يد العرفاء والمتصوّفة. ما أدّى إلى تطوّر المنهج الإشاري في التفسير.

وهكذا، نجد أن التفسير ظل عملا يشغل علماء هذه الأمة إلى يومنا هذا وسيظل مجالا واسعا للبحث والدراسة في المستقبل.

---

[1] أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق دكتور مصطفى الذهبي، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٩م، الجزء الخامس، ص ٤٣، كتاب التفسير حديث رقم ٢٩٥١.

مصادر التفسير

يمثل موضوع المصادر أهمية خاصة في تناول علم التفسير ومباحثه، فهو حجر البناء لأية عملية تفسيرية للقرآن الكريم، وذلك لأن معرفة مصادر التفسير من الأمور المهمة لبناء قاعدة معرفية يتعامل معها المفسرون من خلال تفسير القرآن واستنباط أحكامه ومعانيه.

معنى المصادر:

المصادر جمع المصدر، والمصدر ما يصدر عنه الشيء، وسمي الموضع مصدرا لأن الشيء يصدر عنه؛ أي يخرج منه إلى غيره.[1] ومصدر الكلمة أصل الكلمة التي تصدر عنها، ويقصد بمصادر التفسير: هي المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكتاب الله، وإنما قيل: "المراجع الأولية"؛ لئلا تدخل كتب التفسير؛ لأنها تعتبر مصادر، ولكن الحديث هنا ليس عنها.

وقد وقع خلاف بين العلماء في الاعتماد عليها والنظر فيها، وعددها. فقد أفرد الإمام السيوطي في كتابه القيم (الإتقان في علوم القرآن) فصلاً في أمهات مآخذ

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م، الجزء ٧، ص ٣٠١.

التفسير، ونقل فيه كلام الزركشي: ״وقال الزركشي في البرهان: للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة״:

الأول : النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم: وهذا هو الطراز المعلم، لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع.

الثاني : الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

الثالث : الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي، وهذا قد ذكره جماعة ونص عليه أحمد في مواضع.

الرابع : التفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس، حيث قال: ״اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل) والذي عناه علي - رضي الله عنه- بقوله إلاّ فهماً يؤتاه الرجل في القرآن ״.[1]

وقد اصطلح شيخ الإسلام ابن تيمية على تسميتها بـ(طرق التفسير)، ذكر منها أربعة، وهي: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين في التفسير.[2]

ونستخلص مما تقدم أن هناك ستة مصادر في التفسير، وهذه المصادر هي: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين وتابعيهم، واللغة، والرأي والاجتهاد. وسيكون الحديث عن هذه المصادر متتابعًا إن شاء الله تعالى.

المصدر الأول : القرآن الكريم :

لا يتردد أحد من المسلمين على الإطلاق في مرجعيته، ومصدريته في أكثر الجوانب المعرفية فضلاً عن العملية التفسيرية، والروايات كثيرة في هذا المعنى، ومقدمات كتب التفسير شاهدة على ذلك، بل نفس التفاسير التي هي تطبيق عملي للعملية التفسيرية تتجلى فيها هذه المرجعية والمصدرية.

---

[1] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة، دار مصر للطباعة، ص ٥٥٠-٥٥١.

[2] ابن تيمية، **مقدمة أصول التفسير**، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٤٩٠ هـ/ ١٩٨٠ م، ص ٣٩.

قال الشيخ الذهبي : ״وكانت مصادر الصحابة في التفسير: القرآن الكريم: لما يشتمل عليه من الإيجاز والإطناب، والإجمال والتبيين، والإطلاق، والتقييد، والعموم والخصوص״.[١]

وقال الزركشي في البرهان : ״أحسن طرق التفسير، أن يفسر القرآن بالقرآن فما أُجمِل في مكان فقد فُصِّل في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فإنه قد بسط في آخر״.[٢]

وقال ابن كثير الدمشقي : ״فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟، فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر... . والغرض من ذلك أنك تطلب تفسير القرآن منه״.[٣]وقال الشيخ الذهبي عن ابن كثير: ״وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير الذي يسمونه تفسير القرآن بالقرآن، وهذا الكتاب أكثر ما عرف من كتب التفسير سردا للآيات المتناسبة في المعنى الواحد״.[٤]

هذا ويعتبر القرآن أول مصدر لبيان تفسيره؛ لأن المتكلم به هو أولى من يوضّح مراده بكلامه؛ فإذا تبيّن مراده به منه، فإنه لا يُعدل عنه إلى غيره. وقد أجمع العلماء والمفسرون على أن أحسن وأفضل مرجع لتفسير القرآن هو القرآن نفسه، باعتباره المصدر الأول للتفسير، وقد برزت فكرة تفسير القرآن بالقرآن في وقت مبكر من عمر الرسالة الإسلاميّة فبالإضافة إلى ما ورد في الكتاب العزيز من تفسير لبعض آياته، وبشكل جلي وواضح لدى عامة المسلمين، فضلاً عن علمائهم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده كانوا قد اعتمدوا على القرآن، واستخدموه في معرفة معاني بعض الآيات القرآنية المبهمة.

وبعد هذا، فلسنا بحاجة إلى استعراض أقوال العلماء المفسرين في إثبات مصدرية القرآن الكريم، ومرجعيته في تفسير القرآن الكريم، بل لم يختلف أحد من

[١] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج ١، ص ٣٧.

[٢] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤ م، ص ٣١٠.

[٣] ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، اختصار محمد علي الصابوني، جدة، مكتبة جدة، ج ١، ص ١٢.

[٤] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥٥.

العلماء مطلقاً في هذه المرجعية، الأمر الذي يكشف لنا أن القرآن الكريم هو المصدر المتفق عليه لدى جميع المسلمين.

وأوضح مثال للتفسير الذي يعتمد على القرآن هو ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، قال: "لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]: قالوا: أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ليس كما تظنّون، إنّما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ " [لقمان: ١٣]".[1]

والجدير بالذكر أنه كلما كان تفسير القرآن بالقرآن صحيحا، فإنه يكون من أصح التفاسير وأبلغها، ولذا: فإن ورُود تفسير القرآن بالقرآن عن النبي صلى الله عليه وسلم أبلغ من وروده عن غيره؛ لأن ما صح مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مَحَلّهُ القبول، بيد أن قبوله لم يكن لأنه تفسير قرآن بقرآن، بل لأن المفسّر به هو النبي صلى الله عليه وسلم.

أما ورود تفسير القرآن بالقرآن عن غير الرسول فإنه قد قيل باجتهاد المفسر، والاجتهاد معرض للخطأ. وبهذا لا يمكن القول بحجيّة تفسير القرآن بالقرآن مطلقا، بحيث يجب قبوله ممن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو مقيد بأن يكون ضمن الأنواع التي يجب الأخذ بها في التفسير.

المصدر الثاني: السنة النبوية:

تعد السنة النبوية مصدرا ثانيا من المصادر المهمة لتفسير القرآن، وقد وقع الخلاف بين العلماء فيها على أساس أنها مرويات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتملت على السليم، والسقيم، والغث والسمين، ومنها ما هو صحيح، ومقبول، ومنها ما هو ضعيف ومردود.

قال الزركشي: "النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الطراز الأول،

[1] أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، الجزء ٩، ص ١٨.

لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع، فإنه كثير، وإن سواد الأوراق سواد في القلب، ويقول أحمد: ثلاث كتب ليس لها أصول: المغازي والملاحم والتفسير، قال المحققون من أصحابه: مراده أن الغالب أنّها ليس لها أسانيد صحاح متصلة، وإلا فقدْ صح من ذلك كثير، كتفسير الظلم بالشرك في آية الأنعام، والحساب اليسير بالعرض، والقوة بالرمي في قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]".[١]

وقال السيوطي في الإتقان: "من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن، فإن أعياه ذلك طلبه من السنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وقد قال الإمام الشافعي: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن، و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا وأني أوتيت القرآن، ومثله معه" يعني السنة.[٢]

وقال ابن كثير في تفسيره: "والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة".[٣]

وقال ابن حزم: "لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه في الشرايع، نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجدناه عزّوجلّ يقول فيه واصفاً لرسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، فصح لنا بذلك أن الوحي من الله عزّ وجلّ إلى رسوله على قسمين:

أحدهما: وحي، متلو، مؤلف تأليفاً معجز النظام، وهو القرآن.

والثاني: وحي مروي، منقول غير مؤلف، ولا معجز النظام، ولا متلو، ولكنه مقروء هو الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المبين عن الله عزّوجلّ مراده".[٤]

---

[١] الزركشي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٩٢-٢٩٣.

[٢] السيوطي، المصدر السابق، ص ٥٤٦.

[٣] ابن كثير، المصدر السابق، ص ١٢.

[٤] ابن حزم الأندلسي، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق الدكتور محمود حامد عثمان، القاهرة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص ١٣٩.

حجية السنة أو التفسير النبوي :

السنة أصل من أصول الدين، ووحي منزل من رب العالمين، من اتبعها سعد وكان من المهتدين، ومن أعرض عنها شقي وكان من الضالين. لهذا كانت الآيات القرآنية صريحة وواضحة في الأمر باتباعها ونهج طريقها والسير على هديها والنهي عن البعد عنها والتحذير من مخالفتها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢] وقال عز شأنه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]".[١]

لذلك، فمن الطبيعي أن يعتمد المفسرون على السنة النبوية في بيان بعض كلام الله تعالى. فهذا الإمام الطبري في تفسيره جامع البيان في تفسير القرآن، أنّه يكفي نقل تفسير النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الصحابة، أو التابعين أو تابعيهم خصوصاً، وقد رأى ابن تيمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين للصحابة القرآن كله ألفاظه، ومعانيه، بل إن الإمام السيوطي في الدر المنثور قد حذف بعض الأسانيد، وقال في مقدمة تفسيره: "فلما ألفت كتاب ترجمان القرآن، وهو التفسير المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، وتم بحمد الله في مجلدات، فكان ما أوردته فيه من الآثار بأسانيد الكتب المخرج منها واردات، رأيت قصور أكثر الهمم عن تحصيله، ورغبتهم في الاقتصار على متون الأحاديث دون الإسناد وتطويله فلخصت منه هذا المختصر مقتصرا فيه على متن الأثر مصدراً بالعزو والتخريج إلى كلّ كتاب معتبر، وسميته الدر المنثور في التفسير بالمأثور".[٢]

فيظهر من عبارة الإمام السيوطي أنه يكتفي بأن تكون الرواية الناقلة لتفسير الكتاب العزيز منقولة في كتاب معتبر ليثبت كونها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى كلّ حال فإن كثيرا من المفسرين اعتبروا تفسير الصحابي بمنزلة المرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم،[٣] فمن باب أولى أن نقل الصحابي لتفسير النبي صلى

١ بسيوني مصطفي الكومي، **مناهج المحدثين**، طنطا، جامعة الأزهر بطنطا، ٢٠٠١م، ص ١٠.

٢ جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، مقدمة، بيروت، دار الفكر، الجزء ١، ص ١.

٣ بدر الدين الزركشي، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٢٩٣.

الله عليه وسلم حجة بلا شك.

وجدير بالذكر أن ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن قليل، وقد نص على ذلك الإمام السيوطي في الإتقان، وقال: "الذي صح من ذلك [أي النقل عن النبي] قليل جدا، بل أصل المرفوع منه في غالب القلة".[١] وقد أشار إلى ذلك الإمام الزركشي إذ يشترط صحة السند في النقل عمن يعتبر تفسيره، وقال: "واعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يُعتبَر تفسيره وقسم لم يرد. والأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة رضي الله عنهم أو عن رؤوس التابعين؛ فالأول يبحث فيه عن صحة السند...".[٢]

المصدر الثالث : أقوال الصحابة رضي الله عنهم :

إن أقوال الصحابة في التفسير بمنزلة المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم – كما قاله الحاكم- في تفسيره.[٣] وقد نازعه فيه ابن الصلاح، وغيره من المتأخرين بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه؛ مما لا مدخل للرأي فيه، بل لقد صرح الحاكم نفسه بذلك فقال: ومن الموقوفات تفسير الصحابة، وأما من يقول إن تفسير الصحابة مسند، فإنما يقوله فيما فيه سبب النزول.[٤]

وقد ذكر الدكتور وهبة الزحيلي أنه لا خلاف في الأخذ بقول الصحابي فيما لا مجال للرأي أو الاجتهاد فيه؛ لأنه من قبيل الخبر التوقيفي عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، ولا خلاف أيضا فيما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم صراحة أو مما لا يعرف له مخالف.[٥]

وتفسير القرآن بأقوال الصحابة هو الطريق الثالث لدى المفسرين بعد الطلب في الكتاب والسنة، فإذا لم يجدوا التفسير فيهما رجعوا إلى أقوال الصحابة

---

[١] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص ٥٥٠.

[٢] بدر الدين الزركشي، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٣١٢.

[٣] المصدر السابق، ص ٢٩٣.

[٤] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص ٥٥٠.

[٥] وهبة الزحيلي، **الوجيز في أصول الفقه**، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص ١٠٥.

باعتبارهم أدرى في ذلك لما شاهدوه من أسباب نزول القرآن وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، ولمعرفتهم أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن، ولما لهم من الفهم والعلم الصحيح لأوضاع اللغة العربية أسرارها.[١]

وفعلا فإن بعض الصحابة وقفوا على أسباب النزول، وأدركوا قصة الآيات، وأجوائها وفي ذلك سبب لتفسيرهم الكثير من نصوص الكتاب العزيز لكونهم ممن عاش النزول القرآني، وعايشه، الأمر الذي حدا ببعض العلماء أن يقول بعدم جواز مخالفة أقوالهم باعتبارها روايات لا دخل للرأي فيها، وبهذا فإن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي له حكم المرفوع.

يقول الدكتور صبحي الصالح: "أما صحابته الكرام فما كانوا يجرؤون على تفسير القرآن، وهو بين أظهرهم يتحمل هذا العبء العظيم، ويؤديه حق الأداء، حتّى إذا لحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى لم يكن بد للصحابة العلماء بكتاب الله، الواقفين على أسراره، المهتدين بهدي النبي صلى الله عليه وسلم من أن يقوموا بقسطهم في بيان ما علموه، وتوضيح ما فهموه، والمفسرون من الصحابة كثيرون".[٢]

يقول الشيخ الذهبي : "وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله، ولم يتيسر لهم أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا في ذلك إلى اجتهادهم وإعمال رأيهم، وهذا بالنسبة لما يحتاج إلى نظر واجتهاد، أما ما يمكن فهمه بمجرد معرفة اللغة العربية فكانوا لا يحتاجون في فهمه إلى إعمال نظر ، ضرورة أنهم من خُلَّص العرب يعرفون كلام العرب، ومناحيهم في القول، ويعرفون الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد من ذلك في الشعر الذي هو ديوان العرب".[٣]

وقال ابن كثير : "إذا لم نجد التفسير في القرآن، ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن، والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم،

---

[١] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٦٣.

[٢] صبحي صالح، **مباحث في علوم القرآن**، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ص ٢٨٩.

[٣] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٦٣.

وكبراؤهم".[١]

تبين مما تقدم أن أقوال الصحابة رضي الله عنهم تعتبر طريقا من طرق التفسير ومصدرا من مصادر التفسير، يصار إليها عندما لا يوجد في الآية أوالآيات نص تفسيريّ من القرآن أو من النبي صلى الله عليه وسلم، ولا معنى لذلك إلا أن يكون للصحابة أقوالهم الخاصة في التفسير.وتلك تنبني على معرفتهم أسرار اللغة العربية التي بها نزل القرآن، ومعرفة عادات العرب وما كان عليه أمرهم في الجاهلية، وكذلك معرفة أحوال اليهود والنصارى في الجزيرة العربية وقت نزول القرآن، وذلك كله في إطار من قوة الفهم وسعة الإدراك.

فمعرفة أسرار اللغة، ورسوخ أقدامهم في فقهها قد مكن لهم من فهم صحيح للآيات التي تعتمد في فهمها على معرفة اللغة، وأوضح مثال على ذلك هو مسائل نافع بن الأزرق التي سأل فيها ابن عباس رضي الله عنهما عن كثير من معاني القرآن ففسرها له.

وقد ساق الإمام السيوطي رحمه الله هذه المسائل شبه كاملة، فقد قال بعد أن ساق حديثا طويلا: بينا عبد اللّه بن عباس جالسٌ بفناء الكعبة قد اكتنفه النّاس يسألونه عن تفسيرِ القرآن فقال: نافع بنُ الأزرق لِنجدة بنِ عُويمِرٍ: قم بنا إلى هذا الّذي يجترئُ على تفسيرِ القرآن بما لا علم له به: فقاما إليهِ فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء مِن كِتابِ اللّهِ فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة مِن كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بِلِسانٍ عربِيٍّ مُبِينٍ فقال ابنُ عبّاسٍ: سلانِي عما بدا لكما فقال نافعٌ: أخبرني عن قول اللّه تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾، قال العزون: الحلق الرقاق، قال: وهل تعرِفُ العربُ ذلِك؟ قال: نعم أما سمعت عُبيد بن الأبرصِ وهو يقول:

فجاؤا يهرعون إليه حت

يكونوا حول مِنبرِهِ عزِينا

[١] ابن كثير، المصدر السابق، الجز الأول، ص ١٢.

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال: الوسيلة الحاجة، قال: وهل تعرِفُ العربُ ذلِك؟ قال: نعم أما سمعت عنترة وهُو يقُولُ:

إنّ الرِّجال لهُم إليكِ وسِيلةٌ

إن يأخُذُوكِ تكحّلِي وتخضّبِي

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ قال: الشّرعةُ: الدّينُ، والمنهاجُ: الطّريقُ. قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سفيان ابن الحارث بن عبد المُطّلب وهُو يقُولُ:

لقد نطق المأمُونُ بالصّدق والهدى

وبين للإسلام دين ومنهاجا

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦ﴾ قال: نُضجه وبلاغه قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول الشّاعر:

إذا ما مشت وسط النِّساءِ تأوّدت

كما اهتزّ غُصنٌ ناعِمُ النّبتِ يانِعُ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَرِيشًا﴾، قال: الرّيشُ المالُ قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت الشّاعر يقُولُ:

فرِشنِي بخير طالما ما قد بريتنِي

وخيرُ الموالِي من يرِيشُ ولا يبرِي

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، قَال: في اعتدالٍ واستقامةٍ، قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت لبيد بن بيعة وهُو يقُولُ:

يا عينُ هلّا بكيتِ أربد إذ

قُمنا وقام الخُصُومُ فِي كبدِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ قال: السّنا الضّوءُ، قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت أبا سُفيان بن الحارث يقُولُ:

يدعُو إِلى الحقِّ لا يبغِي بِهِ بدلا
يجلُو بِضوءِ سناهُ داجِي الظُّلَمِ

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَحَفَدَةَ﴾ قال: ولدُ الولدِ وهُمُ الأعوانُ، قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم أما سمعت الشّاعر يقُولُ:

حَفدُ الولائِدِ حولهُنّ وأسلمت
بِأكُفِّهِنّ أزمة الأجمال

قال أخبرني عن قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ قال: رحمةً من عندنا قال: وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم أما سمعت طرفة بن العبد يقُولُ:

أبا مُنذِرٍ أفنيت فاستبقِ بعضنا
حنانيك بعضُ الشّرِّ أهونُ مِن بعضِ

وظل نافع يسأل، وابن عباس يجيب على هذا النحو إلى أن أتى على مسائله، وقد أوردها الإمام السيوطي إلى آخرها ثم قال: هذا آخر مسائِل نافعِ بنِ الأزرقِ وقد حذفتُ منها يسيرًا نحو بضعة عشر سؤالا، وهي أسئِلةٌ مشهورة وأخرج الأئِمّة أفرادا منها بأسانيد مختلفة إِلى ابنِ عباسٍ.[1]

كذلك فإن معرفة عادات العرب، وما كانت عليه أحوالهم في الجاهلية أعانت الصحابة رضي الله عنهم على فهم ما تعنيه كثير من الآيات، ولذلك أمثلة :

ففي بيان المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة : ١٨٩]، روى البخاري عَنْ أَبِي إسحاق، عن البرَاءِ، قال : "كَانُوا إِذَا أَحْرَمُوا فِي الجَاهِلِيَّةِ أَتَوْا البَيْتَ مِنْ ظَهْرِهِ". فأنْزل اللَّه تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾.[2]

وفي بيان المراد بقوله تعالى: ﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، روى مسلم في صحيحه عَنْ سعيد بنِ جُبَيْر، عَنِ ابن عباس، قال: "كَانَتِ المَرْأَةُ تطوفُ

[1] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة، دار مصر للطباعة، ص ١٧٤-١٩٤.

[2] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها، انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ٢٦. .

بالبَيتِ وَهِيَ عُريانَةٌ، فَتَقُولُ: مَن يُعِيرُنِي تِطوَافًا؟ تَجعَلُهُ عَلَى فَرجِهَا، وَتَقُولُ:
اليَومَ يَبدُو بَعضُهُ أَو كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنهُ فَلَا أُحِلُّهُ.

فنزلت هذه الآية :﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ﴾".[1]

وهذه الكلمات التي نقلناها، وإن عدت أقوال الصحابة تفسيرا عند عدم الحصول على تفسير للآية من القرآن أو من السنة لكنها مع ذلك لا تثبت أي حجة لأقوالهم بل تضع مناطات معينة لقبول أقوالهم، وقد ناقش كبار الأئمة في أصل القبول فاشترطوا بعض الشروط عند الرجوع إلى أقوالهم.

فقد قال الزركشي : "ينظر في تفسير الصحابي فإن فسره من حيث اللغة، وفهم أهل اللسان فلا شك في اعتماده وإن فسره بما شاهد من الأسباب، والقرائن فلا شك فيه".[2]

ويقول مناع القطان : "وهناك روايات منسوبة إلى هؤلاء [الصحابة] وغيرهم في مواضيع متعددة من تفسير القرآن بالمأثور تتفاوت درجتها من حيث السند صحة وضعفا". ويقول أيضاً: "أما ما يكون [من تفسير الصحابة] للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم".[3]

حجية تفسير الصحابة :

قد وقع الخلاف في أقوال الصحابة من حيث الحجية فذهب قوم إلى حجيتها مطلقا، وقوم إلى حجية أقوال الصحابة فيما لا مجال للرأي فيه، وقوم إلى حجيتها بشروط وضوابط، وعلى ذلك لابد أن يتعامل مع أقوال الصحابة التفسيرية على أساس أنها اجتهادات يمكن النقاش فيها، ويمكن قبول ما توفر على الشروط الصحيحة للتفسير منها كأن يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن، أو باللغة، أو بالعقل (الرأي) المقبول، ورد ما كان يفتقد تلك الشروط، خصوصا، وإننا نجد أن التفاسير

[1] أخرجه مسلم في كتاب التفسير، باب قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد، انظر: مسلم بن الحجاج النيسابوري، المصدر السابق، الجزء ٤، ص ٢٣٢٠..

[2] بدر الدين الزركشي، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٣١٢-٣١٣.

[3] مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، سورابايا، مكتبة الهداية، ص ٣٣٦.

المختلفة التي فيها تفسير للصحابة قد ملئت بكثير من أهواء أهل الكتاب كقصة الغرانيق، وزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها، وغيرها كثير.[١] فلابد للمفسر المتعامل معها أن يكون محيطاً بأصول الدين، وضروب كلام العرب من الحقيقة والمجاز، والتشبيه، والصفات المتعلقة بذات الله تعالى وغير ذلك من العلوم التي تضمن له سلامة تفسيره عند التعامل مع أي قول أو رأي في العملية التفسيرية.

المصدر الرابع: أقوال التابعين:

إن أقوال التابعين في التفسير تمثل المصدر الرابع الذي يرجع إليه كثير من المفسرين، قال ابن كثير في مقدمة تفسيره: "إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر فإنه كان آية في التفسير".[٢]

وتفسير القرآن بأقوال التابعين منهج خاص سلكه المفسرون عندما لم يجدوا في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة شيئاً، فرجعوا في ذلك إلى أقوال التابعين باعتبار أنهم تلقوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة رضي الله عنهم.

حجية التفسير التابعي:

لقد اختلف العلماء في حجية التفسير المنقول عن التابعين باجتهادهم الخاص. فذهب بعضهم إلى أن أقوالهم في التفسير لا يؤخذ بها لأنهم لم يسمعوا شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن فيجوز عليهم الخطأ، وظنُّ ما ليس مرادا مرادا، ولأن عدالة التابعين غير منصوص عليها بخلاف الصحابة فقد نص على عدالتهم. ولذا ورد عن الإمام أبي

---

[١] لمزيد من البيان، انظر محمد بن محمد أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، القاهرة، مكتبة السنة. قصة الغرانيق ص ٣١٤ وما بعدها، قصة زواج النبي من زينب ص ٣٢٣ وما بعدها.

[٢] ابن كثير، المصدر السابق، ص ١٣.

حنيفة رحمه الله: "ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى العين والرأس، وما جاء عن الصحابة تخيرنا، وما جاء عن التابعين فهم رجال ونحن رجال".[١]

وذهب كثير من المفسرين إلى أنه يؤخذ بأقوال التابعين في التفسير لأنهم تلقوا معظم تفسيراتهم عن الصحابة، فقد قال السيوطي: "ثم قال الزركشي: وفي الرجوع إلى قول التابعي، روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل المنع، وحكوه عن شعبة، لكن عمل المفسرين على خلافه، فقد حكوا في كتبهم أقوالهم، لأن غالبها تلقوها من الصحابة".[٢]

والذي تطمئن إليه النفس أن أقوال التابعين في التفسير لا يجب الأخذ بها، إلا إذا كانت مما لا مجال للرأي فيه، فإنه يؤخذ بها- إلا إذا كان التابعون ممن عرف عنه أنه ينقل عن أهل الكتاب-، وإذا أجمع التابعون على تفسير آية من القرآن الكريم وجب علينا الأخذُ بقولهم، وأما إذا اختلفوا في تفسيرها فلا يكون قولهم حجة على من خالفهم ولا على من بعدهم، وإنما يرجع في ذلك إلى لغة القرآن والسنة أو أقوال الصحابة أو عموم لغة العرب.

المصدر الخامس : اللغة العربية :

لا غرو أن اللغة العربية الأصيلة المعلومة النقل عن العرب العاربة تعد مصدراً أساسياً لدى العلماء المفسرين في فهم القرآن، بل لا بد منها في فهمه وذلك لأن القرآن نزل بلغة العرب. قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء : ١٩٣-١٩٥]. لذلك جعلت اللغة العربية مصدرا من مصادر التفسير، وقدِّمت على الرأي والاجتهاد.

والذي يؤكد هذه المصدرية ويؤسس المنهج في تفسير القرآن تفسيراً لغوياً هو عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أثر عنه أنه فسر بعض الآيات

---

[١] صلاح الدين يوسف شلبي، **محاضرات في مناهج المفسرين**، طنطا، جامعة الأزهر الشريف، ٢٠٠٠م، ص ٣٤.

[٢] جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ص ٥٥٠.

تفسيرا لغويا، وكذلك الصحابة، والتابعين، وتابعيهم ومن جاء بعدهم. ومن ذلك ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري في تفسيره صلى الله عليه وسلم للوسط في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة : ١٤٣]، قال: والوسط: العدل.[١]

وقد حُكي إجماع الصحابة رضي الله عنهم على جواز تفسير القرآن باللغة، ولقد اعتمدوها في بيان معاني القرآن وألفاظه وأساليبه، ولو تأملنا تفسير ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما، وقد كانا ممن تمكّن في اللغة العربية، لوجدنا لهما كثيرا من التفاسير اللغوية الصرفة، التي تعلّقت بكلمات غريبة في القرآن وفُسِّرت باللغة العربية.[٢]

وقد أكد الإمام السيوطي مصدرية اللغة في التفسير فقال: "الثالث [أي من مَآخِذ التفسير] الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي، وهذا قد ذكره جماعة، ونص عليه أحمد في مواضع، لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنّه سئل عن القرآن يمثِّل له الرجل بيتاً من الشعر، فقال: ما يعجبني، فقيل ظاهره المنع، ولهذا قال بعضهم في جواز تفسيره القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد. وقيل الكراهة تُحمَل على صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالباً إلاّ في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها. وروى البيهقي في الشعب عن مالك، قال: لا أوتَى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلاّ جعلته نكالاً".[٣]

ومعرفة اللغة العربية بمختلف علومها من صرف ونحو واشتقاق، وبيان ومعاني وبديع وغيرها من الأمور الأولية والأساسية التي يحتاجها المفسر، الأمر الذي يكشف بوضوح عن ضرورة جعل اللغة مصدراً من مصادر العملية التفسيرية، قال

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب {وكذلك جعلناكم أمة وسطا}، انظر. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، القاهرة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، الجزء ٨، ص ٢١٣. (حديث رقم ٤٤٨٧)

[٢] ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، **معالم في أصول التفسير**، الرياض، دار الصميعي، ٢٠١٢م، ص ١٤٨.

[٣] جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ص ٥٥٠-٥٥١.

الإمام السيوطي: "وأول ما يجب البدء به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالأعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات".[١]

المصدر السادس : الرأي والاجتهاد :

وهذا المصدر عليه خلاف كبير بين العلماء المسلمين، وقد كان منشأ هذا الخلاف عدم وضوح مدلول العقل، والخلط بينه وبين الرأي وعدم وجود تحديد دقيق لهذه المصطلحات، وهذا بالإضافة إلى وجود الروايات الكثيرة بل المتواترة في التحذير من تفسير القرآن بالرأي. ولكن على الرغم من ذلك فإن كثيرا من المفسرين قد يرجعون إليه في تفسيرهم للآيات القرآنية، وهذا واضح في معظم التفاسير العصرية.

ولقد اختلف العلماء في جواز تفسير القرآن بالرأي، ووقف المفسرون بإزاء ذلك موقفين متعارضين. أما أصحاب الموقف الأول وهم الذين منعوا التفسير بالرأي، واستدلوا بأدلة منها:

- أن التفسير بالرأي قول على الله بغير علم والقول على الله بغير علم منهي عنه فالتفسير بالرأي منهي عنه. لقوله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾
- الحديثان الآتيان: ما يرويه الترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "...من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار".[٢] وما يرويه الترمذي عن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ".[٣]

---

[١] المصدر السابق، ص ٥٦١.

[٢] أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، انظر: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق دكتور مصطفى الذهبي، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٩م، المجلد ٤، ص ٤٣.

[٣] أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، انظر: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المصدر السابق، المجلد ٤، ص ٤٤.

- ما ورد عن الصحابة والتابعين من أنهم كانوا يتحرجون عن القول في القرآن بآرائهم ومن ذلك ما روي عن الصديق رضي الله عنه أنه قال: "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في القرآن برأيي أو بما لا أعلم."[١]

وأما أصحاب الموقف الثاني وهم الذين يجيزون التفسير بالرأي، فاستدلوا بما يلي:

- أن الله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، ووجه الاستدلال أن الله تعالى حث على تدبر القرآن والاعتبار بآياته والاتعاظ بمواعظه وهذا يدل على أن أولي الألباب عليهم أن يتأولوا ما لم يستأثر الله بعلمه إذا التدبر والاتعاظ فرع الفهم والتفقه في كتاب الله.
- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في دعائه لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"،[٢] فلو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل للفظ التنزيل لما كان هناك فائدة لتخصيصه.
- لو كان التفسير بالرأي غير جائز لتعطل كثير من الأحكام واللازم باطل ووجه الملازمة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر تفسير كل آية، والمجتهد مأجور وإن أخطأ ما دام غرضه الوصول إلى الحق والصواب.

ويمكن أن يجعل الخلاف لفظيا بأن يحمل كلام المانعين للتفسير بالرأي المذموم الذي فقدت شروطه السابقة فإنه يكون حينئذ مخالفا للأدلة الشرعية واللغة العربية وهذا غير جائز. ويحمل كلام المجيزين للتفسير العقلي على التفسير بالرأي المحمود فإنه يكون حينئذ موافقا لكتاب الله وسنة رسوله وكلام العرب وهذا جائز مقبول.

ونستخلص مما تقدم أن التفسير العقلي أو ما يصطلح عليه بتفسير القرآن بالرأي ينقسم إلى قسمين: أحدهما مقبول والآخر مرفوض، وهو الذي تحذر منه

[١] أخرجه البيهقي في فصل ترك التفسير بالظنّ، انظر: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق وتخريج الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، الرياض، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،٢٠٠٣م، الجزء ٣، ص ٥٤٠.

[٢] أخرجه أحمد في باب مسند عبد الله ابن العباس ابن عبد المطلب، انظر: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، الجزء ٤، ص ٢٢٥.

الروايات، وتنهى عن تعاطيه، وإن كان بعض العلماء يجيزونه مطلقاً، والبعض الآخر يمنعونه مطلقاً، ونحاول أن نستعرض كلمات بعض المفسرين لنرى رأيهم في ذلك:

قال ابن كثير: "فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه ابن جرير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم فليتبوأ مقعده من النار" أو لقوله صلى الله عليه وسلم:"من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ" أي لأنه قد تكلّف ما لا علم له به، وسلك غير ما أُمر به، لأنه لا يأتي الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار"... إلى أن قال: "فهذه الْآثار الصّحيحة وما شاكلها عن أَئمّة السّلف مَحْمُولة على تحرجهم عن الْكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه. فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لُغَةً وَشَرْعًافلا حرج عليه، ولهذا رُوي عن هؤلاء وغيرهمْ أقوالٌ فِي التَّفْسِيرِ، ولا منافاة لأنهم تكلمو فِيمَا علموهُ وَسكتوا عما جهلوهُ، وهذا هو الْواجب على كلّ أحد، فإنه كما يجب السّكوت عما لا علم له به فكذلك يجِبُ القول فيما سئل عنه مما يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨٧] وَلِما جاء في الحديث الذي روي مِنْ طرق: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ ألجم يوم القيام بلجام من نار".[١]

وقال الطبري في تفسيره: "وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا، من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلاّ بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القول فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحق فيه، فمخطئ فيما كان من فعله بقوله فيه برأيه، لأن إصابته ليست إصابة موقن أنّه محق، وإنما هي إصابة خارص وظان، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لا يعلم، وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده، فقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]".[٢]

وقال السيوطي في الإتقان: "ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد

[١] ابن كثير، المصدر السابق، ص ١٣.

[٢] نقلا عن مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، سورابايا، مكتبة الهداية، ١٩٧٣م، ص ٣٥٢.

من غير أصل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال تعالى : ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، وقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فأضاف البيان إليه، وقال صلى الله عليه وسلم: "من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ"، أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وقال: ″من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار″، أخرجه أبو داود. قال البيهقي في الحديث الأول: هذا الحديث إن صح، فإنما أراد - والله أعلم - الرأي الذي يغلب من غير دليل قام عليه، وأما الذي يسنده برهان، فالقول به جائز. وقال في المدخل: في هذا الحديث نظر، وإن صح فإنما أراد به - والله أعلم- : فقد الطريق فسبيله أن يرجع في تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة، وفي معرفة الناسخ والمنسوخ...″ثم قال: ″وقد يكون المراد به: من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم، وفروعه فتكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة. وقال الماوردي: قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره، وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده، ولو صحبتها الشواهد، ولم يعارض شواهدها نص صريح، وهذا [والكلام للماوردي] : عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر في القرآن واستنباط الأحكام، كما قال تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [النساء: ٨٣]. ولو صح ما ذهب إليه لم يعلم شيء إلاّ بالاستنباط، ولما فهم الأكثرون من كتاب الله شيئاً وإن صح الحديث فتأويله أن من تكلم في القرآن بمجرد رأيه، ولم يعرّج على سوى لفظه، وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق، وإصابته اتفاق، إذ الغرض أنّه مجرد رأي لا شاهد له″.[١]

وهذه الأقوال الواردة عن أئمة العلماء والمفسرين تحذرنا كل الحذر من الجرأة على القرآن وتفسيره بمجرد الرأي الذي لا يستند إلى نصوص شرعية أو علم أو لغة عربية. وهي بالإضافة إلى ذلك تؤكد ضرورة الرجوع إلى الاستنباط وإعمال الفكر في فهم الآيات القرآنية لمن استكملت فيه الشروط والأدوات في التفسير.

[١] جلال الدين السيوطي، المصدر السابق، ص ٥٥١.

الإجماع في التفسير

إن الإجماع أصل من الأصول التي يجب الرجوع إليها، حيث إنه مصدر من مصادر الشريعة بعد الكتاب والسنة، فهو مستمد منهما ومؤكد لما فيهما. ولقد جمع الله تعالى قلوب المسلمين على عامة كليات الدين وأصوله وكثير من فروعه بسبب إجماع الأئمة.ولذا، كان حتما على من أراد النجاة من الضلال أن يعرف ما أجمع عليه المسلمون من مسائل الدين ليعمل بمقتضاها بعد التسليم بسلامتها من التحريف، ولا يجوز له مخالفتها، فقد أطبق الأئمة على تضليل من خالف الإجماعات في الدين، بل قد يتعدى الأمر إلى الحكم بكفره.

ولأجل هذه المكانة، عُني العلماء بما فيهم المفسرون بالمسائل التي أجمع عليها أئمة الأمة، فرصدوها وذكروها في كتبهم المدونة لتيسير الأمة للوصول إلى هذه المسائل للاعتماد عليها وعدم مخالفتها.

معنى الإجماع في التفسير:

الإجماع في اللغة إما العزم على الشيء، يقال أجمع فلان على الأمر، أي عزم عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ [يونس : ٧١]، أي اعزموا، وإما الاتفاق،

يقال: أجمع القوم على كذا، أي اتفقوا عليه.

والإجماع في اصطلاح الأصوليين: هو اتفاق المجتهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي.[١]

والإجماع في التفسير يعني: اتفاق المفسرين من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور على تفسير آية أو آيات من كتاب الله تعالى، وذلك مثل قول المفسر في تفسيره: "أجمع المفسرون على كذا"، ونحو ذلك.[٢]

وغني عن البيان أن ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم خارج عما تضمنته هذه المادة لأن التفسير النبوي مصدر من مصادر التفسير، لا بد من الأخذ به إذا ما صح عنه صلى الله عليه وسلم، ولا يصح الخروج عنه، لأن الحق يدور في كلامه فلا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

والإجماع في التفسير متصور في تفسير الصحابة والتابعين والتفاسير بالرأي، وليس بالضرورة أن يكون إجماع المفسرين على معنى آية متحدا في الألفاظ ولا في اختيار الأمثلة المندرجة تحت أصل واحد، فإن الاختلاف في ذلك لا يعتد به ولا يخرق إجماعا.[٣]

أقسام الإجماع:

والإجماع قسمان:[٤]

الإجماع الصريح: وهو عبارة عن اتفاق كل مجتهدي الأمة المحمدية في عصر من العصور على حكم شرعي لواقعة، بأن يبدي كل واحد منهم رأيه صراحة، أو يبين بعضهم الحكم قولا، ويفعل البقية على وفق ذلك القول، فهذا حجة قاطعة بلا نزاع.

---

[١] وهبة الزحيلي، **الوحيز في أصول الفقه**، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ٤٦.

[٢] أحمد سعد الخطيب، **مفاتيح التفسير**، الرياض، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص ٤٣.

[٣] المرجع السابق، ص ٤٣ بتصرف.

[٤] محمد عبد العزيز الخضيري، **الإجماع في التفسير**، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤١٦ هـ، ص ٥١.

الإجماع السكوتي: وهو أن يعمل بعض المجتهدين عملا، أو يبدي رأيا في مسألة اجتهادية، قبل استقرار المذاهب فيها، ويسكت باقي المجتهدين عن إبداء رأيه بالموافقة أو بالمخالفة، بعد علمهم سكوتا مجردا عن أمارات الرضا والسخط، مع مضي زمن يكفي للبحث والنظر.

فائدة الوقوف على إجماع المفسرين:

إن الوقوف على إجماع المفسرين يحقق جملة من الفوائد، من أهمها:

١- معرفة الآيات التي صح الإجماع على تفسيرها، فيجب الأخذ به، وعدم جواز نقضه أو مخالفته بأي حال من الأحوال.

٢- أن معرفة الإجماع في التفسير من أقوى الأسباب للتشنيع على المخالفين من المبتدعة، ورد أقوالهم الفاسدة، وسدّ الباب على من يتجرّأ التقول على الله بعض الأقاويل بغير علم.

٣- اطمئنان النفس إلى أن هذا المعنى هو المراد – بإذن الله –.

كيفية الوصول إلى إجماع المفسرين:

ثمة طرائق تستخدم للوصول إلى إجماع المفسرين، وهي:[١]

الطريقة الأولى: قول أحد العلماء المعتبرين: "أجمع المفسرون على كذا ..."، وهى الطريقة الأقوى والأكثر صوابا، ولا سيما إذا كان صاحب هذا القول إماما محققا له عناية بالتفسير وكتبه.

الطريقة الثانية: الرجوع إلى الكتب التي دَوّنت إجماعات العلماء والفقهاء ككتاب الإجماع لابن المنذر وغيره، وهذه المؤلفات لها صبغة فقهية، إلا أنها تفيد في حصر إجماعات المفسرين خاصة عند آيات الأحكام.

الطريقة الثالثة: استقراء أقوال المفسرين وتتبع المواطن التي اتفقوا عليها.

---

[١] ناصر بن محمد عثمان المنيع، **معالم في أصول التفسير**، الرياض، دار الصميعي، ٢٠١٢م، ص ٢٢١.

مدى الحاجة إلى معرفة إجماع المفسرين :

تأتي الحاجة إلى معرفة إجماع المفسرين من الأمور التالية :

أولا: إن الاستفادة من الوقوف على إجماع المفسرين على تفسير آية من كتاب الله يحدده مدى وضوح معنى الآية من عدمه. وبالنظر في إجماعات المفسرين نجد أن بينها تفاوتا في هذا الجانب، ومن أمثلة ذلك ما يلي :

قال ابن عطية في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة : ١٢٧]: "والبيت هنا الكعبة بالإجماع".

حكى ابن جرير الإجماع في قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة : ١٩٦]: "أي إلى أهليكم وأمصاركم، وليس من منى إلى مكة".

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء : ١١] : "أجمع العلماء من السلف والخلف على أن الدين مقدم على الوصية".

وهذه الإجماعات ليست من مستوى واحد، فمنها ما قد لا يحتاج إليه لوضوح معنى الآية، ومنها ما يحتاج إليه لخفاء معناها.

ثانيا: أن كتب التفسير ميدان خصب لإجماعات الفقهاء، ولا سيما أن بعض المفسرين يعد من الفقهاء، كالقرطبي وابن العربي، وهم يسوقون خلال تفسيرهم للآيات ما فيها من الأحكام، ويناقشون الأقوال، ويحكون الإجماع.

ومن هنا تأتي أهمية معرفة مصطلحات المفسرين ومرادهم من قولهم: "أجمعوا...، أو بإجماع ..." فعلى سبيل المثال: إن ابن جرير الطبري إذا أطلقه فإنه يريد به الأكثر لا الجميع. وذلك لأن للمفسرين في حكاية الإجماع صيغا متعددة مثل قولهم: "اتفقوا على"، أو "لا خلاف فيه"، "في قول جميع المفسرين". فينبغي دراسة دلالة هذه الصيغ ومقاصد المفسرين منها.[١]

[١] المرجع السابق، ص ٢٢٢-٢٢٤.

عناية المفسرين بالإجماع :

تظهر شدة عناية المفسرين بالإجماع من النقاط التالية :

أ- نقل المفسرين ذلك الإجماع، للاستدلال به، لعلمهم بعظم هذا الأصل، وقوة حجيته .

ومن أظهر الشواهد على ذلك : الإجماعات التي يحكيها ابن عطية - رحمه الله –، فقد كان معظمها قد نقلها القرطبي وأبو حيان - رحمهما الله- في تفسيرهما، لكونهما اعتمدا تفسير ابن عطية. والنظرة الفاحصة في ثنايا البحث تخبر أن كثيرا من الإجماعات قد تناقلها المفسرون، وتداولوها ولم يهملوها.

ب- مناقشة المفسرين ذلك الإجماع والاعتراض عليه من جهة، و تأييده بالأدلة من جهة أخرى. ومناقشة الإجماع قد تكون إبطالا بالكلية وقد تكون استدراكا وتقويما.

ومن أمثلة مناقشة الإجماع بإبطاله بالكلية ما ذكره ابن عطية من أن السلوى: طير بإجماع المفسرين. وقد تعقبه القرطبي والآلوسي وغيرهما بذكر القول الآخر في تفسير السلوى، وهو العسل.

ومن أمثلة الاستدراك على الإجماع وتقويمه : ما حكاه الإمام الطبري من الاختلاف في المراد بحاضري المسجد الحرام، فقال محررا محل النزاع: "ثم اختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله:﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۗ﴾، بعد إجماع جميعهم على أن أهل الحرم معنيون به، وأنه لا متعة لهم".[1] فقد استدرك عليه ابن عطية ذلك، فقال: "واختلف الناس في حاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرامِ بعد الإجماع على أهل مكة وما اتصل بها، وقال الطبري: بعد الإجماع على أهل الحرم، وليس كما قال: فقال بعض العلماء: من كان حيث تجب الجمعة عليه بمكة فهو حضري، ومن كان أبعد من ذلك فهو بدوي. قال القاضي أبو محمد: فجعل اللفظة من الحضارة والبداوة، وقال

[1] أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠ م، الجزء ٣، ص ١١٠.

بعضهم : من كان بحيث لا تقصر الصلاة إلى مكانه فهو حاضر أي شاهد، ومن كان أبعد من ذلك فهو غائب، وقال عطاء بن أبي رباح: مكة وضجنان وذو طوى وما أشبهها حاضر والمسجد الحرام".[١]

ج- ذكر المفسرين الأدلة التي تؤيد الإجماع من الكتاب والسنة متى وجد منهما ما يؤيد القول المجمع عليه، فقد يكون الاستدلال بهما جميعا، وقد يكون بأحدهما. وذلك مثل الإجماع على أن المراد بالفلك الوارد في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [يونس : ٧٣]، هو سفينة واحدة، علما بأن لفظ الفلك يطلق على الواحد والجمع، فقد ذكروا دليل ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت : ١٥].[٢]

دواعي ذكر الإجماع عند المفسرين :

هناك أسباب تدعو المفسرين إلى ذكر الإجماعات في التفسير، وهي ما يلي:[٣]

السبب الأول : وجود الاشتراك في المعنى :

وذلك كالاشتراك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه : ١٥]. فقد أجمع العلماء على أن المراد بالساعة هنا : القيامة. وعلة ذكرهم للإجماع هنا: هو كون هذا اللفظ مشتركا بين معان عدة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم : ٥٥]، فالساعة الأولى في الآية هي القيامة، والثانية هي الوقت القليل من الزمان.

---

[١] عبد الحق بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، الجزء ١، ص ٢٧١.

[٢] محمد عبد العزيز الخضيري، المرجع السابق، ص ٨٩-٩٤ بتصرف.

[٣] المرجع السابق، ص ٩٥ وما بعدها.

السبب الثاني : تحرير محل النزاع في الآية :

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة : ٢٣٣]، حيث ذكر بعض المفسرين الإجماع على أن "الأب" هو المراد بقوله : ولا مولود له بولده. والداعي لذكر الإجماع هو تحرير محل النزاع في المراد بقوله تعالى بعد هذه تماما: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، حيث اختلف المفسرون في المراد بالوارث على أقوال.

السبب الثالث : الرد على المخالفين :

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر : ٩٩]، حيث حكى العلماء الإجماع على أن المراد باليقين : الموت. ردا على غلاة الصوفية الذين زعموا أن اليقين منزلة من بلغها سقطت عنه العبادة.

السبب الرابع : الاحتجاج بالإجماع في ترجيح قول على قول في تفسير آية أخرى :

وذلك مثل ما ذكر الإمام الطبري– رحمه الله – الخلاف في فدية الصيد الواردة في قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾ [المائدة : ٩٥]، هل هي للتخيير أو لا ؟ رجّح القول بالتخيير، محتجا بالإجماع على التخيير فى نظيرتها: آية فدية الأذى، وهي قوله تعالى : ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ﴾ [البقرة : ١٩٦].

السبب الخامس : دفع توهم معنى فاسد :

وذلك مثل ما ذكره المفسرون عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة : ٣٤]، حيث ذكروا أن السجود لآدم لا يراد به سجود التعبد إجماعا، قال الفخر الرازي : "أجمع المسلمون على أن ذلك السجود ليس سجود عبادة".

السبب السادس : مخالفة تأويل الآية للظاهر أو الغالب في الاستعمال :

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص : ٢٤]، حيث ذكر ابن العربي : أنه لا خلاف بين العلماء أن المراد بالركوع هاهنا : السجود، وسبب ذلك فيما يبدو أن الركوع له حقيقة معروفة هي الأصل فى استعمال لفظ (الركوع)، فلما كان تأويله في الآية يخالف ذلك الظاهر وتلك الحقيقة، ناسب أن يحكي الإجماع على ذلك.

السبب السابع : قطع احتمال ألفاظ الآية على غير المراد بها صراحة، مما لا يتم معناها إلا به :

وذلك مثل ما حكاه المفسرون من الإجماع على أن القيام المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة : ٢٧٥]، إنما هو في يوم القيامة.

أسباب مخالفة المفسر للإجماع :

ثمة أسباب تُوقِع المفسر في مخالفة الإجماع، ومن أهم تلك الأسباب :[١]

الأول : ضعف العناية بآثارالسلف وعدم التمييز بين الروايات الصحيحة الواردة عنهم والضعيفة، فإذا نقلوا فإنهم يروون الغرائب والضعاف

[١] محمد الخضيري، المرجع السابق، ص ١١١ وما بعدها. وانظر أيضا ناصر محمد عثمان المنيع، المرجع السابق، ص ٢٢٤.

والمناكير التي لا توجد في الكتب المعتمدة من كتب التفسير بالمأثور التي تُعْنى بنقل أقوال السلف وتحرير ألفاظهم وعباراتهم.

الثاني : اعتقاد المفسر لأشياء باطلة أو انتحاله لنحلة فاسدة، ثم محاولته حمل القرآن عليها، ولو كان هذا القول الذي أحدثه مخالفا لما أجمع عليه السلف، فيقعون في المخالفة؛ اتباعا لبدعتهم، وتحكيما لهواهم.

الثالث : تفسير القرآن بمجرد اللغة، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به.

الرابع : الاعتداد بالقول الشاذ والقول الحادث أو ما يسمى "زلة العالم"، حيث يذكر بعض المفسرين الخلاف في مسألة قد وقع فيها إجماع سابق، بناء على اعتبار قول لا يعتد به لشذوذه. ومن أمثلة الأقوال الشاذة الواردة ما حُكي عن داود الظاهري من أن المحرّم من الخنزير لحمُه دون شحمه؛ لأن الله تعالى ذكر اللحم فقط، وقد حكى جماعة كثيرة من أهل العلم الإجماع على إلحاق الشحم باللحم.

الخامس : الاعتماد في نقل الخلاف على روايات ضعيفة، لا تثبت عمن نسبت إليه. ومن أمثلة ذلك ما روي عن ابن عباس من أنه كان يرى: أن الأمّ لا يحجبها من الثلث إلى السدس إلا ثلاثة من الإخوة فأكثر؛ لأن الآية وردت بذكر "الإخوة"، والاثنان ليسا بإخوة. وهذا ضعيف عن ابن عباس، وقد حكى جمع من العلماء الإجماعَ على أن الاثنين من الإخوة يحجبان الأم من الثلث إلى السدس، ولا تصح المخالفة عن ابن عباس.

أمثلة من الإجماعات في كتب التفسير:

١- ما ذكره الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، قال: "اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أوعد الله تعالى ذكره بقوله:"

ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم" عبادَه أنه مؤاخذهم به، بعد إجماع جميعهم على أن معنى قوله:" بما كسبت قلوبكم"، ما تعمدت".[١]

٢- ما ذكره الإمام ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ﴾ [المائدة: ٤]، قال:" فأجمعت الأمة على صحة الصيد به بشرط أن يكون تعليم مسلم ويصيد به مسلم، هنا انعقد الإجماع".[٢]

٣- ما ذكره الإمام ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [يونس: ٧٣]، قال:" والفُلك: السفينة، والمفسرون وأهل الآثار مجمعون على أن سفينة نوح كانت واحدة، والْفُلْكُ لفظ الواحد منه ولفظ الجمع مستو".[٣]

٤- ما ذكره الإمام الواحدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]، قال:" وإجماع المفسرين على أن المراد بهذا الصيام: صيام شهر رمضان".[٤]

٥- ما ذكره الإمام الواحدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩] ، قال:" عظيما فِي قول الجميع، ومعنى الآية: قلتم قولا عظيما".[٥]

٦- ما ذكره الإمام الماوردي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، قال: تحسونهم أي تقتلونهم في قول الجميع، يقال حَسه حَسّاً إذا قتله.[٦]

٧- ما ذكره الإمام السمرقندي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾

---

[١] أبو جعفر الطبري، المصدر السابق، الجزء ٤، ص ٤٤٩.

[٢] عبد الحق بن عطية الأندلسي، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ١٥٦.

[٣] المصدر السابق، الجزء ٣، ص ١٣٣.

[٤] أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري، **الوسيط في تفسير الكتاب المجيد**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م، الجزء ١، ص ٢٧١.

[٥] المصدر السابق، الجزء ٣، ص ١٩٣.

[٦] أبو الحسن علي الماوردي، **النكت والعيون**، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، د س، الجزء ١، ص ٤٢٩.

[القيامة : ١]، قال: "أجمع أهل التفسير أن معناه أقسم".[١]

٨- ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة : ٢٣٠]، قال: "المراد بقوله تعالى : ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ : الطلقة الثالثة، ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه".[٢]

[١] أبو الليث السمرقندي، **بحر العلوم**، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م، الجزء ٣، ص ٥٢٠.

[٢] أبو عبد الله محمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨ م، الجزء ٣، ص ١٣٦.

الاختلاف في التفسير

الاختلاف سنة من سنن الله في البشر، وهو من قدر الله تعالى فيهم، ففي ألسنتهم، وألوانهم، وأفكارهم، وأرائهم، وعقائدهم اختلاف، فهو من طبائع البشر التي لا تنفصل عنهم. لذلك كان الاختلاف بين العلماء ليس مذموما حيث لا أحد من المجتمعات يسلم منه.

معنى الاختلاف في التفسير:

الاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق، والخلاف والاختلاف يراد به مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الموقف. واختلاف المفسرين في الاصطلاح هو: عدم اتفاق المفسرين للقرآن الكريم على دلالة الآية أو اللفظ القرآني على مراد الله تعالى منها، بحيث يتوصل المفسر إلى معنى مغاير لما توصل إليه غيره.[1]

[1] محمد صالح محمد سليمان، **اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق**، الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٣٠ هـ، ص ٣٩.

موقف المسلم من اختلاف المفسرين :[1]

أولا : يجب أن يفرق المسلم بين الاختلاف المنهي عنه والاختلاف الذي لا مندوحة له، فأي خلاف يؤدي إلى ضرب القرآن بعضه ببعض، أو اتهامه بالكذب، أو التناقض أو كان سببا لوقوع الفرقة بين المسلمين فهو اختلاف ممقوت منهي عنه.

ثانيا : يجب أن يكون المسلم على ثقة مطلقة في كتاب الله أنه محكم مترابط، لاينقض بعضه بعضا، ولا يكذب بعضه بعضا.

ثالثا : اختلاف السلف في التفسير إنما هو اختلاف في الفروع، وليس في الأصول، فلا يمكن وقوع الاختلاف بينهم في تفسير الآيات الدالة على أصل من أصول الدين.

رابعا : معظم ما وقع بين السلف من اختلاف في التفسير إنما هو من قبيل اختلاف التنوع، وليس من اختلاف التضاد.

خامسا : على المسلم أن يفرق بين الأقوال التي صدرت نتيجة التزام المفسر بآداب وأدوات التفسير، وبين الأقوال الصادرة نتيجة الهوى المجرد والتعصب وغير ذلك، فلا مقارنة بين الأمرين.

سادسا : أن اختلاف مَن اختلف من السلف لا يعني انقطاع الود أو نقصانه بينهم، فهذا ابن عباس وعلي رضي الله عنهم اختلفا في تفسير بعض الآيات رغم ما بينهما من الود والقرابة، وقد روي عن ابن عباس أنه قال : "ما اتخذتُ من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب". ومن الآيات التي اختلفا في تفسيرها: قوله تعالى : ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات : ١]، اختلف السلف في المراد بالمقسَم به على قولين :

الأول : أنه الخيل، وقال به جماعة من السلف، منهم ابن عباس رضي الله عنه.

---

[1] ناصر محمد عثمان المنيع، **معالم في أصول التفسير**، الرياض، دار الصميعي، ٢٠١٢ م، ص ٢٢٥-٢٢٨ بتصرف.

الثاني : أنه الإبل، وقال به جماعة من السلف، منهم على رضي الله عنه.[١]

أنواع اختلاف التنوع :

ونستطيع أن نُرجع اختلاف السلف في التفسير إلى أنواع معدودة منها:[٢]

أولا : أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى.

ومثال ذلك تفسير قوله تعالى : ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾. فقد قال بعضهم: هو القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل : هو السنة والجماعة، وقيل: العبودية، وقيل: طاعة الله ورسوله، فهذه الأقوال كلها تدل على ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها.

الثاني : أن يذكر مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه.

ومثال ذلك ما نقل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر : ٣٢]. فمن المفسرين من قال: السابق الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد الذي يصلي في أثنائه والظالم الذي يؤخر العصر إلى الاصفرار. ومنهم من قال: السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم بأكل الربا، والعادل بالبيع. ومنهم من قال السابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات، والظالم آكل

---

[١] ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، اختصار محمد على الصابوني، جدة، مكتبة جدة، ص ٦٦٨.

[٢] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، المرجع السابق، ص ٥٧-٥٩.

الربا أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة ولا يأكل الربا وما إلى ذلك من الأقاويل.

الثالث : ما يكون فيه اللفظ محتملا للأمرين.

ومثاله لفظ قسْورة في قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١]، فإنه يراد بها الرامي، ويراد بها الأسد. ولفظ عسعس في قوله تعالى:﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير : ١٧]، فإنه يراد به إقبال الليل وإدباره .

الرابع : أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى بألفاظ متقاربة.

ومثاله أن يفسر أحدهم قوله تعالى : ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ [الأنعام : ٧٠] بـ "تُحبَس"، ويقول الآخر: إنه "تُرْتهن" ونحو ذلك .

أسباب اختلاف المفسرين :

إنّ اختلاف المفسرين يرجع إلى أسباب متنوعة، وقد بسط القول في هذه الأسباب أستاذُنا الدكتور أحمد محمد الشرقاوي[١] في كتابه اختلاف المفسرين؛ أسبابه وضوابطه، وسنوردها في الصفحات التالية:

١. اختلاف التعبير:

وهو أن يعبر كل مفسر عن المعنى الواحد بعبارات شتى تدور كلها حول هذا المعنى، أو تكتمل بها صورته ويستقر المعنى في الأذهان، أو أن يفسر بعضهم اللفظ بمعان متنوعة لكنها تدور في محور واحد، وبعض المفسرين قد يفسر المعنى بمثال عليه أو بلازمه.

مثال ذلك ما ذكره السيوطي في الدر المنثور من تفسيرهم لقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ

[١] أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر الشريف بمصر.

وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [الأنعام : ٧٠]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿أَن تُبۡسَلَ﴾ قال: تفضح. وفي قوله ﴿أُبۡسِلُواْ﴾ قال: فضحوا. وعنه في قوله ﴿أَن تُبۡسَلَ﴾ قال: تسلم. وفي قوله ﴿أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ قال: أسلموا بجرائرهم.

وقد سأله نافع بن الأزرق: فقال له: أخبرني عن قوله عز وجل ﴿أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ﴾؟ قال: يعني أن تحبس نفسه بما كسبت في النار. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت زهيرا وهو يقول:

وفارقتك برهان لا فكاك له يوم الوداع وقلبي مبسل علقا.

وعن قتادة في قوله ﴿أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ﴾ قال: تؤخذ فتحبس.

فكل هذه المعاني الرهن والحبس والفضيحة متلازمة لا تناقض بينها.

٢. أن يفسر بعضهم المعنى ببيان بعض ما يندرج تحته من أنواع، أو يفسره بذكر مثال له :

من ذلك ما أورده السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى في سورة النساء ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء : ٣٤]، عن قتادة :﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ﴾ أي مطيعات لله ولأزواجهن، ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾ قال: حافظات لما استودعهن الله من حقه، وحافظات لغيب أزواجهن. وعن مجاهد ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾ للأزواج، وعن السدي ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ يقول تحفظ على زوجها ماله وفرجها حتى يرجع كما أمرها الله، وعن السدي قال: حافظات لأزواجهن في أنفسهن بما استحفظهن الله، وعن مقاتل قال: حافظات لفروجهن لغيب أزواجهن، حافظات بحفظ الله لا يخنّ أزواجهن بالغيب، وعن عطاء قال: حافظات للأزواج بما حفظ الله يقول: حفظهن الله، وعن مجاهد ﴿حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ﴾ قال:

يحفظن علي أزواجهن ما غابوا عنهن من شأنهن.

ولا شك أن الحفظ هنا ليس قاصرا على حفظ المال وحده أو حفظ الفرج، ولكنه يشمل حفظ الأزواج في غيابهم، وحفظهم من باب أولى في حضورهم، وحفظ الأسرار الزوجية، وحفظ الأولاد بحسن التربية وغير ذلك.

٣. الاختلاف في عودة الضمير:

وذلك أيضا من أسباب اختلاف المفسرين، ومثاله: ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[يوسف : ٢٣]. روى الطبري في تفسيره عن السدي وعن ابن أبي نجيح وابن إسحاق وعن مجاهد: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ﴾ قال: سيدي. يعني: ״زوج المرأة. وقال أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط ״والضمير في ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ الأصح أن يعود إلي الله تعالى ، أي إن الله ربي أحسن مثواي إذ نجاني من الجب وأقامني في أحسن مقام.

والراجح هو أن الضمير عائد إلى لفظ الجلالة، كما ذكر ذلك أبو حيان وغيره وذلك لأن مراعاة يوسف عليه السلام لحقوق الله تعالى وصونه لنعمه يتضمن مراعاة حقوق العباد، وقوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الذين يسلبون حقوق الآخرين، ويفرطون في العهود، ويخونون الأمانات وينتهكون الحرمات ومراعاة حق الله عز وجل مقدم على مراعاة حق العباد.

٤. أن يكون اللفظ مشتركا في اللغة :

من أسباب الاختلاف أيضا: أن يكون اللفظ مشتركا في اللغة له أكثر من استعمال على الحقيقة فيحمل على أحد الاستعمالات: مثل لفظة القَرء يراد بها الحيض كما يراد بها الطهر قال تعالى:﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ ...﴾ [البقرة : ٢٢٨].

قال الشوكاني في فتح القدير: " قال أبو عمرو بن العلاء: من العرب من يسمي الحيض قرءا ومنهم من يسمي الطهر قرءا ومنهم من يجمعهما جميعا فيسمي الحيض مع الطهر قرءا، وينبغي أن يعلم أن القرء في الأصل الوقت يقال هبت الرياح لقرئها ولقارئها أي لوقتها ومنه قول الشاعر:

كرهت العقر عقر بني شليل إذا هبت لقارئها الرياح

فيقال للحيض قرء وللطهر قرء لأن كل واحد منهما له وقت معلوم وقد أطلقته العرب تارة على الأطهار وتارة على الحيض... والحاصل أن القروء في لغة العرب مشترك بين الحيض والطهر ولأجل هذا الاشتراك اختلف أهل العلم في تعيين ما هو المراد بالقروء المذكورة في الآية فقال أهل الكوفة هي الحيض وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسي ومجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة والسدي وأحمد بن حنبل وقال أهل الحجاز هي الأطهار وهو قول عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت والزهري وأبان بن عثمان والشافعي رضي الله عنهم..."

٥. اختلاف القراءات :

إن اختلاف القراءات المتواترة فيه ثراء للمعنى وتوضيح له وتقرير. ومثال ذلك: ما ورد من قراءات في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ﴾ [يوسف : ٢٣]، حيث لجأت امرأة العزيز إلي التصريح بعد أن استفرغت جميع أساليب التلميح ووسائل الإغراء فقالت بعبارة سافرة {هيت لك} و{هيت} اسم فعل أمر بمعنى هلم وأقبل وفي قراءة {هِئتُ لك} أي حسنت هيأتي من أجلك. فقرأ نافع وابن ذكوان عن ابن عامر، وأبو جعفر بكسر الهاء وفتح التاء، {هِيتَ} وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء {هَيْتُ} وقرأ الباقون بفتح الهاء وسكون التاء {هَيتْ}، وقرأ هشام - كما روي عنه إبراهيم بن عباد - هِئتُ لك بكسر الهاء وضم التاء أي تهيأت لك، ومدار القراءات حول معنى واحد وهو : هلم وأقبل فلقد تهيأت لك.

٦. الاختلاف في القول بالنسخ :

فقد يقول بعض المفسرين بالنسخ لمجرد التعارض، ولو أمعنوا النظر وأعملوا الفكر لما وجدوا تعارضا بين النصوص يدعو إلى القول بالنسخ، فإعمال النص خير من إهماله، ولقد توسع المتقدمون في النسخ حتى أدخلوا فيه ما ليس منه فاعتبروا التخصيص والبيان والتقييد من قبيل النسخ.

قال ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين: "ومن تأمل في كلامهم – يعني المتقدمين- رأى من ذلك فيه ما لا يحصى وذهب عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر".

مثال ذلك ما ذكره القرطبي في الجامع من اختلافهم في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[البقرة : ٢١٩]. فعن السدي في قوله ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ قال: هذا نسخته الزكاة، وعن طاوس قال: العفو اليسير من كل شيء، وكان مجاهد يقول ﴿ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ الصدقة المفروضة، وقال الكلبي: "كان الرجل بعد نزول هذه الآية إذا كان له مال من ذهب أو فضة أو زرع أو ضرع نظر إلى ما يكفيه وعياله لنفقة سنة أمسكه وتصدق بسائره، وإن كان ممن يعمل بيده أمسك ما يكفيه وعياله يوما وتصدق بالباقي، حتى نزلت آية الزكاة المفروضة فنسخت هذه الآية وكل صدقة أمروا بها. وقال قوم: هي محكمة، وفي المال حق سوى الزكاة ".

والراجح أنها محكمة فلا تعارض بينها وبين ما ورد في شأن الزكاة المفروضة، لأن العفو هنا هو اليسير الزائد عن الحاجة، ولا شك أن الزكاة لا تفرض إلا على الأغنياء ونصابها يسير وهو زائد عن حاجة الغني فلا تعارض في ذلك بين هذه الآية والآيات الأخرى.

٧. الاختلاف في حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز:

من ذلك اختلافهم في تفسير ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد : ٤]. قيل كانت تحمل الأشواك وتنثرها أمام بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إيذاء له فكان جزاؤها في الآخرة من جنس عملها في الدنيا، حيث تحمل الحطب علي ظهرها في نار جهنم لتزداد النار حرارة والتهابا وسعيرا عليها وعلى زوجها التي كانت تنفث فيه روح الحقد وتذكي نار غضبه وتضرم لهيب حسده لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيزداد حنقا عليه وايذاء له. وقيل كانت تمشي بين الناس بالنميمة فتنمي العداوة بينهم كما تزداد النار اشتعالا وحرارة حين يلقى الحطب فيها.

قال القرطبي : "قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ كانت تمشي بالنميمة بين الناس، تقول العرب فلان يحطب على فلان إذا ورّش به - أي حرّش به، وأغرى به قال الشاعر:

إن بـــــني الأدرم حمالــوا الـــــحطب
هم الوشاة في الرضـــــا والـــــغضب
عليـــهم اللعنة تتـــرى والـــــحَّـرَب

وقال أكثم بن صيفي لبنيه : " يا بَني إياكم والنميمة فإنها محرقة للقلب ، وإن النمام ليعمل في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر "، ولذلك قيل : "نار الحقد لا تخبو " وثبت عن النبي صلى الله عليه وسبم أنه قال : "لا يدخل الجنة نمام"[١].

وقيل ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: كانت تعير رسول الله بالفقر ثم إنها كانت تحتطب بنفسها وتحمل الحطب علي ظهرها لشدة بخلها وحرصها فعيرت بالبخل، روي هذا القول عن قتادة.

وقيل ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: أي حمالة الخطايا والذنوب، وإذا كان الحطب يشعل النار فإن الخطايا والآثام تلقي بصاحبها في النار، قال تعالى ﴿وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام : ٣١].

[١] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، انظر : مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الجزء ١، ص ١٠١.

٨. تفاوتهم في معرفة السنة النبوية :

من ذلك أنه قد لا يبلغ الحديث أحد الصحابة ولم يكن قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجتهد في المسألة فيدلي برأي مخالف لما قال به النبي صلى الله عليه وسلم لكنه يتراجع عن رأيه حين يصله الحديث.

ومثال ذلك ما ذكره القرطبي من اختلاف بعض الصحابة في عدة المتوفى عنها زوجها إذا وضعت الحمل هل تنقضي عدتها بوضع الحمل فينطبق عليها قوله تعالى ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق : ٤]، أم تعتد بأربعة أشهر وعشرا وهي عدة المتوفي عنها زوجها كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٣٤]، فقد رأى ابن عباس رضي الله عنه أن المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا تعتد بأبعد الأجلين ورأى ابن مسعود رضي الله عنه أنها إذا وضعت حملها قبل تمام الأربعة أشهر وعشر فعدتها بوضع الحمل وفي هذا يقول: أجل الحامل أن تضع ما في بطنها. ويؤيد قول ابن مسعود ما ورد في السنّة في حديث (سبيعة الأسلمية) المخرج في الصحيح من غير وجه، أنها توفي عنها زوجها وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعالّت من نفاسها تجملت للخطّاب، فدخل عليها (أبو السنابل بن بعكك): فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَراكِ مُتجمّلة؟ لعلك ترْجينَ النّكاح. إنّكِ، وَاللهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حتى تمر عليكِ أرْبعة أشهر وَعَشْرٌ. قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمّا قَالَ لِي ذَلِك، جمعْتُ عَلَيّ ثيابِي حِينَ أَمْسيْتُ. فأتيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَأَفْتَانِي بِأَنّي قَدْ حَلَلْتُ حين وضعْتُ حَمْلِي. وأمرني بالتزوّجِ إِنْ بدا لِي".[1]

وروى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن سليمان بن يسار أن أبا سلمة بن عبدالرحمن وابن عباس اجتمعا عند أبي هريرة رضي الله عنه. وهما يذكران المرأة

[1] أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، انظر مسلم النيسابوري، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ١١٢٢.

تنفس بعد وفاة زوجها بليال. فقال ابن عباس رضي الله عنه: آخر الآجلين. وقال أبو سلمة : قد حلت. فجعلا يتنازعان ذلك. قال: فقال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي (يعني أبا سلمة) فبعثوا كريبا (مولى ابن عباس) إلي أم سلمة يسألها عن ذلك؟ فجاءهم فأخبرهم؛ أن أم سلمة قالت: إن سبيعة الأسلمية نفست بعد وفاة زوجها بليال. وإنها ذكرت ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم. فأمرها أن تتزوج".[1]

٩. الاختلاف في الإطلاق والتقييد :

ومن أسباب الاختلاف أيضا الاختلاف في الإطلاق والتقييد؛ والإطلاق تناول واحد غير معين، والتقييد تناول واحد معين أو موصوف بوصف زائد فقد يرى بعض المفسرين بقاء المطلق علي إطلاقه، وقد يقول بعضهم بتقييد هذا المطلق بقيد ما.

من ذلك عتق الرقبة في كفارة اليمين وكفارة الظهار فقد وردت مطلقة: كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة : ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة : ٣]. ووردت مقيدة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء : ٩٢]، فحمل بعض المفسرين المطلق علي المقيد وقالوا لا تجزئ الرقبة الكافرة، وأبقى بعضهم المطلق على إطلاقه.

[1] أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب انقضاء عدة المتوفى عنها زوجها، انظر مسلم النيسابوري، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ١١٢٢.

والأولى بقاء المطلق علي إطلاقه ما لم يرد ما يقيده، وإذا دار اللفظ بين الإطلاق والتقييد فإنه يحمل علي الإطلاق؛ لأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه.

١٠. الاختلاف في العموم والخصوص:

مثال ذلك اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾ [البقرة: ٢٢١]، فمن المعلوم لدى بعض العلماء أن النصرانيات واليهوديات مشركات لكنهن لا يدخلن في عموم هذه الآية بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾قال: نسخ من ذلك نكاح نساء أهل الكتاب أحلّهن للمسلمين وحرّم المسلمات على رجالهم.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾ فحجز الناس عنهن حتى نزلت الآية التي بعدها ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، فنكح الناس نساء أهل الكتاب".[١]

وعن سعيد بن جبير في قوله ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾ قال: يعني أهل الأوثان. وأخرج عبد بن حميد عن حماد قال: سألت إبراهيم عن تزويج اليهودية والنصرانية، فقال: لا بأس به. فقلت: أليس الله يقول ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾؟ قال: إنما ذاك المجوسيات وأهل الأوثان.

---

[١] أخرجه الطبراني في باب أبي الملك الغفاري عن ابن عباس، انظر: أبو القاسم سليمان الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، الجزء ١٢، ص ١٠٥.

١١. الاختلاف في فهم حروف المعاني :

فقد يدل الحرف على أكثر من معنى، من ذلك الباء في قوله عز وجل: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة : ٦]. هل هي للملاصقة أم للتبعيض؟ فقيل إنها للملاصقة وقيل للتبعيض والخلاف في ذلك موجود في كتب التفسير والفقه.

ومثال ذلك أيضا اختلافهم في (من) الواردة في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ قيل إنها تفيد التبعيض؛ لأن حواء خلقت من بعض آدم عليه السلام وقيل إنها بيانية لأن حواء خلقت من جنس آدم، وخلقها الله من جنسه لتتحقق الألفة والوئام والمودة، والانسجام؛ لأن الجنس إلي الجنس أميَل.

١٢. الاختلاف في أوجه الإعراب :

وهذا أيضا من أسباب اختلافهم، ومن ذلك اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [المائدة : ٦٩]. حيث جاءت كلمة ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ في الآية مرفوعة وما قبلها منصوب، والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئون، كذلك قال ابن كثير: "لما طال الفصل حسن العطف بالرفع" وقال النسفي: "وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان فما الظن بغيرهم".

وقيل ﴿ٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ معطوف على محل إن واسمها، ومحلها الرفع والتقدير إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك وعلى هذا قول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في اختلاف

١٣. الاختلاف في أسباب النزول:

مثال ذلك: اختلافهم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا﴾ [التحريم: ١-٥].

حيث نزلت هذه الآيات الكريمة تعقيبا على ما حدث في بيت النبوة، حين حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه شيئا أحله الله له وأسر بذلك إلى إحدى زوجاته وهي حفصة فنبأت به عائشة فنزل القرآن الكريم بآيات بينات فيها عتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيه لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

وفيما يلي نذكر ما ورد في سبب نزولها:

١- ما جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلا فتواصيت أنا وحفصة أنّ أيَّتَنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل إنّي لأجد منك ريح مغافير فدخل على إحداهما فقالت له ذلك فقال لا بأس شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن أعود فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ إلى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ لعائشة وحفصة ﴿إِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا﴾ لقوله: بل شربت عسلا.[١]

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب لم تحرم ما أحل الله لك، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، القاهرة، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، الجزء ٧، ص ٤٤.

٢- وأخرج النسائي في السنن بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[١]

٣- وروى البزار في مسنده قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية في سريته".[٢]

٤- وذكر الإمام ابن كثير في تفسيره رواية أوردها الهيثم بن كليب في مسنده بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحفصة لا تخبري أحدا أنّ أم إبراهيم عليّ حرام فلم يقربها حتى أخبرت عائشة فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْۚ﴾.

ويتضح مما سبق أن هناك روايات متعددة في أسباب نزول صدر سورة التحريم ورد في بعضها أن الآيات نزلت في قصة تحريم الرسول صلى الله عليه وسلم شرب العسل على نفسه وبعضها في قصة تحريمه أم إبراهيم "مارية القبطية" رضي الله عنها على نفسه. ويقول الإمام الشوكاني في فتح القدير بعد أن أورد قصة تحريم العسل وقصة تحريم مارية القبطية: (فهذان السببان صحيحان لنزول الآية، والجمع ممكن بوقوع القضيتين قصة العسل وقصة مارية وأن القرآن نزل فيهما جميعا وفي كل واحد منهما أنه أسر إلي بعض أزواجه.

١٤. مراعاة السياق :

قد تؤدي مراعاة السياق إلى اختلاف المفسرين في تفسيرهم، ومن ذلك ما ذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة : ١٩٥].

[١] أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء، باب الغيرة، انظر : أبو عبد الرحمن النسائي، **السنن الصغرى**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية ، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، الجزء ٧، ص ٧١.

[٢] أخرجه البزار انظر : أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، **مسند البزار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، الجزء ١١، ص ١٩٧.

فإن هذه الجملة الكريمة لا يمكن فهمها مجردة من سياقها، وفي ذلك يقول الشيخ سعيد حوى رحمه الله في الأساس في التفسير: ״وأما النهي عن إهلاك النفس فإذا نظرنا إلي النص مجردا كان له معنى وإذا نظرنا إليه من خلال الآية التي هو فيها أعطانا معنى آخر وإذا نظرنا إليه أنه جزء من السياق أعطانا معنى جديدا وكل هذه المعاني مرادة وكلها قد ذكرها أئمة التفسير عند شرح الآية فإذا نظرنا إلى النص مجردا فهمنا منه أنه نهي عن قتل أنفسنا، أي لا تقتلوا أنفسكم بأيديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده إذا تسبب في هلاكها، وهل يدخل في ذلك ما لو أمر إنسان بمعروف أو نهي عن منكر فقتل؟ الجواب لا؛ بل هو مأجور، ويدخل في ذلك ما إذا هاجم الكفارَ وألقى بنفسه عليهم فقتل؟ قالت الحنفية إذا كان بفعله هذا ينكي فيهم ويلقي الرعب في قلوبهم״. وإذا نظرنا إلي هذا الأمر وروده بعد الأمر بالإنفاق فهِمْنا منه أنه نهي عن ترك الإنفاق في سبيل الله، لأنه سبب للإهلاك ويؤيد ذلك ما رواه البخاري عن حذيفة في الآية قال نزلت في الإنفاق.״

وأورد الشيخ سعيد أقوالا أخرى عن ابن عباس وعن الضحاك وعن سعيد بن جبير وعن الحسن البصري تؤيد ذلك، ثم أتبعها بقوله: ״وإذا نظرنا إلى هذا النهي من خلال وروده بعد آيات القتال فهِمْنا منه أنه نهي عن ترك الجهاد وأورد الشيخ سعيد قصة أبي أيوب الأنصاري، وعقب ذلك بقوله:״وقد لاحظنا أن هذه الاتجاهات الثلاثة الرئيسية في فهم هذا النص، سببها ملاحظة النص مجردا، أو السياق القريب، أو السياق العام وهذا من أبرز الأمثلة الدالة على أن القرآن لا تتناهى معانيه.״

١٥. اختلافهم بسبب حمل الكلام على التقديم والتأخير:

المراد بالتقديم والتأخير : ״جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة.״ وللتقديم والتأخير في القرآن الكريم أسباب عديدة منها إفادة القصر والاختصاص، ومنها الاهتمام بالمقدم والتشويق للمؤخر، ومنها مراعاة الترتيب حسب الأسبقية أو حسب الأفضلية، ومنها عودة الضمير على

مذكور سابق، وغير ذلك.

والأصل بقاء الكلام على ترتيبه المتبادر من ظاهر النص، فلا نقول بالتقديم والتأخير إلا بقرينة تقرر ذلك. والمثال لهذا النوع من الاختلاف قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]، هل هو سابق لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧].

قيل: هو مقدم في التلاوة، مؤخر في المعنى على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]، لأن أمر موسى لقومه بأن يذبحوا بقرة كان في الترتيب الزمني بعد قصة القتل المذكورة في الآية الثانية.

قال الشوكاني رحمه الله : ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها، فكأن الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها، ثم وقع ما وقع من أمر القتل فأمروه أن يضربوه ببعضها، ثم علق بقوله: هذا على فرض أن الواو تقتضي الترتيب، وقد تقرر في علم العربية أنها لمجرد الجمع من دون ترتيب ولا معية.

وقال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ﴾ مقدم في التلاوة، وقوله ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ مقدم في المعنى على جميع ما ابتدأ به من شأن البقرة. ويجوز أن يكون قوله: ﴿قَتَلْتُمْ﴾ في النزول مقدما، والأمر بالذبح مؤخرا. ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها، فكأن الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها ثم وقع ما وقع في أمر القتل، فأمروا أن يضربوه ببعضها، ويكون ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ مقدما في المعنى على القول الأول حسب ما ذكرنا، لأن الواو لا توجب الترتيب. ونظيره في التنزيل في قصة نوح بعد ذكر الطوفان وانقضائه في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]. فذكر إهلاك من هلك منهم ثم عطف عليه بقوله: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]. فذكر الركوب متأخرا في الخطاب، ومعلوم أن ركوبهم

كان قبل الهلاك".

١٦. تنوع ثقافة كل مفسر:

ومن أسباب اختلاف المفسرين تنوع ثقافة كل مفسر وما لديه من علوم ومعطيات وما يستجد في عصره من قضايا، ففي عصرنا هذا عصر التقدم العلمي والتطور التقني انكشفت الكثير من الحقائق العلمية الثابتة في عالم الأنفس والآفاق وظهرت الكثير من المخترعات التي لم تخطر على بال السابقين أصلا كما فرض على العالم الإسلامي الكثير من التحديات التي لم تكن في الحسبان منها الاستعمار الصهيوني لفلسطين، ومن كان يظن أن اليهود ستكون لهم قوة وسطوة ويصبح لهم كيان! وتقام لهم دولة! يهاجرون إليها من كل حدب وصوب.

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد إشارات صريحة إلي هذا الواقع المرير الذي نعيشه فضلا عن اشتماله على جوانب متعددة من الإعجاز العلمي الذي يسبق به كل عصر، ولا عجب فهو المعجزة الخالدة والعطاء المتجدد والنهر المتدفق الذي لا ينقطع إمداده ولا تنقضي عجائبه وصدق المولى عز وجل إذ يقول ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف : ١٠٩].

من هنا فإنه يجب على المفسر أن يكون ملما بثقافة عصره مطّلعا على الحقائق العلمية التي اكتشفت حديثا معنيا بإبراز جوانب الإعجاز القرآني وبيان الهداية القرآنية في كل القضايا والأزمات التي تمر بها الأمة.[١]

---

[١] أحمد محمد الشرقاوي، **اختلاف المفسرين: أسبابه وضوابطه**، بحث محكم صالح للنشر، القاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٤م، ص ١١-٤٦ باختصار وتصرف.

اتجاهات التفسير

إن الباحثين في مجال الدراسات القرآنية قد اختلفت أهدافهم واتجاهاتهم واهتماماتهم في تفسير القرآن الكريم وبيان معاني الآيات والكشف عن مقاصدها، وذلك بسبب البناء المعرفي والثقافي والمذهبي في بعض الأحيان الموجود لدى هؤلاء المفسرين. مما ولَّد آراءً مختلفة ومتضاربة قد لا يجمعها في بعض الأحيان إلا الإسلام.

تمهيد في معنى الاتجاه والمنهج والأسلوب :

تتداول في كثير من الباحثين في أصول التفسير ومناهجه ثلاثة مصطلحات حديثة في علم التفسير وهي: الاتجاه، والمنهج، والأسلوب أو الطريقة.

وهي مصطلحات لا تكاد تُعرف عند أصحاب الدراسات القرآنية الأوائل، وحتى أصحابها في العصر الراهن لا يتفقون على معنى واحد لكل منها، فقد يعبّر كثير منهم بهذه الكلمة مرّة وبالأخرى مرّة عن مدلول واحد، وآخرون منهم يذكرون تعريفا لكل مصطلح منها ويذكر غيرُهم غيرَه.

وقد فرّق بينها الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي وبيّن أن الاتجاه : هو الهدف الذى يتجه إليه المفسرون فى تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون

ما يكتبون. وأما المنهج: فهو السبيل الذي يؤدي إلى هذا الهدف المرسوم. وأما الطريقة: فهي الأسلوب الذي يطرقه المفسر عند سلوكه للمنهج المؤدي إلى الهدف أو الاتجاه.[١]

وبيان ذلك أن الاتجاه قد يكون إصلاح المجتمع المسلم وحفظه عن الفساد ومعالجة أمراض المجتمعات الإسلامية المعاصرة، موجهاً لها نحو التمسك بالشريعة وإقامة حكم الله فيها، فيكون الاتجاه لهذا التفسير هو الاتجاه الاجتماعي. ويظهر هذا الاتجاه على مجموعة من التفاسير.

ويسلك كل واحد من أصحاب هذه التفاسير منهجا خاصا لإصلاح المجتمع، فيسلك أحدهم المنهج الاجتماعي حيث يربط بين الآيات وبين ما هو سائد في مجتمعه، ويسلك آخر منهج التذوق الأدبي حيث يحاول أن يصف القيم الشعورية عند التعامل مع الآيات بكلمات تعبر عنها.

وقد تختلف أساليب هؤلاء في التفسير، بل قد تختلف أساليب أصحاب المنهج الواحد، فبدأ أحدهم بالنص أولا، ثم بيان المفردات ثم المعنى الإجمالي للآيات، ثم يستخرج أحكامها ويتتبع الآيات واحدة واحدة حسب ترتيبها في المصحف. ويختلف آخر فيذكر النص أولا، ثم يمزج بين المفردات والمعنى الإجمالي للنص، ويختلف ثالثٌ فيجمع الآيات المتفرقة التي تتناول قضية واحدة فيتناولها بالتفسير من غير مراعاة لترتيبها في المصحف، فيعتني بالموضوع لا بالترتيب، وقد يقتصر المفسر على رأيه وقد يورد أراء المفسرين ويقارن بينها، ثم يختار ما يراه الأصح منها.[٢]

ولا بد أن نقول ونحن نتكلم عن هذه الأنواع من الاتجاهات والمناهج والأساليب في التفسير، إن هذه الأنواع لم تراعَ فيها المقابلة، فالعلاقات بينها ليست علاقة تناقض وإنما هي علاقات متداخلة، أو بعبارة أخرى قد يكون لدى التفسير الواحد اتجاهان أو منهجان أو أسلوبان أو أكثر، وهذا أمر طبيعي حيث إن كل مفسر يحاول أن يصل إلى مراد الله تعالى من آياته بما لديه من وسائل وأدوات متنوعة.

---

[١] فهد بن عبد الرحمن الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص ٢٢.

[٢] فهد بن عبد الرحمن الرومي، المرجع السابق، ص ٢٣.

مفهوم الاتجاه في اللغة :

قال ابن منظور في "لسان العرب": الوجهة: الموضع الذي نتوجه إليه ونقصده، ووجه الكلام السبيل الذي نقصده".[١] وقال صاحب "القاموس المحيط: (الوجه – بالضم والكسر – الجانب والناحية".[٢] وفي "تاج العروس : الوجه النوع والقسم، يقال الكلام فيه على وجوه، وعلى أربعة أوجه، ووجوه القرآن معانيه، ويطلق الوجه على الذات وعلى القصد".[٣] وفي "بصائر ذوي التمييز: قوله تعالى :﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران : ٢٠]، وأخواته من نحو ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ (الأنعام : ٧٩]، الوجه في كل ذلك – كما تقدم – أو على الاستعارة للمذهب والطريق".[٤]

مفهوم الاتجاه في التفسير:

يقصد بالاتجاه في التفسير هو الهدف الذي يتجه إليه المفسرون في تفاسيرهم ويجعلونه نصب أعينهم وهم يكتبون تفسيرهم .[٥] ويتأثر هذا الاتجاه بعقائد المفسرين الدِّينية والكلاميّة، ومذاهبهم الفقهية والسياسية، والاتجاهات العصريّة وأساليب كتابة التفسير، والّتي تتكوّن على أساس عقائد المفسرين واحتياجاتهم وتخصُّصاتهم وخلفياتهم الثقافية.

وقد اصطلح بعض العلماء المعاصرين على "اتجاهات التفسير" بألوان التفسير، أي الشخص الذي يفسر نصا يلون هذا النص بتفسيره له وفهمه إياه، وعلى هذا الأصل وجدنا آثار شخصية المتصدين لتفسير القرآن تطبع تفسيرهم له في كل عهد وعصر، وعلى أي طريقة ومنهج، سواء أكان تفسيرهم نقليا مرويا، أم كان عقليا اجتهاديا.[٦]

---

[١] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة وجه، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م، الجزء ١٥، ص ٢٢٥.

[٢] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، مادة وجه، بيروت، مؤسسة الرسالة.

[٣] الزبيدي، **تاج العروس**، مادة وجه، الدرا البضاء، نشر دار الرشاد الحديثة، الجزء ٩، ص ٤٢٠.

[٤] الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز**، بيروت، نشر المكتبة العلمية، الجزء ٥، ص ١٦٧.

[٥] فهد عبد الرحمن الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، المرجع السابق، ص ٦٩.

[٦] أمين الخولي، **دائرة المعارف الإسلامية**، مادة تفسير، طبعة ١٣٥٢ هـ، ج ٥، ص ٣٦٢.

ومما تقدم يمكن القول بأن المراد بالاتجاه في التفسير : هو المقصد الذي يتوجه إليه المفسر والهدف الذي يرجو بلوغه والاهتمامات التي يهتم بها في تفسيره حسب تخصصاته العلمية واعتقاداته الكلامية.

أنواع الاتجاهات في التفسير:

والحديث عن الاتجاهات في التفسير حديث عن المباحث التي يهتم بها المفسّر في تفسيره مهما كان منهجه وطريقته في تفسير الآيات، فمثلاً، تارة قد يتجه المفسر إلى إيضاح المادة القرآنية من حيث اللغة، وأُخرى يتجه إلى صورتها العارضة عليها من حيث الإعراب والبناء، وثالثة يتجه إلى الجانب البلاغي، ورابعة يعتني بآيات الأحكام، وخامسة يصبّ اهتمامه على الجانب التاريخي والقصصي، وسادسة يهتم بالأبحاث الأخلاقية، وسابعة يهتم بالأبحاث الاجتماعية، وثامنة يهتم بالآيات الباحثة عن الكون وعالم الطبيعة، وتاسعة يهتم بمعارف القرآن وآياته الاعتقادية الباقية عن المبدأ والمعاد وغيرهما، وعاشرة بالجميع حسبما أُوتي من المقدرة.

ويختلف المفسرون فيما بينهم أداء لهذا النوع من التفسير الذي يصطبغ بصبغة مؤلفه فيه، ويمكننا أن نطالع أي تفسير في هذا الشأن لنرى كيف يتأثر بدراسة مؤلفه وثقافته. فلوا أخذنا مثالا تفسيرَيْ أبي حيان الأندلسي وتفسير القرطبي فإنا نجد التفسير الأول وقد برزت فيه العناية الفائقة لدراسة الآيات القرآنية من جهة لغوية أكثر من غيرها من أية جهة أخرى. وما هذا إلا لأن أبا حيان الأندلسي كان ضليعا في النحو واللغة. وإذا ما انتقلنا إلى تفسير القرطبي نجد الجهة الفقهية أو الاتجاه الفقهي قد برز بروزا واضحا في هذا التفسير وما ذلك إلا لأن القرطبي من كبار فقهاء المذهب المالكي وهكذا.

والملاحظ أن صبغة كل تفسير قد تميزت عن غيره بعدة مميزات فنجد التفسير "في ظلال القرآن" للسيد قطب يرتب ضمن الاتجاه الاجتماعي، كما يرتب ضمن الاتجاه الأدبي، ويستوي معه تفسير المنار في اتجاهه الاجتماعي، بينما يفارقه في

أدبيته ويختص بالدراسة الاجتماعية.

وإذا كان الحال هكذا فلم يبق التفسير ثابتا كما هو لم يتغير بل ظهرت اتجاهات واهتمامات جديدة في كتب التفسير، تلتْها كذلك موضوعات جديدة لم تطرق بعناية بينة في كتب التفسير القديم. ومن أهم هذه الاتجاهات التي برزت في تفسير القرآن ما يلي:

الاتجاه الأول : الاتجاه الكلامي :

الكلام في اللغة بمعنى الحديث، أمّا في الاصطلاح فيطلق على العلم الذي يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية. والاتجاه الكلامي هو الذي يهتم بمعارف القرآن وآياته الاعتقادية الباقية عن المبدأ والمعاد وغيرهما وتأييد ذلك بالأدلة النقلية والعقلية.

ولم يكن هناك اختلاف بين في المسائل العقائدية في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم وإنّما حدث ذلك بعد وفاته وخصوصاً في مسألة الإمامة. واتّسعت دائرة هذه الخلافات تدريجياً إلى مسائل صفات الله والنبيّ صلى الله عليه وسلم ثمّ تكوَّن علم الكلام في أواخر القرن الأوّل الهجري وبداية القرن الثاني، وظهرت المدرسة الاعتزالية في الكلام بواسطة واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ). وتبلورت مدرسة الأشاعرة عن طريق أبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠ هـ) عاش في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجري، ثمّ بعد ذلك ظهرت الفرقة الماتريدية. وقد تكوّنت المدرسة الكلامية للشيعة عن طريق أهل البيت في بداية ظهور الإسلام.

وقد تصدت هذه الفرق الكلامية للتفسير أيضاً، فكانت تأخذ من الآيات ما يوافق آراءها وتؤوّل الآيات المخالفة أو تقوم بتوجيهها بحقٍّ أو بغير حقٍّ؛ ومن هنا ظهرت الاتجاهات الكلامية في التفسير بأنواع مختلفة، وسوف نذكر بصورة مختصرة أهمّ هذه الاتجاهات مع ذكر كتبهم التفسيريّة.

اهتمامات الاتجاه الكلامي في التفسير:

ومن أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتجاه الكلامي هو:

١- الاهتمام بتفسير آيات العقائد (التوحيد والعدل والنبوّة والمعاد).

٢- الاهتمام بالآيات المتشابهة في القرآن.

٣- إثبات عقائد المفسر ونفي عقائد الآخرين عن طريق تفسير الآيات.

٤- إنّ بواعث المفسِّر هو الدفاع عن عقائد المسلمين أو الدفاع عن المدرسة الكلامية الّتي يتبنّاها.

٥- الاستفادة من المنهج الاجتهادي والعقلي في التفسير، واتّباع الطريقة الاستدلالية، إضافة إلى استخدام الروايات والآيات أيضاً، ولهذا فقد تشتمل التفاسير الكلامية على مناهج واتجاهات متعدّدة.

أنواع الاتجاهات الكلامية في التفسير:

١-الاتجاه الكلامي الاعتزالي في التفسير:

المعتزلة هم فرقة كلامية إسلامية ظهرت في أواخر القرن الأول الهجري وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، وسميت بذلك بسبب اعتزال إمامها واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ) مجلس أستاذه الحسن البصري لما أبداه واصل من رأي حول مرتكب الكبائر لم يرض عنه الحسن البصري وهو قوله: إن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ولا مؤمنا بل هو في منزلة بين المنزلتين.[١]

وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم، وقد غلب على تفسيرهم للقرآن الكريم وهي:[٢]

التوحيد: يعتقد المعتزلة أنّ الله تعالى واحد أحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهو ليس بجسم ولا صورة، ولا تراه العين، ولا تدركه الأبصار، فالصفات عندهم ليست شيئا غير الذات وإلا لتعددت القدماء.

---

[١] أحمد سعد الخطيب، **مفاتيح التفسير**، الرياض، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، الجزء ٢، ص ٨٤٣.

[٢] المرجع السابق، ص ٨٤٣ بتصرف.

العدل: وهو يعني أن الله تعالى لا يحب الفساد ولا يخلق أفعال العباد بل هم يفعلون ما أمروا وينتهون عما نهوا عنه بقدرة أودعها الله فيهم.

الوعد والوعيد: يعتقد المعتزلة أن الوعد بالثواب للطائعين، والوعيد بالعقاب للعصاة أمر واقع لا محالة وجوبا عليه تعالى، ولذلك لا غفران ولا شفاعة لأهل الكبائر.

المنزلة بين المنزلتين: وهي قولهم إن المسلم العاصي لا هو مؤمن ولا هو كافر ولكنه في منزلة بينهما، فإذا خرج من الدنيا بلا توبة فهو في النار خالدا فيها.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: يعتقد المعتزلة أن القيام به واجب على كل مسلم.

ومن أهمّ التفاسير الكلامية للمعتزلة التي تتفق ومذهبهم هي:[١]

١- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبّار الهمداني (ت ٤١٥هـ)، وهو شافعي في المذهب الفقهي، ومعتزلي في الكلام.

٢- غرر الفوائد ودرر القلائد المعروف بـ "أمالي الشريف المرتضي" (ت ٤٣٦ هـ)، وهو شيعي معتزلي.

٣- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، وقد تعرّض إلى المسائل الأدبية واللغوية أيضاً.

٤- جامع التأويل لمحكم التنزيل لأبي مسلم الأصفهاني (ت ٣٢٢ هـ)، ولا يوجد أصل هذا التفسير ولكن الفخر الرازي نقل عنه في تفسيره، وكذلك الطبرسي في مجمع البيان، وقد طُبعت آراء أبي مسلم الأصفهاني التفسيريّة في مصر وإيران بصورة مستقلّة، ويتميّز أبو مسلم بمنهجه العقلي في التفسير.

٥- وهناك تفاسير أُخرى للمعتزلة ليست في متناول اليد الآن، مثل: تفسير أبي بكر عبد الرحمن بن كيان الأصم (ت ٢٤٠ هـ)، وتفسير لمحمّد بن عبد الوهّاب بن

[١] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٣٩٠.

سلام (أبو علي الجبائي) (ت ٣٠٣ هـ)، وتفسير لعبد السلام بن أبي علي الجبائي (ت ٣٢١ هـ). وهناك تفسير كبير لعبد السلام بن محمّد بن يوسف القزويني (ت ٤٨٣ هـ) شيخ المعتزلة.

٢- الاتجاه الكلامي الأشعري في التفسير:

الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٠ هـ)، وهم يعتقدون بأنّ أعمال الإنسان مخلوقة الله، ولا يذهبون إلى أنّ الإنسان خالق لأفعاله، بل يقولون بالكسب، ولا يعتقدون بالحسن والقبح الذّاتي للأفعال، بل إنّ الحسن والقبح عندهم هو ما حسّنه أو قبّحه الشارع، وكذلك يعتقدون بأنّ العدل شرعيّ وليس عقلياً، ويذهبون إلى أنّ الإنسان الفاسق يعتبر مؤمناً، وأنّه يمكن أن تشمل المغفرة العصاة دون توبة، ويعتقدون بالشفاعة ويرفضون التوحيد الصفاتي، ويؤكّدون على التوحيد الأفعالي، وأنّ القضاء والقدر الإلهي وإرادته عامّة في جميع الحوادث، وأنّ الشرّ والخير من الله سبحانه وتعالى، وكلام الله قديم (الكلام النفسي وليس الكلام اللفظي)، وأنّ أفعال الله ليست معلّلة وليس لها غاية، وأنّ الله سوف يُرى يوم القيامة بالعين المادّية، وأنّ العالَم حادث زماني، وأنّه يجوز التكليف بما لا يطاق.

ومن أهمّ التفاسير الكلامية التي تؤيد مذهب الأشاعرة هي:

١- تأويلات القرآن لأبي منصور محمود الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ)، وهو في الفقه من أتباع مذهب أبي حنيفة، ويميل إلى المدرسة الكلامية الأشعرية.

٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لعبد الله بن أحمد بن محمود بن محمّد النسفي (القرن السابع). وقد دوّن هذا الكتاب من أجل نقد آراء الزمخشري في الكشّاف، و الإمام النسفي من أئمة المذهب الحنفي في زمانه.

٣- بيان المعاني لعبد القادر الملّا حويش آل غاري، حنفي المذهب، ومن أتباع المذهب الأشعري في الكلام.

٤- مفاتيح الغيب للفخر الرازي (ت ٦٠٢ هـ) ويطلق عليه إمام المشكّكين، وقد أسرف في ذكر المباحث الكلامية حتّى قيل في تفسيره: فيه كلّ شيء إلّا التفسير.

٣- الاتجاه الكلامي الشيعي في التفسير:

الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه، وقالوا إنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده. وبعضهم قال: إنه نص على إمامة علي جليا، وقيل: بل نص خفي، وهم فرق كثيرة منهم المعتدل والغالي. وترجع أصولهم إلى ثلاث فرق: إمامية، زيدية، وغلاة وهم الذين غالوا في التشيع.[١]

تعتقد الشيعة بالتوحيد الصفاتي، والعدل الإلهي، وقد أعطوا أهمية لكل من العقل والنقل، وذهبوا إلى أنّ الإنسان مختار في أفعاله، وينكرون التكليف بما لا يطاق، ويعتقدون بأنّ الله لا يُرى بالعين المادّية لا في الدنيا ولا في الآخرة. ومن أهمّ المسائل الكلامية للشيعة هو الاعتقاد بإمامة علي رضي الله عنه، والأئمّة الإثني عشر، وكذلك الاعتقاد بعصمة الأئمّة.

ومن أهمّ التفاسير الكلامية للشيعة هي:[٢]

١- تفسير الحسن العسكري (ت ٢٤٥ هـ).

٢- تفسير التبيان للشيخ أبي جعفر الطوسي (ت ٤٦٠ هـ).

٣- تفسير مجمع البيان لأبي علي الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) رغم كون التفسير من التفاسير الجامعة ولكنّه كثيراً ما يهتمّ بالمباحث الكلامية.

٤- الصافي لمحمد بن مرتضى الشهير بملا حسن الكاشي.

٥- مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار للمولى عبد اللطيف الكازراني.

٦- آلاء الرحمن في تفسير القرآن لمحمّد جواد البلاغي النجفي (١٢٨٢- ١٣٥٢ هـ)، وآخر هذا التفسير هو الآية ٥٧ من سورة النساء.

---

[١] أحمد سعد الخطيب، المرجع السابق، ص ٥٥٠.

[٢] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٤٥-٤٧.

٤- الاتجاه الكلامي الإباضي في التفسير:

الإباضية إحدى فرق الخوارج، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، وهم أكثر فرق الخوارج اعتدالا وأقربها إلى الجماعة الإسلامية تفكيرا، وأبعدهم عن الغلو والانحراف، ومن ثم فقد كتب لهم البقاء، وأماكن تواجدهم الآن في كل من سلطنة عُمان وليبيا وتونس والجزائر وتنزانيا.

والنشاط العلمي للإباضية من جهة التأليف والتصنيف محدود بالنسبة إلى غيرهم من أهل المذاهب الأخرى، ولعل ذلك راجع إلى الحالة السياسية التي قادت الخوارج عامة إلى حروب كثيرة؛ بالإضافة إلى نظرة الخوارج عامة إلى الذنوب ومنها الكذب، فهي تُخرج الإنسان عن الملة، وإن كان الإباضية خاصة لا يكفّرون بالذنوب كفر ملة بل كفر نعمة، ولعل هذه النظرة قد أوجدت عندهم تورعا وهيبة من تفسير القرآن مخافة أن يُخطئوا المراد فيقعوا في المحظور، ولذلك قيل لأحد الخوارج: لِمَ لمْ تفسر القرآن؟ فقال: كلما رأيت قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦]، أحجمت عن التفسير.[١]

ومن أهمّ التفاسير الكلامية للإباضية هي:[٢] هميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد بن يوسف إطفيش (ت ١٣٣٢ هـ)، وهو المرجع المهم للتفسير عند الإباضية من الخوارج.

الاتجاه الثاني: الاتجاه الفقهي:

الاتجاه الفقهي هو الذي يتناول آيات الأحكام في القرآن ويستخرج منها الأدلة الفقهية ويوضحها لصالح مذهب فقهي معين.

وقد نشأ الاتجاه الفقهي لتفسير آيات الأحكام من القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث بيّن لأصحابه مجملها وقيّد مطلقها وخصص عامها، ووضح لهم ما أشكل عليهم من ذلك، ومن الأمثلة على ذلك أنه كان يصلي بهم ويقول لهم:

[١] أحمد سعد الخطيب، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٢٨-٢٩.

[٢] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٤٥-٤٧.

"صَلُّوا كَما رأيتُمُونِي أصَلّي"، ويحج بهم ويقول: "خذوا عني مَناسِكَكم"، وقد بيّن لهم ما تجب فيه الزكاة ومقاديرها وأوقاتها، وهكذا جميع التشريعات.

ثم إن الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأوا يجتهدون في فهم دلالات أخرى من آيات الأحكام لم يسألوا عنها رسول الله، فيستنبطون الأحكام الشرعية من القرآن. وكانوا يتفقون أحيانا على الحكم المستنبط، وأحيانا يختلفون في فهم الآية، فتختلف أحكامهم في المسألة التي يبحثون عن حكمها. وهذا الخلاف يقع مع الصحابة حسبما يفهمه كلٌّ منهم في النص القرآني وما يحيط به من أدلة خارجية.

واستمرّ اهتمام الصحابة وتلاميذهم من التابعين بتفسير آيات الأحكام لكنه لا يتعدى المدارسة والإفتاء حتى جاء الإمام المقاتل بن سليمان الخراساني (ت ١٥٠ هـ)؛ فألف أول كتاب خاص في آيات أحكام القرآن، وهو التفسير بالمأثور في الدرجة الأولى مع زيادة بعض أرائه الخاصة. ثم بدأ بعض أئمة المذاهب وتلاميذهم في التأليف في هذا الباب.

اهتمامات الاتجاه الفقهي في التفسير:

وأكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتجاه الفقهي هو العناية بالأمور التالية:

١- تفسير الآيات الّتي تتضمّن أحكاماً فقهية تخصّ حياة الإنسان، وتبيّن تكليفه عن طريق الواجب، المستحب، الحرام، المكروه، والمباح، في أبواب العبادات والمعاملات والجنايات.

٢- استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن طريق آيات القرآن.

٣- قيام المفسر بالاجتهاد في الفقه، حيث يقوم ببيان رأيه في نهاية المطاف.

٤- استخدام المفسّر المنهج الفقهي في التحليل والاستفادة من الكتاب والسنّة والإجماع والعقل.

٥- يتنوّع التفسير الفقهي تبعاً للمباني الّتي يختارها المفسّر في الفقه والأُصول،

فإذا ما ذهب المفسّر الفقيه إلى حجيّة الخبر الواحد، أو الإجماع، فإنّ نتائج التفسير سوف تختلف عن المفسّر الّذي لا يعتقد بحجّيّتها.

أنواع الاتجاهات الفقهية في التفسير:

إنّ الاتجاه الفقهي للتفسير يختلف تبعاً لاختلاف المذاهب الفقهية، ونشير في الصفحات التالية إلى أهمّ هذه الاتجاهات:

١- الاتجاه الفقهي الشافعي :

يطلق لقب الشافعية على أتباع محمّد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) في الفقه، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام طبقاً لآرائه الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:[١]

١- أحكام القرآن لأبي الحسن الطبري المعروف بالكيا الهرّاسي (ت ٥٠٤ هـ).
٢- القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز لأبي العباس أحمد بن يوسف الحلبي (ت ٧٥٦ هـ).
٣- أحكام الكتاب المبين لعلي بن عبد الله محمود الشنفكي من علماء القرن التاسع الهجري.
٤- الإكليل في استنباط التنزيل لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

٢- الاتجاه الفقهي المالكي :

يطلق لقب المالكية على أتباع مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ)، وقد فسّروا آيات الأحكام طبقاً لآرائه الفقهية، ومن كتبهم في التفسير الفقهي :[٢]

١- أحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي (ت ٥٤٣ هـ).
٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت ٦٧١ هـ).

---

[١] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، الجزء ٢، ص ٤٧١.
[٢] المرجع السابق، ص ٤٧٢.

٣- الاتجاه الفقهي الحنفي :

يطلق على أتباع أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٣ هـ) في الفقه لقب الحنفية، حيث كتبوا وفسّروا آيات الأحكام على أساس آراء أبي حنيفة الفقهية. ومن كتبهم في التفسير الفقهي:[١]

١- أحكام القرآن للجصّاص (ت ٣٧٠ هـ).

٢- التفسيرات الأحمدية لأحمد بن أبي سعيد بن عبد الله (ت ١١٣٠ هـ)، المعروف باسم "ملاجيون" الحنفي.

٤- الاتجاه الفقهي الحنبلي :

يطلق على أتباع أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) في الفقه لقب الحنابلة، حيث ذهبوا في تفسير آيات الأحكام طبقاً لآراء أحمد بن حنبل الفقهية، ومن كتبهم في التفسير الفقهي:

١- آيات الأحكام لمحمّد بن الحسين بن محمّد بن الفرّاء (ت ٤٥٨ هـ).

٢- تفسير آيات الأحكام لشمس الدِّين محمّد أبي بكر الدمشقي المشهور بابن قيّم الجوزية (ت ٧٥١ هـ).

٣- أحكام الرأي من أحكام الآلاء لشمس الدِّين محمّد بن عبد الرحمن ابن الصايغ (ت ٧٧٦ هـ)

٥- الاتجاه الفقهي الشيعي الإمامي :

يفسر فقهاء الشيعة على أساس مذهب أهل البيت، ويفسّرون آيات الأحكام بالاستفادة من الروايات الواردة عن أهل البيت. ومن أهم التفاسير الفقهية للشيعة الإمامية هي:

١- أحكام القرآن للراوندي (ت ٥٧٣ هـ).

٢- زبدة البيان في أحكام القرآن للمقدّس الأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ).

---

[١] المرجع السابق، ص ٤٧١.

٣- كنز الفرقان في فقه القرآن لمقداد السيوري (ت ٨٢٦ هـ).

٦- الاتجاه الفقهي الشيعي الزيدي :

يطلق على أتباع زيد بن علي زين العابدين لقب الزيدية، وقد فسر فقهاء الزيدية آيات الأحكام على أساس مذهبهم. ومن أهم التفاسير الفقهية للزيدية:[١]

١- شرح الخمسمائة آية لحسين بن أحمد النجري من أهل القرن الثامن الهجري.

٢- الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة لشمس الدين بن يوسف بن أحمد من علماء القرن التاسع الهجري.

٣- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني (ت ١١٧٣ هـ).

وهناك بعض الكتب التي تناولت تفسير آيات الأحكام بطريقة مقارنة مثل تفسير آيات الأحكام لمحمّد علي السايس (ت ١٣٩٦ هـ)؛ وروائع البيان في تفسير آيات الأحكام لمحمّد علي الصابوني (ت ١٤٣٦ هـ). وهناك بعض الكتب التي تناولت آيات الأحكام على أساس التقسيم الفقهي إلى العبادات (الصلاة، الصوم و...)، العقود (النكاح و...)، الإيقاعات (الطلاق و...)، الأحكام القضائية (القصاص و...) وهناك من أضاف إليها الأحكام الحكوميّة (الولاية، الجهاد و...)، والأحكام الاجتماعية (الإرث، الوصية و...).

أثر المذهبية في التفسير الفقهي :

كان للمذهبية الفقهية أثرها الكبير في التفسير، ذلك أن التزام المفسر بمذهب معين وارتكازه عليه في تفسير آيات الأحكام لم يكن ليعدم آثارا إيجابية وأخرى سلبية كانت وراءها أسباب مختلفة ودوافع شتى.

---

[١] المرجع السابق، ص ٤٧٢. وأحمد سعد الخطيب، مفاتيح التفسير، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٥١٧.

فمن الآثار الإيجابية للاتجاه الفقهي في التفسير القائم على مذهب معين ما يلي :[١]

١ – يدفع هذا الاتجاه بالمفسر إلى استقصاء دقائق الأمور وتتبّعها في مختلف المظان التي تدخل في إطار المذهب المتبع، ويترتب على ذلك تفريع مختلف المسائل الجزئية والدقيقة وترتيبها حسب الأهمية التي يتطلبها الاستنباط الفقهي.

٢ – إن تتبع المفسر لمذاهب المجتهدين ومسائل خلاف الفقهاء العالي في إطار المذهب الواحد يدفع إلى تمحيص الآراء استنباطا وترجيحا، وتفصيل القول في مختلف جوانبها مما أدى إلى ظهور موسوعة فقهية شاملة.

ومن الآثار السلبية للتفسير الفقهي القائم على مذهب معين ما يلي :

١ – محاولة الانتصار للمذهب في بعض القضايا الفقهية مما يترتب عنه تعصب شديد وتحامل واضح على المذاهب الأخرى. وقد برز هذا الاتجاه بعد طغيان التعصب بين أتباع مختلف المذاهب الفقهية ابتداء من القرن الرابع الهجري حينما ظهر الاعتقاد بأن كل ما خالف المذهب تعوزه الحجة وينقصه الدليل، وبالتالي فهو مردود غير صحيح.

٢ – إن محاولة المفسر التوسع والإطناب في إطار المذهب تجعله يخل بمقاصد التأليف وأهداف البحث الفقهي، ذلك أنه غالبا ما يندفع المؤلف إلى التوسع في بحث مسائل وقضايا لا تدخل في إطار آيات الأحكام التي التزم بالاقتصار على دراستها، وقد يجنح إلى محاولة استقصاء أراء مختلف المجتهدين داخل المذهب ولو كانت غير ذات قيمة علمية في سياق الاستشهاد المراد، وقد يستطرد في بحث مسائل بعيدة عن مقاصد الآية ومضامينها.

---

[١] حسن عزوزي، **ملامح عن الاتجاه الفقهي في التفسير**، مجلة منار الإسلام، العدد ١١، ذو القعدة، فبراير ٢٠١١ م، أبوظبي، ص ١٨-١٩.

الاتجاه الثالث : الاتجاه اللغوي :

ظهرت الحاجة إلى شرح غريب مفردات القرآن، وتتبع جوهره، والبحث في إعرابه خلال عصر التابعين، فقد كانت السليقة العربية لدى الصحابة رضي الله عنهم تغني معظمهم عن السؤال والبحث عن ذلك، وكان من المتعذر أن نجد من ألفاظ القرآن، وإعرابه ما خفي على جمهور الصحابة، وذلك لأنهم من خلَّص العرب، يعرفون كلام العرب ومناحيهم في القول، ويعرفون الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد من ذلك من الشعر الجاهلي.[١]

لكن في عصر التابعين احتاج الناس إلى السؤال عن غريب لغة القرآن، ثم احتاجوا إلى إعرابه، وذلك بسبب عوامل ثلاثة:

١- ضعف السليقة اللغوية، فقد كان العرب قديما يربون أبناءهم في البادية حفاظا عليها.

٢- اختلاط المسلمين العرب من الفاتحين بغيرهم من الأقوام عن طريق المصاهرة.

٣- دخول عامة العجم إلى الإسلام وحاجتهم لمعرفة تعاليمه.

فظهرت بذلك الحاجة إلى البحث في لغة القرآن بسبب فشو اللحن، وفساد اللسان، فاهتم المفسرون من التابعين وأتباع التابعين بإعراب القرآن، وحرصوا على ذلك قبل تقعيد علم النحو، لإدراكهم بأن الإعراب هو الذي يقيم المعنى، حتى روي عن عمر بن الخطاب قوله: "تعلموا إعراب القرآن كما تتعلمون حفظه".[٢]

وقد شارك أتباعَ التابعين في التفسير جمعٌ من علماء اللغة وكتبوا فيه كالإمام الكسائي (ت ١٨٣ هـ) وتلميذه الإمام الفراء (ت ٢٠٧ هـ) الذي ألف كتابه الشهير معاني القرآن. كما شارك بعض اللغويين من المعتزلة مثل قطرب (ت ٢٠٦ هـ)، والأخفش (ت ٢١٠ هـ).[٣] فاتسع بعد ذلك مجال الاهتمام بلغة القرآن، وتنوعت العلوم التي تخدم هذه المادة، فظهر علم نقط القرآن وشكله، وعلم الوقف والابتداء، وعلم

---

[١] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٦٢.

[٢] أبو عبيد، **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه**، تحقيق أحمد الخياطي، الرياض، مشر وع وزارة الأوقاف، ١٤١٥هـ، الجزء ٢، ص ١٧٨.

[٣] فهد بن عبد الرحمن الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، ص ١١٤.

الغريب، وعلم لغات القرآن، وغيرها من العلوم. ثم ظهر في إطار الاتجاه اللغوي التأليف في إعراب القرآن الكريم، و غريب مفردات القرآن، و علم الوجوه والنظائر.

اهتمامات الاتجاه اللغوي في التفسير:

ومن أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتجاه اللغوي هو :

١- الاهتمام بمفردات القرآن مبنى ومعنى.

٢- الاهتمام بتحديد موقع الألفاظ القرآنية من الإعراب (التحليل الصرفي والنحوي).

٣- بيان غريب الألفاظ والوجوه والنظائر.

ولقد تطور الاتجاه اللغوي في التفسير في مناحي ثلاثة تالية :

الأول : منحى التفاسير اللغوية التي اهتمت بالمفردات.

الثاني : منحى التفاسير اللغوية التي اهتمت بإعراب القرآن.

الثالث : منحى التفاسير اللغوية الجامعة.

المنحى الأول: التفاسير اللغوية التي اهتمت بالمفردات :

وهي التفاسير التي يهتم صاحبها بمفردات القرآن اسما وفعلا وحرفا بالبيان، فينفرد كل لفظ ويدرسه من جهة الاشتقاق، مبرزا الوجوه التي جاء بها في القرآن، مبينا معناه إن كان غريبا. والتأليف في المفردات عند المفسرين اللغويين يسير في مسارين، فطائفة منهم تتبعت المفردات حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، وعلى هذا المنهج سار جل اللغويين، وطائفة ثانية رتبت مفردات القرآن على حروف المعجم.

وقد اتجهت همة المفسرين عامة – وأهل اللغة منهم خاصة – على بحث مفردات ألفاظ القرآن، لأن تحصيل معانيها هي الخطوة الأولى لمعرفة مراد الله تعالى فيما أنزل على رسوله. وبالنسبة للتفاسير اللغوية التي اهتمت بالمفردات يمكننا أن نميز فيها بين قسمين :

القسم الأول : المصنفات في غريب القرآن :

والغريب هو ما كان بعيد المعنى غامضا لا يتناوله الفهم إلا عن بعد، ومعاناة فكر. ومن المصنفات في غريب القرآن على ترتيب السور هي:

١- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثني (ت ٢١٠ هـ).
٢- معاني القرآن لسعيد بن مسعدة البلخي المعروف بالأخفش الأوسط.
٣- تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله المشهور بابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ).
٤- غريب القرآن وتفسيره لابن المبارك اليزيدي (ت ٢٣٧ هـ).
٥- معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ).
٦- غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود ابن حمزة الكرماني.

ومن المصنفات في غريب القرآن على ترتيب حروف المعجم هي:

١- تنوير القلوب لأبي بكر محمد السجستاني (ت ٣٣٠ هـ).
٢- مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ).
٣- تحفة الأريب لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ).

القسم الثاني: المصنفات في الوجوه والنظائر:

الوجوه هي المعاني المختلفة التي تكون للّفظ الواحد، والنظائر هي الآيات التي تشترك في ورود كلمة فيها بلفظ واحد ومعان متعددة.[١] ومن أهم المؤلفات في الوجوه والنظائر :

١- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠ هـ).
٢- ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد (ت ٢٨٥ هـ)
٣- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للدامغاني (ت ٤٧٨ هـ).
٤- معترك الأقران في مشترك القرآن لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ).

[١] فهد إبراهيم الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، ص ١٥١.

المنحى الثاني : التفاسير اللغوية التي اهتمت بإعراب القرآن :

وهي التفاسير والمصنفات التي تهتم بضبط القرآن وتعنى بإعراب كلماته، فالإعراب يوضح المعنى، ويبين الغرض، ويومئ إلى جمال التركيب، وحسن الصياغة...، والإعراب في القرآن كان شغل العلماء الشاغل، ألفوا من أجله الكثير من الكتب، والعديد من المصنفات.[١]

لقد كان إعراب القرآن والوقوف على معانيه هو الدافع إلى تقعيد علم النحو للاستفادة منه في فهم كتاب الله، وكان إقبال الأقوام الأعجمية التي دخلت الإسلام على القرآن عاملا مهما في توجيه الدراسات اللغوية لأجل خدمة الكتاب العزيز. ومنذ أفول القرن الثاني الهجري، تتالت التفاسير المصنفة في إعراب القرآن. وإذا كان المفسرون – عامة - يولون للنحو مكانة خاصة، فقد وجد من علماء اللغة من عكف على إخراج مصنفات في إعراب القرآن خاصة.

ومن أهم المؤلفات في إعراب القرآن ما يلي :[٢]

١- إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨ هـ).
٢- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ).
٣- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسن الأنباري (ت ٤٣٠ هـ).
٤- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت عبد الواحد صالح.
٥- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي.

المنحى الثالث : التفاسير اللغوية الجامعة :

وهي التفاسير التي تهتم بصورة موسّعة بالمفردات وتعقب الإعراب وشرح معاني الكلمات في الآيات القرآنية. وكان كتاب معاني القرآن لأبي زكريا يحيى الفراء (ت ٢٠٧ هـ) يعتبر كتابا موسعا يستفيد من مختلف علوم اللسان في التفسير. وكان الفراء لا يكتفي بذكر ما في الآية من أحكام أو تعليلات أو ما فيها من إعرابات، بل كان

[١] عبد العال سالم مكرم، **القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ص ٢٧١.
[٢] فهد عبد الرحمن الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، ص ١٣٨.

في الأغلب يوثق ذلك بالشواهد، سواء كان من القرآن الكريم، أو من الشعر العربي، أو من أقوال العرب، والكتاب غني بكل ذلك.

ويأتي بعد الفراء أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، فصنف "معاني القرآن وإعرابه" واتبع نفس المنهج الجامع معتمدا طريقة المفسرين اللغويين من حيث تتبعه للمفردات والإعراب وطريقة الأثريين الذين يفسرون بالنقل.

وكان من أشهر المفسرين اللغويين أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ)، الذي صنف "البحر المحيط" وجمع فيه بين طريقة الفقهاء ومنهج اللغويين، وأقاويل الأثريين. ويعتبر كتابه المرجع الأول لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن، وقد تكلم أبو حيان في كتابه على المعاني اللغوية للمفردات، ويذكر أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات الواردة مع توجيهها، كما أنه لا يغفل الناحية البلاغية، وقد غلبت عليه في تفسيره الناحية التي برز فيها وبرع فيها وهي الناحية النحوية التي طغت على ما عداها من نواحي التفسير.[١]

الاتجاه الرابع: الاتجاه العلمي:

العلم في اللغة مصدر مرادف للفهم والمعرفة والجزم والإدراك، وهو ضد الجهل أما في الاصطلاح فإن تعريف العلم يختلف باختلاف معرّفيه تبعًا لمجال تخصصهم.[٢] ويقصد بالاتجاه العلمي في التفسير هو الذي يهتم فيه المفسر بالعلم التجريبي في زيادة إيضاح معاني الآيات القرآنية وتوسيع مدلولاتها.

إن بدايات ظهور هذا الاتجاه من التفسير ترجع إلى القرن الخامس الهجري، وتحديدا إلى أبي حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥هـ) الذي دافع عن هذا الاتجاه ودعا إليه بقوة، وذلك لأن "العلوم كلها داخلة في أفعال الله عزَّ وجلَّ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارات إلى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهر التفسير لا يشير إلى

[١] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٣٢٦-٣٢٩ باختصار.

[٢] عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، بيروت، دار المعرفة، الجزء ١، ص ٥.

ذلك، بل كل ما أشكل فيه على النظارة واختلف الخلائق في النظريات والمقولات ففي القرآن رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها".[١]

وخلال القرن السادس برز الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) بوصفه علمًا ضخمًا من أعلام التفسير العلمي من خلال تفسيره الكبير: "مفاتيح الغيب" بل إنه اشتد كثيرًا على من لا يرى هذا التوجه، ووصفهم بالجهل والحمق.[٢]

ثم يأتي بعد ذلك ابن أبي الفضل المرسي (ت ٦٥٥ هـ) الذي أكد أن القرآن قد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل، مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك. ثم ظهر بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) كمؤيد قوي للتفسير العلمي حيث عقد فصلاً في كتابه "البرهان في علوم القرآن" عنوانه: في القرآن علم الأولين والآخرين. وأما جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) فقد ألف كتابه الإكليل في استنباط التنزيل، ونجده يسوق من الآيات والأحاديث والآثار ما يستدل به على أن القرآن مشتمل على كل العلوم.[٣]

ثم وجدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم، وراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر رواجا كبيرا بين جماعة أهل العلم، كما أُلِّفت التفاسير التي تسير على ضوء هذه الفكرة.[٤]

اهتمامات الاتجاه العلمي في التفسير:

ومن أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتجاه العلمي هو :

١- الاهتمام بتفسير الآيات تفسيرًا علميًّا وفق قواعد العلم الحديث وبيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث.[٥]

٢- الاهتمام بتحكيم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن والاجتهاد في

[١] عبد الحامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، الجزء ١، ص ٢٥٨.

[٢] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م، المجلد الرابع عشر، ص ١٢١.

[٣] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٥١٥.

[٤] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٥١٥.

[٥] صلاح عبد الفتاح الخالدي، **تعريف الدارسين بمناهج المفسرين**، دمشق، دار القلم، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٨م، ص ٥٦٦.

استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها.

٣- الربط بين الآيات الكريمة ومكتشفات العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية.

أبرز المؤلفات التي تنحى الاتجاه العلمي في التفسير:[١]

ومن التفاسير المشهورة التي تنحى إلى هذا الاتجاه هي الآتي :

١- مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير للفخر الرازي.

٢- الجواهر في تفسير القرآن الكريم للشيخ طنطاوي جوهري.

٣- كشف الأسرار النورانية القرآنية لمحمد بن أحمد الإسكندراني.

٤- الكون والإعجاز العلمي للقرآن للدكتور منصور حسب النبي.

٥- الإعجاز العددي للقرآن الكريم لعبد الرزاق نوفل.

٦- مع الطب في القرآن الكريم لعبد الحميد دياب والدكتور أحمد قرقوز.

٧- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم لزغلول النجار.

٨- القرآن ينبوع العلوم والعرفان لعلي فكري.

٩- القرآن والعلوم الحديثة لمحمد أبي الفيض المنوفي.

١٠- الإسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز إسماعيل.

١١- علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة لعبد الحميد الزنداني.

الاتجاه الخامس : الاتجاه الفلسفي :

منذ توسع الفتوحات الإسلامية للبلاد والشعوب الأجنبية والأمم والحضارات الأخرى، ودخول العديد من أبناء تلك الشعوب والحضارات في الإسلام، اعتمدت الحضارة الإسلامية مبدأ تمثل إنجازات الحضارات والشعوب والبلدان المفتتحة أولاً، ثم استيعابها ضمن النسيج الحضاري العلمي والمعرفي الإسلامي، والإضافة

[١] فهد عبد الرحمن سليمان الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، بيروت، مؤسسة الرسالة، الجزء ٢، ص ٦٠٥. **وأصول التفسير ومناهجه**، المرجع السابق، ص ١١٠.

عليها تالياً بعد أن تهيئ لأبناء الحضارة الإسلامية من المعارف والعلوم والخبرة والدربة ما يؤهلهم لذلك. ولذا، لم تتنكر الحضارة الإسلامية لإنجازات الأمم والشعوب والحضارات السالفة، بقدر ما اعترفت بمكانتها وأهمية نتاجاتها العلمية، ووظيفتها في بناء صرحها الحضاري الخاص والمميز فيما بعد.

في ظل الظروف والملابسات المتقدمة، بدأت حركة ترجمة كتب الفلسفة والمنطق وغيرها من الفنون والعلوم، من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، والفضل يرجع في هذه الحركة إلى العباسيين، إذ أنهم نظموا الترجمة الإسلامية وشجعوها. فبدأ الخليفة المنصور هذه الحركة في الترجمة، وتعهدها أبناؤه وأحفاده من بعده، وبلغ بها الخليفة المأمون الذروة في هذه الحركة، وأصبحت بغداد صرحاً علمياً يأتيها الطلاب من كل مكان.

وفي هذا الصدد، قال الشيخ الذهبي : "ولكي يحقق العباسيون غايتهم، استخدموا طائفة من الفرس والهنود والصابئة والنصارى، الذين كانوا على اتصال وثيق بالدراسات القديمة، فنقلوا إلى اللغة العربية كتب الفلاسفة اليونان، وعلوم الهند والفرس وفلسفاتهم. وقرأ بعض المسلمين هذه الكتب الفلسفية، فلم يرقهم ما فيها من نظريات وأبحاث، لأنهم وجدوها تتعارض مع الدين ولا تتفق معه بحال من الأحوال، فكرسوا حياتهم للردّ عليها ومناظرتها، وتحذير الناس منها، وكان على رأس هؤلاء : الإمام الغزالي، والفخر الرازي، الذي تعرض في تفسيره لنظريات الفلاسفة التي تبدو في نظره متعارضة مع الدين، ومع القرآن على الأخص، فردها وأبطلها بمقدار ما أسعفته الحجة، وانقاد له الدليل".[١]

"وقرأ بعض المسلمين هذه الكتب فأعجبوا بها إعجاباً كبيراً، رغم ما فيها من نظريات قد تبدو متعارضة مع نصوص الشرع القويم، وتعاليمه التي لا يلحقها الشك، ولا تحوم حولها الشبهة. ويمكن تفسير ذلك وتعليله بأنهم وجدوا أن في مقدورهم أن يوفقوا أو يوائموا بين "الحكمة" و"العقيدة"، أو بين "الفلسفة" و"الدين"، وأن يبينوا

[١] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٤٥١.

للناس أجمعين أن "الوحي" لا يناقض العقل في شيء، وأن العقيدة الصحيحة إذا استنارت بضوء "الحكمة"، تمكنت من النفوس، وثبتت أمام الخصوم".[١]

اهتمامات الاتجاه الفلسفي في التفسير:

ومن أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتجاه الفلسفي هو :

١ - الاهتمام بالتوفيق بين الفلسفة والدين والمؤاخاة بينهما حتى يصبح الدين فلسفة والفلسفة دينا.

٢ - الاهتمام بشرح القرآن الكريم بما يوافق النظريات الفلسفية التي لا يراها متعارضة مع الدين.

أبرز المؤلفات التي تنحى الاتجاه الفلسفي في التفسير:

١- فصوص الحكم للفارابي.

٢- الرسائل لإخوان الصفا.

٣- الرسائل لابن سينا.

الاتجاه السادس : الاتجاه الاجتماعي:

من المعروف أن القرآن الكريم يتعرض إلى الحياة الاجتماعية للبشر، وقد أولى المفسرون منذ القدم اهتمامهم بهذا البعد في القرآن من خلال تفسير الآيات المرتبطة بالقضايا الاجتماعية، إلا أن القرون الأخيرة شهدت رؤية اتسمت بالحداثة لهذا الموضوع، وخاصة بعد الحركة الاجتماعية التي قام بها السيد جمال الدين الأفغاني (ت ١٣١٥ هـ)، ثم تلميذه الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ) في مصر.

والمفسر ذو الاتجاه الاجتماعي يحاول إثبات صلاحية القرآن لهداية البشرية كافة في العصر الجديد من خلال كشف المعاني والمفاهيم الإرشادية للقرآن في جميع

[١] المرجع السابق، ص ٤٥٢.

القضايا المرتبطة بالحياة الإنسانية – و خاصة القضايا التي لها دخل في بناء المجتمع والإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي– و إيجاد الحلول المثلى لمعالجة المشاكل الاجتماعية بالاستناد إلى مدلولات ومفاهيم الآيات القرآنية.

وقد يقترن الاتجاه الاجتماعي في التفسير مع الاتجاهات العامة المتداولة في عصر المفسر كالاتجاه الجهادي، والاتجاه التربوي والإرشادي، والأدبي، و يعتبر هذا الاتجاه أحد أبرز إتجاهات التفسير في العصر الحاضر.

اهتمامات الاتجاه الاجتماعي في التفسير:

ومن أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتجاه الاجتماعي هو :

١- الاعتناء بالآيات التي تعالج للأمراض الاجتماعية، و تحل المشكلات السياسية، و القضايا الأسرية والتوسع في تفسيرها طلبا لعلاج مشكلات المجتمع.

٢- السعي إلى تبيين المفاهيم القرآنية من زاوية اجتماعية ناظرة إلى الأبعاد الوجودية للإنسان وتغيرات المجتمع والأهداف التربوية والإصلاحية وتشريع القوانين.

٣- السعي إلى كشف الأصول والقواعد والسنن التأريخية والاجتماعية في القرآن الكريم.

٤- الاهتمام بإيجاد انسجام في العلاقة بين الأهداف الدينية والأهداف الاجتماعية والعلوم الإنسانية.

أبرز المؤلفات التي تنحى الاتجاه الاجتماعي في التفسير:

إن المفسرين الذين أبدوا اهتماماً خاصاً بالمفاهيم الاجتماعية في تفسير الآيات القرآنية، يؤمنون بأن المجتمع الإسلامي غدا بعيداً عن المفاهيم القرآنية، وأنه لأجل إحياء الروح الاجتماعية للمسلمين، ينبغي تفسير القرآن في إطار الاهتمام بالمتطلبات والواقعيات الموجودة والملموسة في الحياة البشرية الحديثة.

وفيما يلي بعض التفاسير المعاصرة التي انتهجت أسلوب الاتجاه الاجتماعي :

١- تفسير المنار للشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٣ هـ)، ومحمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ).
٢- تفسير محاسن التأويل للشيخ جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ).
٣- تفسير المراغي للشيخ أحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ).
٤- تفسير في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب (ت ١٣٨٧ هـ).
٥- تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ).
٦- تفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي (ت ٢٠١٠ م).
٧- تفسير المنير للأستاذ الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت ٢٠١٥ م).
٨- الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي من كبار علماء الشيعة (ت ١٤٠٢ هـ).
٩- تفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية، من أحد علماء الشيعة (ت ١٤٠٠ هـ)

الاتجاه السابع : الاتجاه التربوي :

لقد حظي الجانب التربوي للقرآن الكريم بعناية المفسرين على مر العصور ومختلف الطبقات، ففي تضاعيف تفاسيرهم مادة كثيرة في هذا الموضوع، ولكن في العقود الأخيرة ومع تطور العلوم وتشعبها إلى أدق التخصصات أصبحت الحاجة ماسَّة لظهور تفاسير تخصصية تلبي حاجة العصر يتم فيها التركيز على جانب تربوي من القرآن، لما لهذا الجانب من أثر فاعل في الإسهام في تحقيق مقاصد القرآن الكريم وتفسيره.[١]

والتفسير ذو الاتجاه التربوي يعتني بالنظر إلى القرآن من زاوية تربوية تخصصية وذلك بالإفادة من معطيات العلوم التربوية في فهم القرآن، أو تطبيق النظريات التربوية على القرآن، أو التنظير لهذه العلوم على أساس القرآن. إن

[١] إبراهيم بن سعيد الدوسري، **ملامح التفسير التربوي للقرآن الكريم**، الرياض، دار الحضارة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ٧.

أهمية الاتجاه التربوي في التفسير تبرز في كونه ينسجم مع الهدف الأساس من نزول القرآن وهو الهداية والتربية.

اهتمامات الاتجاه التربوي في التفسير:

ومن أكثر ما يهتمّ به المفسِّر في الاتجاه التربوي هو :

١- الاهتمام بذكر الأهداف الإجرائية لكل مقطع من الآيات بأبعادها الثلاثة المعرفية والوجدانية والسلوكية باعتبار أن القرآن يخاطب العقل وينمي الوجدان ويهذب إلى السلوك.

٢- الاهتمام بذكر المحتوى التربوي للآيات وشرحها بما يتناسب والأهداف التربوية التي تسعى إلى إبرازها وربطها بالواقع.

أبرز المؤلفات التي تنحى الاتجاه التربوي في التفسير:

وفيما يلي بعض التفاسير المعاصرة التي انتهجت الاتجاه التربوي :

١- الأساس في التفسير للشيخ سعيد حوى.

٢- زهرة التفاسير للإمام محمد أبي زهرة.

٣- السهل المفيد في تفسير القرآن المجيد للأستاذ الدكتور عبد الحيّ الفرماوي.

٤- التفسير التربوي للقرآن الكريم لأنوار الباز.

مناهج التفسير

إن القرآن الكريم - وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - قد حظي باهتمام كبير من قبل أعلام المفسرين منذ عهد بعيد لفهم نصوصه المطهرة والعمل بما تتضمنه من أحكام عديدة فيها صلاح الحاضر والمستقبل لهذه الأمة العظيمة.

ولقد اختلفت المصادر التي استمد منها المفسرون مناهجهم لفهم القرآن الكريم لمحاولة التعرف على دقائق معناه وإبرازها في صورة لائقة لتكون في متناول الإنسان المسلم الذي يحب كتاب الله تلاوة وفهما والعمل بما يحويه هذا الكتاب من خيرَيْ الدنيا والآخرة، ولقد اعتمد المفسرون على مصادر عديدة تحددت منها مناهجهم وتعددت بتعدد تلك المصادر.

مفهوم مناهج التفسير:

والمناهج جمع منهج، والمنهج والنهج والمنهاج بمعنى واحد، وهو لغة: الطريق الواضح أو الطريقة الواضحة التي لا يلتبس على سالكها، قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة : ٤٨]، يقال "نهجت الطريق" أي سلكته، وفلان

يستنهج سبيل فلان أي يسلك ما سلكه، ونهج الأمر وأنهج لغتان إذا وضَّح. وهو الطريق الموصل إلى غاية من الغايات سواء كان مكاناً أو وسيلة، لتحقيق فكرة أو هدف، وسواء كانت هذه الغاية مفيدة أو ضارة، صواباً أو خطأ.

والمنهج اصطلاحا: هي الخطط العلمية الموضوعية المحدَّدة التي التزم بها المفسرون في تفاسيرهم للقرآن الكريم، لها قواعد وأسس منهجية مرسومة، ولها طرق وأساليب وتطبيقات ظهرت في تفاسيرهم. وقيل هو الطرق التي يتبعها المفسرون في تفسير كلام الله تعالى، والأداة والوسيلة التي يعتمد عليها لكشف الستر عن وجه الآية أو الآيات، فهل يأخذ العقلَ أداةً للتفسير أو النقل؟ وعلى الثاني فهل يعتمد في تفسير القرآن على نفس القرآن، أو على السنّة، أو على كليهما، أو غيرهما؟.

والفرق بين المنهج والطريقة هو أن الطريقة هي المظهر الشكلي التي سلكها المفسِّر في تفسيره لآيات القرآن الكريم وأما المنهج فهو الطريقة الموضوعية التي عالج بها المفسِّر قضايا التفسير المختلفة مع إبراز رأيه وتحديد موقفه حيال هذه القضايا بكل ما يمكنه من الوضوح.

ومنهج المفسِّر: هو الخطة المحدَّدة التي وضعها المفسِّر عند تفسيره للقرآن الكريم التي انعكست على تفسيره الذي كتبه، وصارت واضحة فيه، وهذه الخطة تقوم على قواعد وأسس.

وتختلف المناهج باختلاف العلوم، ولكل علم منهج بحث خاص يلائمه، وهكذا علم التفسير فقد اختلفت مناهج التفسير فيه تبعاً لاختلاف الاتجاهات الفكرية، حيث كان لكل مفسرٍ منهجه الخاص.

أقسام مناهج التفسير:

ويمكن تقسيم مناهج التفسير لدى المفسرين إلى قسمين رئيسين تندرج تحتهما مناهج متنوعة. وهما المنهج النقلي والمنهج العقلي. وذلك لأنّ المفسّر إمّا أن يعتمد في كشف اللثام عن وجه الآية على الأدلة النقلية وإما على الأدلة العقلية.

القسم الأول : المناهج النقلية في تفسير القرآن :

تعريف المنهج النقلي :

المنهج النقلي هو الذي يعتمد في بيان معاني الآيات القرآنية على ما ورد في القرآن الكريم والروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم[١]. وهو المعروف بالتفسير بالمأثور.

وقد اتخذ هذا المنهج عدة صور، وهي المنهج القرآني، والمنهج البياني للقرآن، ومنهج القراءات المفسرة، والمنهج الأثَري. فيما يلي بيان هذه الصور:

المنهج الأول : المنهج القرآني :

إن الناظر في القرآن الكريم يجد فيه أنه قد اشتمل على الإيجاز والإجمال والإطلاق والعموم، كما يجد فيه أيضا أنه قد اشتمل على الإيضاح والتبيين والتفسير والتقييد والتخصيص. فما أوجز في آيات قد بسط في آيات أخرى، وما جاء في آيات مطلقا في أمر فقد جاء في آيات أخرى ما يقيّده في أمور، وما ورد عاما في آيات فقد يدخله التخصيص في آيات أخرى.[٢]

والمنهج القرآني في عملية التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن، وينطلق من مقولة وهي إن القرآن يفسر بعضه بعضا. وهذا المنهج من أسمى المناهج الصحيحة الكافلة لتبيين المقصود من الآية كيف وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل : ٨٩]. وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكل شيء ولا يكون تبياناً لنفسه، كيف والقرآن كلّه هدى وبيّنة وفرقان ونور كما في قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[البقرة : ١٨٥]، وقال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء : ١٧٤]، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : "إنّ القرآن يصدّق بعضه بعضاً فلا تُكذبوا بَعضهُ بِبعضٍ"[٣].

[١] اختلف العلماء في التفسير المنقول عن التابعين، فبعضهم عدّوه من المنهج النقلي لأنهم قد نقلوه غالبا عن الصحابة، وبعضهم عدّوه من المنهج العقلي لكثرة اختلافهم عن الصحابة.

[٢] خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، بيروت، دار النفائس، ٢٠٠٧م، ص ١١٥.

[٣] أخرجه الطبراني، انظر : أبو القاسم الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله محمد وعبد المحسن بن إبراهيم

إن نشأة تفسير القرآن بالقرآن، كان في عهد مبكر، وكان أول من اعتمده هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، حيث قال في تفسير قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، إنما هو الشرك، أخذا من قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾.

وتفسير القرآن بالقرآن منهج صحيح من مناهج التفسير بناء على هذا المثال. وقد جاء تأصيله بوروده عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ في وروده عنه ما ينبه إلى استعمال هذا المسلك. ومما يدل على ذلك أن الصحابة لما استشكلوا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[الأنعام : ٨٢] قال لهم: إنه ليس بذاك ألا تَسمعُ إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان : ١٣]،[1] فكأنه صلى الله عليه وسلم يرشدهم إلى هذا المنهج بقوله: (ألا تسمع)، وكان يمكن إجابتهم وحل إشكالهم بدون الإشارة إلى الآية.

ومن البديهي أن يلتمس الرسول صلى الله عليه وسلم تفسير القرآن في القرآن نفسه، ذلك أنه ليس أعلم بالقول والمراد منه من قائله. وليس قليلا ما جاء في القرآن من تفسير بعضه البعض الآخر، ومن قبيل ذلك: أن ما ورد فيه موجزا في موضع قد بُسط في موضع آخر، وما جاء مجملا في مكان قد يبيَّن في مكان آخر، وما أطلق في جانب قد يقيّد في جانب آخر، وما كان عاما في سياق قد يخصص في سياق آخر، وما كان مبهما في آية قد يفسَّر في آية أخرى.

وقد ذكر العلماء أمثلة لكل ضرب من الضروب السابقة :

فبسط الموجز مثاله : ما جاء في قصص القرآن، ترد القصة الواحدة منها في أكثر من موضع، فترد في موضع موجزة تمر على رؤوس الأحداث مرورا. أو تبرز جانبا من جوانبها بما يقتضيه السياق من ذلك، وترِد في موضع أخر وقد بسط فيه ما أوجز في غيره. ونستطيع أن نطالع ذلك بوضوح في قصة آدم وإبليس، وقصة موسى

الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، الجزء ٥، ص ٣٠٢.

[1] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله لا تشْرِك بالله إن الشرك لظلم عظيم، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ١١٤.

وفرعون، وقصة إبراهيم مع قومه وغيرها.

وأما بيان المجمل: فقد مثلوا له بأن الإجمال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الزخرف: ١٧]، بيّن فيه المراد بقوله تعالى: ﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾، بأنه الأنثى وذلك في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨].

كما بين الله تعالى ما جاء في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، بقوله سبحانه: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

ومثال تقييد المطلق: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٤٣]، فإن إطلاق الأيدى فيها عند التيمم قد قيد بكونها إلى المرافق عند الوضوء، وذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

وأيضا ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ١٧٣]، فإن الدم في هذه الآية، وفي نظائرها كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾[المائدة: ٣]، وفي قوله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ} [النحل: ١١٥]، قد قيّد بكونه مسفوحا، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

على أنه مما ينبغي التنبيه إليه: أن حمل المطلق على المقيد مما يتفق عليه العلماء، وقد نقل السيوطي رحمه الله مواقفهم من ذلك، فقال: فمذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد في الجميع، ومن العلماء من لا يحمله، ويجوز اعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين - مع أنها مقيدة بكونها مؤمنة في كفارة القتل- ويكتفي في

التيمم بالمسح إلى الكوعين، ويقول إن الردة تحبط العمل بمجردها.[١]

وبغضّ النظر عن ترجيح أحد القولين، فإن كون حمل المطلق على المقيد صورة من صور تفسير القرآن بالقرآن ليس محل خلاف بين العلماء.

وأما تخصيص العام فهو على نوعين: إما مع اتصالة بالمخصص، أو مع انفصالة عنه، والنوع الأول صوره خمسة:

الأولى: الاستثناء، كما في قول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧].

الثانية: الوصف، كما في قول الله عز وجل: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣].

الثالثة: الشرط، كما في قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ﴾ [النور: ٣٣].

الرابعة: الغاية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٦].

الخامسة: بدل البعض من الكل، كما في قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وأما النوع الثاني: وهو تخصيص مع انفصال المخصص، فأمثلته كثيرة منها قول الله عز وجل: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣]. فإنه قد خُصص بقوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].[٢]

فمن الملاحظ من الآيات السابقة أن عموم وصف الشعراء باتباع الغاوين

---

[١] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص ٣٤٠.

[٢] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص ٣٢١.

إياهم وما تلاه قد خصص باستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وعموم تحريم بنات النساء قد خصص بالدخول بالأمهات، وعموم الأمر بمكانة الأرقاء قد خصص بعلم الخير فيهم، وعموم النهي عن حلق الرؤوس في الإحرام قد خصص ببلوغ الهدي محِله، وعموم فرض الحج قد خصص بالمستطيع، وعموم إباحة نكاح النساء قد خصص بالمحرمات منهن.

وأما تفسير المبهم: فمثاله ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥- ١٦]. فإبهام الرسول هنا قد جاء تفسيره في قوله تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦].

وفيما يلي بعض النماذج من تفاسير العلماء التي تسلك هذا المنهج.

١. ما ذكره الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧]، قال: فإن قال لنا قائل: فمَنْ هؤلاء المغضوب عليهم الذين أمرنا الله جل ثناؤه بمسألته أن لا يجعلنا منهم؟ قيل: هم الذين وصفهم الله جل ثناؤه في تنزيله فقال: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]. فأعلمنا جل ذكره بمنه ما أحل بهم من عقوبته بمعصيتهم إياه، ثم علمنا منه علينا، وجه السبيل إلى النجاة، من أن يحل بنا مثل الذي حل بهم من المثلات، ورأفة منه بنا.[1]

٢. ما ذكره الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] قيل إن هذه الكلمات مفسرة بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وروي هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وابي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وخالد بن معدان وعطاء

[1] محمد ابن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م، الجزء الأول، ص ١٨٥.

الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال أبو إسحاق السبيعي عن رجل من بني تميم قال اتيت ابن عباس فسألته ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه قال علم شأن الحج وقال سفيان الثوري عن عبد العزيز بن رفيع أخبرني من سمع عبيد بن عمير وفي رواية قال أخبرني مجاهد عن عبيد بن عمير أنه قال: قال آدم: يارب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته علي قبل أن تخلقني أو شيء ابتدعته من قبل نفسي قال: بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك قال: فكما كتبته علي فاغفر لي، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾.[١]

٣. ما ذكر الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾. قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت هذه الآية {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه قال يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه قال إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ إنما هو الشرك.[٢]

٤. ما ذكره الإمام الشنقيطي في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. قال: لم يبين هنا ما العالمون، وبين ذلك في موضع آخر بقوله: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٤].[٣]

٥. ما ذكره الإمام الشنقيطي في تفسير قوله سبحانه: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّين} [الفاتحة: ٤] قال: لم يبينه هنا - وبينه في قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الانفطار: ١٧-١٩].[٤]

إلى غير ذلك من الآيات التي استخدمها المفسرون لتفسير أختها الأخرى.

---

[١] ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، جدة، مكتبة جدة، المجلد الأول، ص ٥٦.

[٢] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، اختصار محمد علي الصابوني، جدة، مكتبة جدة، المجلد الأول، ص .

[٣] محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م، الجزء ١، ص ٤٧.

[٤] المصدر السابق، ص ٤٨.

وهذا النمط من التفسير كما يتحقّق بالتفسير الموضوعي، أي تفسير القرآن حسب الموضوعات؛ يتحقّق بالتفسير التجزيئي، أي حسب السور، سورة بعد سورة؛ ومن أشهر التفاسير التي تهتم بهذا النهج هو تفسير الإمام الشنقيطي المعروف بأضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، فقد بيّن هذا التفسير إبهام الآية بآية أُختها، وتفسير ابن كثير كذلك من التفاسير التي تهتم بتفسير القرآن بالقرآن. ومن المفسرين المؤخرين الذين يتسمون بهذا النهج هو عبد الكريم يونس الخطيب في كتابه المسمى بالتفسير القرآني للقرآن.

ولكن الصورة الكاملة لهذا النمط من التفسير يستدعي الإحاطة بالقرآن الكريم، وجمع الآيات الواردة في موضوع واحد، حتى تتجلّى الحقيقة من إلحاق بعضها إلى بعض، واستنطاق بعضها ببعض، فيجب على القائم بهذا النهج، تفسير القرآن على حسب الموضوعات، وهو نمط جليل يحتاج إلى عناء كثير.

ولا بد أن نقول ونحن نعرض هذا المنهج التفسيري، إن هذا المنهج في ذاته عملية تحتاج إلى إعمال الفكر والنظر في التوفيق بين الآيات التي يتعلق بعضها ببعض، وفي هذا يقول الدكتور الذهبي: هذا هو تفسير القرآن بالقرآن، وهو ما كان يرجع إليه الصحابة في تعرف بعض معانى القرآن، وليس هذا عملاً آلياً لا يقوم على شيء من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبر والتعقل، إذ ليس حمل المجمل على المبين، أو المطلق على المقيد، أو العام على الخاص، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهين الذى يدخل تحت مقدور كل إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة.[١]

المنهج الثاني : المنهج البياني للقرآن :

هذا المنهج الذي ابتكره الأستاذ الدكتور أمين الخولي - حسب ما تدّعيه تلميذته الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ -، عبارة عن استقراء اللفظ

[١] محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، القاهرة، مكتبة وهبة، ج ١، ص ٤١.

القرآني في كل مواضع وروده للوصول إلى دلالته وعرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم، وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة ثم سياقها العام في المصحف كلّه التماساً لسرّه البياني.[١] غير أنه يمكن اعتبار كتاب الجرجاني "دلائل الإعجاز في علم المعاني" أسس هذه الدراسات ولا يخفى علينا ما كان للإيديولوجيين من يد في إبعاد هذا المساق عن سبيل الدراسات اللغوية والأدبية والتي اقتصرت على الشعر، تاركة جوهر المعاني البيانية وفنون النظم القرآني جانبا.

ولقد حددت الدكتورة منهجها في التفسير الذي سارت عليه وهو المنهج الذي صرحت بأنه الذي احتطه الشيخ أمين الخولي في كتابه "مناهج تجديد". وهو يتخلص في الضوابط التالية :[٢]

أ : التناول الموضوعي لما يراد فهمه من القرآن، ويبدأ بجمع كل ما في الكتاب المحكم من سور وآيات في الموضوع المدروس.

ب : ترتّب الآيات فيه حسب نزولها، لمعرفة ظروف الزمان والمكان كما يستأنس بالمرويات في أسباب النزول من حيث هي قرائن لابست نزول الآية دون أن يفوت المفسّر أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية.

ج : في فهم دلالات الألفاظ يُقدّر أنّ العربية هي لغة القرآن، فيلتمس المفسر الدلالة اللغوية الأصلية التي تعطيه حس العربية للمادة في مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية. ثم يخلص لِلَمحِ الدلالة القرآنية بجمع كل ما في القرآن من صيغ اللفظ وتدبّر سياقها الخاص في الآية والسورة وسياقها العام في القرآن كله.

د : وفي فهم أسرار التعبير يحتكم المفسر إلى سياق النص في الكتاب المحكم ملتزما ما يحتمله نصاً وروحاً، ويعرض عليه أقوال المفسّرين فيقبل منها ما يقبله النص.

هذا خلاصة المنهج الذي نادى به الأُستاذ الأمين الخولي المصري واقتفت أثره تلميذته بنت الشاطئ، وهو منهج يختلف تماما عن المناهج المعروفة في تفسير القرآن

---

[١] جعفر السبحاني، المرجع السابق، ص ١٤٥.

[٢] انظر مقدمة التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة بنت الشاطئ، القاهرة، دار المعارف، ص ١٠.

سورة سورة يؤخذ اللفظ أو الآية فيه مقتطعا من سياقه العام في القرآن كله، مما لا سبيل معه إلى الاهتداء إلى الدلالة القرآنية لألفاظه أو استجلاء ظواهره الأسلوبية وخصائصه البيانية.[١] فخرج من هذا المنهج كتابها الشهير (التفسير البياني للقرآن الكريم) في جزأين تناول في الجزء الأول تفسير السور التالية: الضحى، والشرح، والزلزلة، والنازعات، والعاديات، والبلد، والتكاثر كما تناول في الجزء الثاني تفسير السور التالية: العلق، والقلم، والعصر، والليل، والفجر، والهمزة، والماعون.

ولا شك أنّه منهج جديد بين مناهج التفسير، إذ لا يماثل شيئاً مما أُلّف في القرون الماضية من زمن الإمام الطبري إلى العصر الأخير الذي عرف فيه تفسير الإمام محمد عبده وتفسير المراغي، فهذا المنهج لا يشابه مناهج التفسير السابقة، غير أنّه لون من التفسير الموضوعي أوّلاً، وتفسير القرآن بالقرآن ثانيا، والنقطة البارزة في هذا النمط هو استقراء اللفظ القرآني في كل مواضع وروده في الكتاب.

ومن أهم دعائم التفسير البياني، النظر في السياق، فإن ذلك من ألزم الأمور للمفسر عموما، وللمفسر البياني على الخصوص. فبالسياق يتضح كثير من الأمور ويتضح سبب اختيار لفظة على أخرى، وتعبير على آخر، ويتضح سبب التقديم والتأخير والذكر والحذف ومعاني الألفاظ المشتركة. ومراجعة المواطن القرآنية التي ورد فيها أمثال التعبير الذي يراد تبيينه ليستخلص المعنى المقصود، ومراجعة المواطن القرآنية التي وردت فيها المفردة التي يراد تفسيرها واستعمالاتها ومعانيها ودلالاتها ومراعاة خصوصيات في الاستعمال القرآني كاستعمال الريح للشر، والرياح للخير، والغيث للخير والمطر للشر، والعيون لعيون الماء، والصوم للصمت والصيام للعبادة المعروفة وغير ذلك.

ومن دعائمه أيضا النظر في الوقف والابتداء وأثر ذلك في الدلالة والتوسع في المعنى أو التقييد فيه وما إلى ذلك. وأن يسترعي نظره إلى أي تغيير في المفردة والعبارة

---

[١] عبد الغفار عبد العظيم، **الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير**، القاهرة، دار الأنصار، ص ٤٠١.

ولو كان فيما يبدو له غير ذي بال فإنه ذو بال، فإن وجد له تعليلا فذاك وإلا فسيأتي من ييسر الله له تعليله وتفسيره كالإبدال في المفردة نحو (يطّهّر) و(يتطهّر) و(يذّكر) و(يتذكر)، والذكر والحذف نحو (تذكرون) و(تتذكرون) و(يستطيع) و(يسطع) و(لاتتفرقوا) و(لاتفرّقوا)، وتغيير الصيغة نحو مغفرة وغفران، وعداوة وعدوان، ونخل ونخيل، والإدغام والفك نحو: ″من يرتد″ و″من يرتدد″ و″يشاق″ و″يشاقق″ وما إلى ذلك. وكذلك الأمر بالنسبة إلى العبارة.

وقال الإمام الزركشي في هذا الصدد: ″وأما [النظر في التفسير] بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول : باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب ومقابله من حيث إنها مؤدية أصل المعنى، وهو ما دل عليه المركب بحسب الوضع وذلك متعلق بعلم النحو.

الثاني : باعتبار كيفية التركيب من جهة إفادته معنى المعنى، أي لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء وهو الذي يتكفل بإبراز محاسنه علمُ المعاني.

الثالث : باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها، وباعتبار الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والتشبيه، وهو ما يتعلق بعلم البيان.

والرابع : باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله وهو ما يتعلق بعلم البديع فالمعرفة الواسعة والتبحر في علوم اللغة من ألزم الأمور للمفسر، وهي للمفسر البياني ألزم، فينبغي له أن يعرف المجرد والمزيد وأغراض الزيادة واختلاف الصيغ ومدلولاتها، وأن يكون له باع طويل في معرفة الاشتقاق وأحوال المشتقات.″[١]

١ بدر الدين الزركشي، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٣١٤.

فالمفسر في هذا المنهج يهتم في فهم لغة القرآن بالتتبع في جميع صيغ هذا اللفظ الواردة في القرآن الكريم ثم يخرج من ضمّ بعض إلى بعض بحقيقة المعنى اللغوي الأصيل، وهو لا يترك هذا العمل حتى في أوضح الألفاظ. مثلاً تتبع في تفسير قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ كل آية ورد فيها مادة "الشرح" بصورها، أو كل آية ورد فيها مادة "الصدر" بصيغه المختلفة، وهكذا في كل كلمة حتى وإن كان معناها واضحاً عندنا لكنّه لايعتني بهذا الوضوح، بل يرجع إلى نفس القرآن ثم يطبّق عليه سائر الضوابط من تدبّر سياق الآية وسياق السورة، وسياق الآية العام في القرآن كله.

ومن مآخذ هذا النوع من التفسير أنّه أمر بديع قابل للاعتماد، غير أنّه لا يكفي في تفسير الآيات الفقهية بلا مراجعة السنّة، لأنّها عمومات فيها مخصصها، أو مطلقات فيها مقيدها، أو مجملات فيها مبينها.

وهذا المنهج من التفسير يُغني عن كثير من الأبحاث اللغوية التي طرحها المفسرون، لأنّ المفسّر في هذا المنهج يريد أن يستخرج معنى اللفظ من التدبّر في النص القرآني، وكانت معاجم العربية وكتب التفسير تعينه في بداية الأمر.[1]

وفيما يلي النماذج من هذا المنهج:

١. ما ذكرته الدكتورة عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح ٢-٣]. قالت: "الوضع الحط والإلقاء والطرح والإسقاط وأكثر ما يستعمل فيما يثقل ويرهق فلقد استعمل الوضع في الولادة وليس أثقل من الحمل منها. وجاء استعمال الوضع للولادة بين الاستعمالات المجازية في أساس البلاغة للزمخشري، ونؤثر أن نعده من أصل الاستعمال اللغوي الأول.

وهذا الملحظ من الثقل المرهق، لا نخطئه في الاستعمال المجازي للمادة –كذلك إذ يقولون: وضعت الحرب أوزارها، ووضعت عنه الجنابة أسقطها. ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾. والإنقاض في الاستعمال اللغوي القرآني -كليهما- هو الحل والانتشار والتمزق تحت ضغط ثقيل ومعاناة. وقال أبو

[1] جعفر السبحاني، المرجع السابق، ص ١٥٢ بتصرف.

حيان: قال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمعت له صريرا من شدة الحمل، وسمعت نقيض المرجل أي صريره، والنيسابوري يذهب إلى مثل هذا في تفسير الآية".[١]

٢. ما ذكرته الدكتورة في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾. قالت: "واختلف المفسرون كذلك في النعيم ما هو ومتى يكون وكيف. ثم تخلص من ذلك كله بقولها: وأمام هذا الاختلاف بل أمام ذلك التفاوت الذي تأول النعيم بالنعلين والظل مرة، وبالرسول أخرى، وبكل نعيم الدنيا ثالثة نلوذ بالقرآن لنحتكم إليه فيما اختلفوا فيه ونلتمس لديه الحق المبين. والقرآن قد استعمل النعمة والأنعم والنَّعماء والنعيم وله في استعمالها ملحظ لا يختلف أبدا.

فالنعمة تستعمل فيما أنعم الله به على عباده من خير أو هداية في الدنيا. وقد جاءت بهذا المعنى ٤٩ مرّة مضافة إليه سبحانه وتعالى أو إلى ضميره جل شأنه أو هي نعمة منه جل جلاله. وجاءت مرّة واحدة في حديث موسى لفرعون بسورة الشعراء الآية ٢٢ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وهي أيضا نعمة بالدنيا لا الآخرة.."[٢].

المنهج الثالث : منهج القراءات المفسِّرة :

إن القراءات المفسرة هي منهج في التفسير يعتمد القراءات المتواترة التي تهدف إلى البيان والكشف عن أسرار التنزيل، والقراءات كالقرآن يفسر بعضها بعضا، ولاسيما عندما يكونان حقيقة واحدة.

وفي هذا المنهج يهتم المفسّر شديداً بالقراءات المتواترة[٣]، ويقف عليها، ويحمل بعض القراءات المتواترة على بعضها لإيضاح المعنى وبيان المراد من الآيات، وذلك لأن الاختلاف في القراءات القرآنية ساهم في تعدد المعاني واتساعها. وقد كان اختلاف

---

[١] عائشة بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، القاهرة، دار المعارف، ص ٦٨.

[٢] المرجع السابق، ص ٢٢٤.

[٣] القراءات المتواترة هي مانقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه.

القراءات سبباً في اختلاف المفسرين حول بيان المعنى المقصود من النص القرآني.

والذي ينبغي أن يصار إليه في هذا الصدد: هو أنه لا يعتبر في ذلك من هذه القراءات إلا القراءات المتواترة المقطوع بقرآنيتها، مثل قراءة الكوفيين حمزة، والكسائي، وخلف {فَتَثَبَّتُوا} من التثبّت في قوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ في سورتي النساء والحجرات. وهي قراءات الجمهور[١]، وهي من التبيّن، وهي تفسر قراءات التثبّت، إذ أن التبيُّن ليس مجرد التوقف وطلب الثبات والتأنّي إلى أن يتضح الأمر كما يفيده التثبّت، بل يتعداه إلى طلب البيان والتصفح مع الاستطلاع وبذل الجهد في التعرف.

أما القراءات الشاذة[٢] فلا ينبغي أن تعتبر من هذا النهج، إذ يترتب على كونها كذلك أنها قرآن وهي ليست بقرآن، بل ذهب العلماء إلى أنها من قبيل تفسير الصحابة الذي كانوا يكتبونه بجوار القرآن في المصحف، وكانوا آمنين من اللبس لكمال معرفتهم بالقرآن، ولأنهم هم الذين وضعوا التفسير بأنفسهم، ومع تقادم العهد اعتبرها البعض من أوجه القراءات التي صحتْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي ليست كذلك.

وكذلك ينبغي أن يعلم أنه ليس كل اختلاف بين القراءات يسبب الاختلاف في أوجه التفسير، بل إن القراءات من هذه الناحية تنقسم إلى قسمين:[٣]

أحدهما: قراءات لا يؤثر اختلافها في التفسير بحال:

وذلك كاختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات، كمقادير المد والإمالات، والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس، والغنة والإخفاء.

ومزية القراءات من هذه الجهة عائدة إلى أنها حفظت على أبناء اللغة العربية ما لم يحفظه غيرها، وهو تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف في مخرجها وصفاتها، وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق، وهذا غرض مهم جداً لكنه لا علاقة له

[١] الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ص ٢٤٤ و ص ٥١٢.

[٢] القراءات الشاذة هي ما لم يصح سنده.

[٣] أحمد سعد الخطيب، **مفاتيح التفسير**، الرياض، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠ م، الجزء الأول، ص ٧٦.

بالتفسير لعدم تأثيره في اختلاف معاني الآي.

ثانيهما : قراءات يؤثر اختلافها في التفسير:

وذلك مثل اختلاف القراء في حروف الكلمات؛ مثل ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ و ﴿مَلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وكذلك اختلاف الحركات، الذي يختلف معه معنى الفعل كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ﴾ حيث قرأ نافع "يصُدون" بضم الصاد، وقرأ حمزة "يصِدون" بكسر الصاد. والأولى بمعنى يصدون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى صدودهم في أنفسهم، وكلا المعنيين حاصل منهم. مثل ذلك مؤثر في التفسير، لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد عن نظيره في القراءة الأخرى أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة.

والنماذج من التفسيرات التي تسلك هذا المنهج هي الآتي :

١. قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة : ١٠]. قرأ عاصم وحمزة والكسائي وكذا خلف بفتح الياء وتسكين الكاف وتخفيف الذال أي يَكْذِبُونَ، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال أي يُكَذِّبونَ[١].

فالقراءة بالتخفيف معناها أنهم استحقوا العذاب الأليم بسبب كَذِبهم في إظهار الإسلام والإيمان وهم في باطنهم كافرون، فهم كاذبون في قولهم: آمنا بالله وباليوم الآخر. والقراءة بالتشديد معناها أنهم استحقوا العذاب الأليم بسبب تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم.

فحاصل القراءتين أن المنافقين سيعذبون العذاب الأليم بسبب كذبهم وتكذيبهم، ففي القراءتين تنوع في المعاني، إذ بينت إحدى القراءتين أنهم كاذبون في أخبارهم، وبينت القراءة الأخرى بأنهم يُكَذِّبون النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله تعالى، ومع هذا لا يقتضي هذا الاختلاف

[١] الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، ص ١٧٠.

التضاد في المعنى، لأن المراد بهما هم المنافقون، يقول مكي ابن أبي طالب القيسي : والقراءتان متداخلتان ترجع إلى معنى واحد، لأنَّ من كذب رسالة الرسل وحجة النبوة فهو كاذب على الله، ومن كذب الله وجحد تنزيله فهو مكذب بما أنزل الله.[١]

٢. قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]. فقرأ حمزة والكسائي فيهما إثم كثير بالثاء، وقرأ الباقون إثم كبير بالباء.[٢]

فمعنى قراءة حمزة والكسائي {إثم كثير} فمن الكثرة، وذلك لأن شرب الخمر يحدث معه آثام كثيرة من لغط وتخليط وسب وأيمان وعداوة وخيانة وتفريط في الفرائض وفي غير ذلك، فوصف بالكثرة، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة :٩١]، فذكر أشياء من الإثم .

يقول أبو حيان : ووصف الإثم بالكثرة إما باعتبار الآثمين فكأنه قيل فيه: للناس آثام، أي كل واحد من متعاطيها آثم، أو باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرفة، أو باعتبار من زاولها من لدن كانت إلى أن بيعتْ وشُريت فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر ولعن معها عشرة بائعها ومبتاعها والمشتراة له وعاصرها ومعتصرها والمعصورة له وساقيها وشاربها وحاملها والمحمولة له وآكل ثمنها، فناسب وصف الإثم بالكثرة بهذا الاعتبار.[٣]

---

[١] مكي بن أبي طالب القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية،١٩٨١ م، الجزء١، ص ٢٢٩.

[٢] الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

[٣] أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، بيروت، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، الجزء ٢، ص١٥٧-١٥٨.

أما معنى قراءة إثم كبير فهو من الكبر والعظم أي: فيها إثم عظيم، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، فكذلك ينبغي أن يكون إثما كبيرا لأنَّ شرب الخمر والميسر من الكبر، وفي هذا يقول الزجاج: فأما الإثم الكبير الذي في الخمر فبين، لأنها توقع العداوة والبغضاء، وتحول بين المرءِ وعقله الذي يميز به ويعرف ما يجب لخالقه.[١]

فحاصل القراءتين هو التأكيد على تحريم الخمر وذمها لعظيم إثمها وعقوبتها، وكذلك لكثرة آثامها، فلا تناقض بين القراءتين، لأنهما في ذم الخمر وتقبيح شاربها، فكل قراءة بينت أمراً هو فيها، وهو من باب الاتساع في المعاني الذي لا يقتضي التضاد والتباين، وكلتا القراءتين مراد الله عز وجل، وفي ذلك يقول أبو حيان: ذكر بعض الناس ترجيحاً لكل قراءة من هاتين القراءتين على الأخرى وهذا خطأ، لأنَّ كلاً من القراءتين كلام الله تعالى، فلا يجوز تفضيل شيء منه على شيء من قبل أنفسنا إذ كله كلام الله تعالى.[٢]

٣. قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]. قرأ عامة العشرة وهم لا يُفَرِّطُون بتشديد الراء، وقرأ الأعرج وهم لا يُفْرِطُون، بتخفيف الراء وسكون الفاء.[٣]

فمعنى قراءة العامة أن الملائكة لا يقصرون فيما يؤمرون به من توفي من تحضره المنية ولا يغفلون ولا يتوانون، أما قراءة الأعرج لا يُفْرِطُون فهو من الإفراط أي الزيادة، فهم لا يزيدون ولا يتوفون إلاَّ من أمروا بتوفيه لا يتجاوزن الحد في ذلك، فكما أن قراءة العامة لا يُفَرِّطُون لا يقصرون فيما

[١] أبو إسحاق الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، الجزء ١، ص ٢٩٢.

[٢] أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ١٥٨.

[٣] أبو الفتح عثمان بن جني، **المحتَسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق: علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٤م ٢٢٣/١.

يؤمرون به من توفّي من تحضر منيته، فكذلك أيضاً لا يزيدون، ولا يَتَوَفَّون إلاَّ من أُمِرُوا بتَوَفّيه، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].[١]

فدل بالقراءتين على أن الملائكة يفعلون ما يؤمرون به دون زيادة أو نقصان، فكل قراءة وضحت معنى هو من مراد الله عز وجل دون تضاد أو تناقض. وفي هذا يقول الزمخشري: يفرطون بالتشديد والتخفيف، فالتفريط التواني والتأخير عن الحدِّ، والإفراط مجاوزة الحدِّ، أي لا ينقصون مما أمروا به ولا يزيدون فيه.[٢]

من خلال ما تقدم يتبين بشكل واضح أن هذا المنهج يحاول استخدام الاختلاف في القراءات القرآنية لتفسير وتوضيح معاني الكلمات، وإن من مقاصد هذا الاختلاف هو التكثير من المعاني في الآية الواحدة، فكانت كل قراءة تلقي الضوء على جانب معين لم تبينْه القراءة الأخرى. ومن أشهر الكتب التي تسلك هذا المنهج كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب القيسي، وحجة القراءات لأبي زرعة. وعامة كتب التفسير تذكر وجوه القراءات لاستبيان معاني الآية.

المنهج الرابع: المنهج الأثري:

ومنهج التفسير الأثري هو تفسير القرآن بما أثر عن النبي والصحابة والتابعين، وقد ظهر هذا النوع من المنهج بعد رحلة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، ومن المشهورين في سلوك هذا المنهج بعد عهد الرسالة عبد الله بن عباس الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالفقه والحكمة وتأويل القرآن.

التفسير بالسنة:

ومن المعروف، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين لأصحابه كل ما يحتاج إلى بيان في القرآن، وضَّحتْ ذلك سنّته المطهرة وما مات رسول الله صلى الله عليه

[١] المصدر السابق.

[٢] أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، بيروت، دار الفكر. المجلد ٢، ص ٣٢.

وسلم إلا وقد بيّن لأصحابه رضوان الله عليهم كل ما لا سبيل لهم إلى علمه – في القرآن – إلا عن طريقه صلى الله عليه وسلم، وذلك امتثالا لأمر الله تعالى بالبيان: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقياما بمقتضيات الدعوة.

ولقد اهتم علماء الحديث لإبراز منزلة السنة المطهرة من القرآن الكريم، فبينوا أنها بمنزلته من حيث أنها وحي، ومن حيث أنها مصدر تشريعي يجب العمل بما فيها، وأنها تلي القرآن الكريم في المرتبة من حيث الاعتبار لأنها مبينة له.

ولقد لخص بعضهم أحوال السنة الشريفة مع القرآن الكريم في ثلاثة وجوه، ذكرها على النحو التالي :

الأول : ما كان موافقا للكتاب مؤيدا ومؤكدا ما جاء فيه كأحاديث الأمر بالصلاة والزكاة، وتحريم الربا ونحوها.

الثاني : ما كان مبينا ومفسرا لما جاء مجملا في القرآن فبينت السنة المراد منه كبيان كيفية الصلاة، وعدد ركعاتها وأوقاتها، وبيان شرط الفرع الوارث وغير ذلك.

الثالث : ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ليس فيه نص كتاب كتحريم لحم الحمر الأهلية.

والوجه الثاني يعتبر عنوانا عاما لمجالات بيان السنة للقرآن، ويمكن التمثيل لهذه المجالات فيما يلي:

(أ) تخصيصه صلى الله عليه وسلم العام في القرآن، كتخصيص الظلم بالشرك في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، ولقد روى البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو

يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾.[١]

(ب) تقييده المطلق فيه : كتقييد الحساب اليسير بالعرض، وقد روى البخاري في صحيحه أن عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ حوسب عذِّب، قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق : ٨]، قَالَتْ: فَقَالَ: " إِنَّما ذلك العرض، ولكنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ ".[٢] ففيه تفسير الحساب اليسير بالعرض.

(ج) توضيح المشكل : ومنه تفسير الخيط الأبيض والخيط الأسود ببياض النهار وسواد الليل، فقد روى مسلم عن عدي بن حاتم رضي الله عنه : لَمَّا نَزَلَتْ : ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾ [البقرة : ١٨٧]، مِنَ الْفَجْرِ قَالَ لَهُ عدي بن حاتم: يَا رسول اللهِ، إني أجْعل تحت وسادتي عقالين : عِقَالًا أَبْيَضَ وعقالًا أسودَ، أعرف الليل من النهار، فقال رسول اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ وِسَادَتَكَ لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ.[٣] وسبب هذا الإشكال هو تعدد المدلولات لمفردات الخيط الأبيض والخيط الأسود، ففهم عدي بن حاتم رضي الله عنه بعض تلك المدلولات، وهو العقال أو الحبل، بينما كان ما تدل عليه هو سواد الليل وبياض النهار كما اتضح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

(د) بيان المراد بلفظ أو متعلقه : كبيانه أن المراد بالمغضوب عليهم اليهود وبالضالين النصارى[٤]. في قوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وبيانه

[١] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله لا تشْرِك بالله إن الشرك لظلم عظيم، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ١١٤.

[٢] أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من سمع شيئا فرجع فيه حتى يعرفه، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ١، ص ٣١..

[٣] أخرجه مسلم في كتاب الصيام، باب أن الدخول في الصيام يحصل بطلوع الفجر، انظر: مسلم بن الحجاج النيسابوري، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٧٦٦.

[٤] أخرجه الطبراني في باب من اسمه محمد، انظر: أبو القاسم الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، الجزء ٦، ص ٢٧٩

المراد من قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران : ١٨٠]، وذلك ما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آتاه الله مالا فلم يؤدِّ زكاته مثل له ما له شجاعا أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه – يعنى شدقيه – يقول أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ...﴾ إلى آخر الآية[١] .

وبيانه المراد بالقول الثابت في قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم : ٢٧]. فعن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۖ﴾[٢].

وكذلك بيانه صلى الله عليه وسلم أن المراد بيوم الحسرة : هو يوم يذبح الموت، فعن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فنادى مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا، فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: ياأهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا، فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: ياأهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم : ٣٩].[٣]

(هـ) تحديده صلى الله عليه وسلم لبعض مبهمات القرآن، كتحديد العبد الصالح صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر.[٤]

---

[١] ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، القاهرة، دار الحديث، الجزء الثامن، ص ٢٣٠، كتاب التفسير ، باب : ولا يحسبن الذين يبخلون.

[٢] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ٨٠.

[٣] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب وأنذرهم يوم الحسرة، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ٨٠.

[٤] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب وإذ قال موسى لفتاه، انظر محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ٩٣.

هذا إلى جانب ما ذكره العلماء – كما قدمنا- من بيانه صلى الله عليه وسلم الأحكام الزائدة على ما في القرآن، وكذلك النسخ، وبيانه انتهاء عمل بحكم ما لمجئ غايته كما في قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥].

وقد جاء هذا البيان فيما رواه مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه، قال: فأنزل عليه ذات يوم فلقي كذلك، فلما سرى عنه قال: خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، الثيب بالثيب، والبكر بالبكر، الثيب جلد مائة، ثم رجم بالحجارة، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة.[١]

التفسير بأقوال الصحابة:

إن التفسير بأقوال الصحابة يعتبر طريقا من طرق التفسير وإن أقوالهم رضي الله عنهم يعتبر مصدرا من مصادر التفسير، يصار إليها عندما لا يوجد في الآية أو الآيات نص تفسيريّ من القرآن أو من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد نقلها المفسرون ودوّنوها في تفاسيرهم، فحفلت بها كتب التفسير بالمأثور.

و يمكن التمثيل لتفاسير الصحابة للقرآن في المجالات التالية:

(أ). تخصيص العام: ومثال ذلك ما ذكره الإمام السيوطي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، قال: "أخرج البخاريّ ومسلم وأحمد والتّرمذيّ والنّسائيّ وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطّبرانيّ والحاكم والبيهقيّ في الشّعب من طريق حميد بن عبد الرّحمن بن عوف: أنّ مروان قال لبوّابه: "اذهب يا رافع إلى ابن عباسٍ، فقل: لئن كان كل امرئٍ فَرِح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم

[١] أخرجه مسلم في كتاب الحدود، باب حد الزنا، انظر: مسلم بن الحجاج النيسابوري، المصدر السابق، الجزء ٣، ص ١٣١٦.

يفعل معذبًا، لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباسٍ: وما لكم ولهذه "إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيءٍ فكتموه إياه، وأخبروه بغيره فأرُوه أن قد استحمدوا إليه، بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم"، ثم قرأ ابن عباسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران : ١٨٧] كذلك حتى قوله : ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران : ١٨٨].[١]

(ب). تقييد المطلق : ومثال ذلك ما ذكره ابن جرير الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ [المائدة : ٨٩]، قال : "حدثني المثني قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: هو بالخيار في هؤلاء الثلاثة، الأولَ فالأول، فإن لم يجد من ذلك شيئًا فصيَام ثلاثة أيام متتابعات".[٢]

(ج). إيضاح المبهم : ومثال ذلك ما ذكره الثعلبي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم : ٤]، فقد أخرج بسنده عن ابن عباس قال: "لم أزل حريصا أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج رسول الله اللتين قال الله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ حتى حج عمر وحججت معه، فلما كنا ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالأداوة فتبرد ثم أتاني فسكبت على يديه، فتوضأ فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. فقال عمر: واعجبا لك يا ابن عباس. قال الزهري: كره والله ما سأله ولم يكتمه، ثم قال: هي حفصة وعائشة، ثم أخذ يسوق الحديث فقال: كنا معاشر قريش قوما نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم".[٣]

---

[١] جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت، دار الفكر، الجزء ٢، ص ٤٠٣.

[٢] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١٠، ص ٥٦١.

[٣] أبو إسحاق الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢ م، الجزء ٩، ص ٣٤٦.

(د) تبيين المجمل : وذلك مثل ما ذكره الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة : ٢١]، قال :"حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، يقول: مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا".[١]

(هـ) بيان النسخ : وذلك مثل ما ذكره الإمام السيوطي في تفسيره لقوله تعالى :﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة : ١٨٤]، قال : "أخرج وكيع وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة في المصنّف والبخاريّ وابن جرير وابن المنذر والبيهقيّ في سننه عن ابن عمر، أنه كان يقرأ ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ وقال: هي منسوخة نسختها الآية الّتي بعدها ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾".[٢]

(و) بيان أسباب النزول : وهذا كثير، لأن أكثر أسباب النزول تروى عن الصحابة، وفيها مؤلفات خاصة مشهورة.

التفسير بأقوال التابعين :

وأما تفسير التابعين فقد رجع المفسرون إلى أقوالهم عندما لم يجدوا النصوص التفسيرية من القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة. فهؤلاء المفسرون ينقلون أقوال التابعين في تفاسيرهم لأن أقوالهم خير من أقوال غيرهم، وتعدّ مصدرا من مصادر التفسير مع الاختلاف في حجيتها، ولأن التابعين أخذوا التفسير كثيرا عن الصحابة، ولأنهم من بعض القرون المفضلة، ويمكن التمثيل لمجالات التفسير التي تصدى لها التابعون ورجع إليها المفسرون وذكرها في تفاسيرهم في الأمور التالية :

(أ). بيان معاني الألفاظ : وذلك مثل ما رواه الإمام الطبري بسنده عن مجاهد في تفسيره لقوله تعالى : ﴿بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [الأحقاف : ٨]، قال : "قال مجاهد : تقولون".[٣]

---

[١] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ٢٠، ص ١٨٨.

[٢] جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، المصدر السابق، الجزء ١، ص ٤٣٢.

[٣] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ٢٢، ص ٩٧.

(ب). تخصيص العام : وذلك مثل ما رواه الإمام الطبري بسنده عن ابن شهاب الزهري في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة : ٢٣٤]، قال : "قال ابن شهاب: جعل الله هذه العدة للمتوفى عنها زوجها، فإن كانت حاملا فيحلها من عدتها أن تضع حملها، وإن استأخر فوق الأربعة الأشهر والعشرة فما استأخر، لا يحلها إلا أن تضع حملها".[١]

(ج) تبيين المجمل : وذلك مثل ما ذكره الإمام السيوطي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [البقرة : ٢٣٥]، قال : "أخرج سفيان وابن أبي شيبَة عَن مجَاهد في قوله ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ قال: لا يخطبها في عدتها ﴿إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قال : يقول : إنّك لجميلة وإنك لفي منصب وإنّك لمرغوب فِيك".[٢]

(د). تقييد المطلق : وذلك مثل ما رواه الإمام الطبري بسنده عن إبراهيم النخعي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة : ٨٩]، قال : "أنه [أي إبراهيم] كان يقول: من كانت عليه رقبة واجبة، فاشترى نسَمة، قال: إذا أنقذها من عمل أجزأته، ولا يجوز عتق من لا يعمل. فأما الذي يعمل، كالأعور ونحوه. وأما الذي لا يعمل فلا يجزئ، الأعمى والمقعد".[٣]

(هـ). بيان النسخ : وذلك مثل ما ذكره الإمام البغوي في تفسيره لقوله تعالى :﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء : ٨]، قال : "قال سعيد بن المسيّب والضحّاك : كانت هذه قبل آية الميراث [فلمّا نزلت آية الميراث] جعلت المواريث لأهلها، ونسخت هذه الآية".[٤]

---

[١] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ٥، ص ٨٠.

[٢] جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، المصدر السابق، الجزء ١، ص ٦٩٥.

[٣] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١٠، ص ٥٥٤.

[٤] محمد بن الفراء البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ، الجزء ١، ص ٥٧٢.

(و). إيضاح المبهم : وذلك مثل ما رواه الإمام الطبري بسنده عن سعيد بن جبير، في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء : ١٠٠]، قال: "كان رجل من خزاعة يقال له ضمرة بن العيص - أو: العيص بن ضمرة بن زنباع- قال: فلما أمروا بالهجرة كان مريضًا، فأمر أهله أن يفرُشوا له على سريره ويحملوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ففعلوا، فأتاه الموتُ وهو بالتَّنعيم".[١]

هذا، وقد ذاع المنهج الأثري من القرن الأوّل إلى عصرنا هذا، فظهر بين المفسرين من يكتفون في التفسير بالأثر المروي ولا يتجاوزون عنه، حتى أنّ بعض المفسرين لا يذكرون الآية التي لا يجدون حولها أثراً من النبي والصحابة، فإليك أشهر كتب التفاسير التي تسلك هذا النهج :

١. **تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري** (ت ٣١٠ هـ) وهذا الكتاب أوسع ما أُلّف في هذا المجال، ومن مزايا هذا التفسير ذكر الروايات مسندة أو موقوفة على الصحابة والتابعين، وقد سهّل بذلك طريق التحقيق والتثبيت منها، نعم فيها من الإسرائيليّات والمسيحيّات ما لا يحصى كثرة.

٢. **تفسير الثعلبي** (ت ٤٢٧ هـ) باسم "الكشف والبيان" وهو تفسير قيم، ومؤلّفه صاحب التفسير والعرائس في قصص الأنبياء، وكان مقرئا، مفسرا، واعظا، أديبا، حافظا كما قال ياقوت في معجمه، وعنه أخذ الإمام أبو الحسن الواحدي التفسير ، وأثنى عليه.

٣. **تفسير الدر المنثور للسيوطي** (ت ٩١١ هـ) ففيه ما ذكره الطبري في تفسيره وغيره، ويبدو من كتابه "الإتقان" أنّه جعله مقدّمة لذلك التفسير، وقد ذكر في خاتمة الإتقان نبذة من التفسير بالمأثور المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أوّل الفاتحة إلى سورة الناس.

---

[١] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ٩، ص ١١٤.

القسم الثاني : المناهج العقلية في تفسير القرآن :

تعريف المنهج العقلي :

يطلق منهج التفسير العقلي على ما يقابل التفسير النقلي، وهو ما يعتمد على الفهم العميق والمركّز لمعاني الألفاظ القرآنية، بعد إدراك مدلول العبارات القرآنية التي تنتظم في سلكها تلك الألفاظ وفهم دلالتها. فالمنهج العقلي يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص القرآنية وإدراك مقاصدها ومرامها من مدلولها ودلالتها، ووقوفه على معرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وما يتبع ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

وللعلماء تسمية للتفسير العقلي هي التفسير بالرأي. ويطلق الرأي في اللغة على الاعتقاد، والعقل والتدبير. كما يطلق الرأي في الاصطلاح على الاجتهاد. ومنه أطلق على أهل الفقه: أصحاب الرأي. وعلى ما تقدم، فإن التفسير بالرأي هو التفسير بالعقل والاجتهاد.[١]

ومنهج التفسير العقلي يعم جميع التفاسير العقلية سواء أكان التفسير بالعقل الفطري، أم بالقواعد الدارجة في المدارس الكلامية، أو بتأويلات الباطنية، أو الصوفية، أو التفسير حسب العلوم الحديثة. وبهذا صار أيضاً ملاكاً لتقسيم المناهج التفسيرية إلى المنهج العقلي والنقلي.

وقد يطلق ويراد به تفسير الآيات من منظار العقل الفطري والبراهين المشرقة غير الملتوية الواضحة لكلّ أرباب العقول، وهذا هو المراد في المقام، وهو بهذا المعنى قسم من المناهج التفسيرية العقلية.[٢] وفيما يلي بيان مناهج التفسير العقلية:

المنهج الأول : منهج التفسير الكلامي :

هذا هو القسم الأول من مناهج تفسير القرآن بالعقل أي بغير الأثر المروي، والمراد من هذا القسم هو إخضاع الآيات للعقائد التي اعتنقها المفسر في مدرسته

[١] خالد عبد الرحمن العك، المرجع السابق، ص ١٦٧.

٢ جعفر السبحاني، المرجع السابق، ص ٧٧ .

الكلامية، ونجد هذا اللون من التفسير بالعقل غالباً في تفاسير أصحاب المقالات: الأشاعرة والشيعة والمعتزلة والخوارج، فإنّ لهؤلاء عقائد خاصة في مجالات مختلفة، اعتقدوها حقائق على ضوء الاستدلال. وفي مجال التفسير حملوا الآيات على معتقدهم، وإن كان ظاهر الآية يأباه ولا يتحمّله، غير أنّ هذا النمط من التفسير بالرأي والعقل، يختلف حسب قرب المعتقد من مدلول الآية وبُعده عنه، فقد يكون التفسير قريبا من الآية مناسبا لمدلولها، وربما يكون التفسير بعيداً عن الآية، ولكن تتحمّلها الآية بتصرف يسير، وربما يكون الأصل الكلامي بعيداً عن الآية غاية البعد بحيث لا تتحمّله الآية حتى بالتصرف الكثير فضلاً عن اليسير.

ولا يمكننا التوسع في هذا المضمار بل نقتصر على تفسير الآيات على ضوء المدارس الكلامية الأشاعرة والشيعة والمعتزلة والخوارج، فلنقدم البحث في الأُولى.

منهج أهل السنة والجماعة في تفسير القرآن :

يقوم منهج أهل السنة والجماعة في التفسير على أسس واضحة بينة أهمها: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة لأنها شارحة للقرآن، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة لأنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها، واعتبار أقوال التابعين، وتفسير القرآن بعموم لغة العرب، والتحذير من التفسير بالرأي المجرد، والتقليل من شأن الإسرائيليات.[١]

نماذج من تفسيرهم :

إنّ الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ممّن فسر كثيراً من الآيات القرآنية على ضوء مذهبه ومنهجه الذي يتبعه وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو أشعري في العقيدة، شافعي في الفقه، فلنذكر نماذج من تفاسيره.

---

[١] فهد عبد الرحمن الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، الجزء الأول، ص ٨٦.

١. جواز التكليف بما لا يطاق :

إنّ جواز التكليف بما لا يطاق من مذاهب الأشاعرة ولقد احتج الرازي على مذهبهم بالآيات التالية :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة : ٦]، وقوله تعالى: {لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يس : ٧]، وقوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، إلى قوله تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر : ١١-١٧]، وقوله تعالى:﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد : ١]

ثمّ بدأ بتقرير دلالة هذه الآيات على جواز تكليف ما لا يطاق بوجوه أربعة :

أوّلاً : أنّه تعالى أخبر عن شخص معيّن أنّه لا يؤمن قط، فلو صدر منه الإيمان، لزم انقلاب خبر الله تعالى الصدق كذباً.

وثانياً : أنّه تعالى لمّا علم منه أنه لا يؤمن، فكان صدور الإيمان منه مستلزماً لانقلاب علمه تعالى جهلاً، وذلك محال ومستلزم المحال محال.

وثالثاً : أن وجود الإيمان يستحيل أن يوجد مع العلم بعدم الإيمان؛ لأنه إنما يكون علما لو كان مطابقا للمعلوم.

ورابعا : أنّه تعالى كلّف هؤلاء. الذين أخبر عنهم بأنّهم لا يؤمنون بالإيمان البتة ، والإيمان يعتبر فيه تصديق الله تعالى في كلّ ما أخبر عنه، وممّا أخبر عنه انّهم لا يؤمنون قط، فقد صاروا مكلّفين بأن يؤمنوا بأنّهم لا يؤمنون قط، وهذا تكلّف بالجمع بين النفي والإثبات.[١]

٢. إمكان رؤية الله :

ذهبت الأشاعرة إلى جواز رؤيته تعالى يوم القيامة، وهذا هو الأصل

[١] الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م، المجلد ٢، ص ٤٨.

البارز في مدرستهم الكلامية، وهذا واضح في تفسير الفخر الرازي عند تفسير الآية التالية :

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام : ١٠٢-١٠٣].

قال الفخر الرازي : "إنّ أصحابنا [الأشاعرة] احتجّوا بهذه الآية على أنّه تعالى تجوز رؤيته والمؤمنون يرونه في الآخرة من وجوه :

الوجه الأول : أنّ الله تعالى يمدح بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، وذلك مما يساعد الخصم عليه. فلو لم يكن جائز الرؤية لما حصل التمدّح بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ألا ترى أنّ المعدوم لا تصح رؤيته. والعلوم والقدرة والإرادة والروائح والطعوم لا تصح رؤية شيء منها ولا يمدح شيء منها في كونها {لا تدركه الأبصار} فثبت أنّ قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يفيد المدح.

الوجه الثاني : المراد بقوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ليس هو نفس الأبصار فإن الأبصار لا يدرك شيئا البتة في موضع من المواضع. بل المدرك هو المبصر.

الوجه الثالث : أنّ لفظ ﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ صيغة جمع دخل عليها الألف واللام فهي تفيد الاستغراق بمعنى أنّه لا يدركه جميع الأبصار، وهذا لا ينافي أن يدركه بعض الأبصار".[1]

المنهج الشيعي في التفسير:

إن الشيعة لهم منهج مستقل في التفسير ساروا عليه لا يشاركهم أحد في جميع جوانبه، وتتعدد نواحي الخلاف بين منهجهم ومنهج أهل السنة والجماعة في التفسير. فيقوم منهجهم على أسس أهمها: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن

[1] المصدر السابق، المجلد ١٣، ص ١٣١-١٣٢.

بالسنة ويعنون بها ما ورد عن طرق أهل البيت، وتفسير القرآن بالإجماع إذا كان الإمام المعصوم من المجمعين أو كان الإجماع يعتمد على دليل معتبر، أو كاشفا على رأيه في المسألة، ثم تفسير القرآن بدليل العقل الذي يرفض القياس والاستحسان والمصالح.[١]

نماذج من تفسيرهم :

لقد فسر مفسرو الشيعة الآيات التي يدعمون بها ما انفردوا به من أراء ويستندون إليها في إثباتها، ومن أهم القضايا التي يتناولونها في تفاسيرهم هي:

أولا : الإمامة :

إن الإمامة هي المحور الذي تدور حوله عقائد الشيعة وترتكز عليه مبادئهم، وقد حاول السيد الطباطبائي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة : ١٢٤] بما يوافق مذهبه ويؤيده، فقال: "إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً أي مقتدى يقتدي بك الناس، ويتبعونك في أقوالك وأفعالك، فالإمام هو الذي يقتدي ويأتم به الناس، ولذلك ذكر عدة من المفسرين أن المراد به النبوة، لأن النبي يقتدي به أمته في دينهم، لكنه في غاية السقوط"... إلى أن قال بعد سرد الآيات التي تتعلق بها: "ويستنتج من هنا أمران: أحدهما: أن الإمام يجب أن يكون معصوما عن الضلال والمعصية، وإلا كان غير مهتد بنفسه، فأفعال الإمام خيرات يهتدي إليها لا بهداية من غيره بل باهتداء من نفسه بتأييد إلهي. الثاني: عكس الأمر الأول وهو أن من ليس بمعصوم فلا يكون إماما هاديا إلى الحق البتة".[٢]

---

[١] فهد عبد الرحمن الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، المرجع السابق، الجزء ١، ص ١٩٣-١٩٤.

[٢] محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، الجزء ١، ص ٢٦٨-٢٦٩.

ثانيا : نكاح المتعة :

إن نكاح المتعة جائز عند الشيعة، وقد جزم بعض المفسرين من الشيعة هذا الحكم في تفاسيرهم. فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء : ٢٤]، قال السيد الطباطبائي: "والمراد بالاستمتاع المذكور في الآية نكاح المتعة بلا شك، فإن الآية نازلة في سورة النساء في النصف الأول من عهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة على ما يشهد به معظم آياتها، وهذا النكاح أعني نكاح المتعة كانت دائرة بينهم معمولة عندهم في هذه البرهة من الزمان بغير شك – وقد أطبقت الأخبار على تسلم ذلك – سواء كان الإسلام هو المشرع لذلك أو لم يكن، فأصل وجوده بمرئي من النبي ومسمع منه لا شك فيه، وكان اسمه هذا الاسم ولا يعبر عنه إلا بهذا اللفظ".[١]

ثالثا : التقية :

لقداعتقدت الشيعة أن التقية شعار لآل البيت، وهي جزء من دينهم. ومن أدلتهم قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ [آل عمران : ٢٨]. وقال السيد الطباطبائي في تفسير تلك الآية: "وفي الآية دلالة ظاهرة على الرخصة على التقية على ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما تدل عليه الآية النازلة في قصة عمار بن ياسر وسميّة وهي قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل : ١٠٦]. وبالجملة، الكتاب والسنة مطابقان في جوازها في الجملة والاعتبار العقلي يؤكده إذ لا بغية في الدين".[٢]

---

[١] المرجع السابق، الجزء ٤، ص ٢٧٩.

[٢] المرجع السابق، الجزء ٣، ص ١٧٧.

منهج المعتزلة في تفسير القرآن :

بنى معظم المفسرين من المعتزلة تفسيرهم على أسسهم من التنزيه المطلق، والعدل، وحرية الإرادة ونحو ذلك، ووضعوا أسسا للآيات التي ظاهرها التعارض فحكّموا العقل، ليكون الفيصل بين المتشابهات، وقد كان من قبلهم يكتفون بمجرد النقل عن الصحابة والتابعين، فإذا جاءوا إلى المتشابهات سكتوا وفوّضوا العلم لله.[١]

نماذج من تفسيرهم :

إنّ القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) وجار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ممّن فسر كثيراً من الآيات القرآنية على ضوء مذهبه ومنهجه الذي يتبعه وهو المذهب المعتزلي. وقد أيدا كثيرا من معتقدات المعتزلة عند تفسيرهما لبعض الآيات القرآنية، وفيما يلي النماذج من تفسيرهما.

أ: أفعال العباد :

يتأثر القاضى عبد الجبار بعقيدته الاعتزالية القائلة بأن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد، فيقول فى سورة الأنفال ما نصه: "مسألة - وربما قيل فى قوله تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ} [الأنفال: ١٧]، كيف يصح ذلك مع القول بأن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد؟ وجوابنا: أنه صلى الله عليه وسلم كان يرمي يوم بدر، والله تعالى بلغ برميته المقاتل، فلذلك أضافه تعالى إلى نفسه كما أضاف الرمية أولاً إليه بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، والكلام متفق بحمد الله."

ويقول في سورة الصافات ما نصه: "مسألة- وربما قيل في قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦] : أليس في ذلك تصريح بخلق أعمال العباد؟ وجوابنا: أن المراد: واللهُ خلقكم وما تعملون من الأصنام، فالأصنام من خلق الله، وإنما عملهم نحتها وتسويتها، ولم يكن الكلام في ذلك، فإنه

[١] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٣٨٠.

صلى الله عليه وسلم أنكر عبادتهم، فقال: أتعبدون ما تنحتون؟ وذلك الذي تنحتون الله خلقه. ولا يصح لما أورده عليهم معنى إلا على هذا الوجه، وذلك في اللغة ظاهر، لأنه يقال في النجار: عمل السرير - وإن كان عمله قد تقضي - وعمل الباب، ونظير ذلك قوله تعالى في عصا موسى: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥]: المراد ما وقع إفكهم فيه، فعلى هذا الوجه نتأوّل هذه الآية، معنى قوله من بعد: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ٩٩-١٠٠]".[1]

ب: المنزلة بين المنزلتين:

قد تأثر القاضي عبد الجبار أيضا بعقيدة المعتزلة التي ترى أن الفاسق في المنزلة بين المنزلتين، وهذا واضح في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]. وقد أورد الشيخ الذهبي هذا التفسير، فيقول القاضي ما نصه: "وكل ذلك يدل على أن الإيمان قول وعمل، ويدخل فيه كل هذه الطاعات، وأن المؤمن لا يكون مؤمناً إلا أن يقوم بحق العبادات، ومتى وقعت منه كبيرة خرج عن أن يكون مؤمناً".

ويقول القاضي في تفسير سورة الإنسان ما نصه: "مسألة - وربما قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]: أما يدل ذلك على أنه ليس من المكلَّفين إلا كافر ومؤمن؟ وجوابنا: أن الشاكر قد يكون شاكراً وإن لم يكن مؤمناً برَّاً تقياً، لأن الفاسق بغضب أو غيره قد يكون شاكراً فلا يدل على ما قالوا، بل في الآية دلالة على ما نقول من أن الكافر والمؤمن هما سواء في أن الله تعالى قد هداهما، لا كما قالت المجبِّرة: إنه تعالى إنما هدى المؤمنين. والمراد به أنه دلَّ الجميع وأزال عِلَّتهم، فمَن عصى فمِن جهة نفسه أُتِيَ".[2]

---

[1] نقلا عن: محمد حسين الذهبي، التفسير المفسرون، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٤٠٧.

[2] المرجع السابق، ص ٤٠٨.

ج : مرتكب الكبيرة في النار:

اتفقت المعتزلة على أنّ مرتكب الكبيرة مخلّد في النار إذا مات بلا توبة، وفي ضوء ذلك التجأوا إلى تأويل كثير من الآيات الظاهرة في خلافه نذكر منها آيتين :

الأُولى: يقول الله تعالى ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد : ٦].

إن ظاهر الآية يدلّ على عدم جواز الحكم القطعي بخلود مرتكب الكبيرة في النار إذا مات بلا توبة، لرجاء شمول مغفرة الربّ له، ولمّا كان ظاهر الآية مخالفاً للأصل الكلامي عند صاحب الكشاف، حاول تفسيرها بقوله : "فيه أوجه: أن يريد السيئات المكفَّرة لمجتنب الكبائر، أو الكبائر بشرط التوبة، أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال".[١]

الثانية : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء : ٤٨].

والآية واردة في حقّ غير التائب، لأنّ الشرك مغفور بالتوبة أيضاً، فمعنى الآية هو أنّ الله تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء وإن مات بلا توبة، فتكون نتيجة ذلك عدم جواز الحكم القطعي بخلود مرتكب الكبائر في النار، وقد حاول صاحب الكشاف التوفيق بين معنى الآية ومعتقداته، فقال:

"الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجهين بقوله تعالى: {**لِمَنْ يَشَاء**} كأنّه قيل : إنّ الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك، على أنّ المراد بالأوّل من لم يتب وبالثاني من تاب، نظير قولك: إنّ الأمير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء، تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله".[٢]

ومن هذا القبيل أيضاً، تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٩٣].

---

[١] محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل**، بيروت، دار الفكر، المجلد الثاني، ص ٣٥٠.

[٢] المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٥٣٢.

فقد فسره الزمخشري على ضوء مذهب الاعتزال من خلود أصحاب الكبائر إذا ماتوا بلا توبة في النار، وجعل هذه الآية من أدلة عقيدته، فقال: "هذه الآية فيها من التهديد والايعاد ، والإبراق والإرعاد ، أمر عظيم وخطب غليظ... إلى أن قال: والعجب من قوم يقرأون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة، ثمّ لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة، واتّباعهم هواهم، وما يخيل إليهم مناهم، أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾".[١]

منهج الإباضية في تفسير القرآن :

إن الإباضية هم أعدل فرق الخوارج وأقربها إلى تعاليم أهل السنة، وإنهم عندما ينظرون إلى القرآن لا يتعمقون في التأويل ولا يغوصون وراء المعاني الدقيقة، ولا يكلّفون أنفسهم عناء البحث عن أهداف القرآن وأسراره، بل يقفون عند حرفية ألفاظه، وينظرون إلى الآيات نظرة سطحية، وقد لا تنطبق الآية على ما يقصدون إليه، ولا تتصل بالموضوع الذي يستدلون بها عليه، لأنهم فهموا ظاهرا معطلا، وأخذوا بفهم غير مراد.[٢]

نماذج من تفسيرهم :

يعتبر تفسير هميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد بن يوسف إطفيش المرجع المهم عند الإباضية من الخوارج، وفيما يلي نماذج من تفسيره الذي يؤيد مذهبه:

أولا : حكم أصحاب الكبيرة :

ذهبت الإباضية أن مرتكب الكبيرة مخلَّد فى النار وليس بخارج منها. وهذا الاعتقاد ظاهر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ

[١] المصدر السابق، ص ٥٥٤.

[٢] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٣٣٥.

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].. يقول: ﴿سَيِّئَةً﴾ خصلة قبيحة، وهى الذنب الكبير، سواء أكان نفاقاً أو إشراكاً، ومن الذنوب الكبيرة: الإصرار، فإنه نفسه كبيرة، سواء أكان على الصغيرة أو الكبيرة، والدليل على أن السيئة: الكبيرة قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ .. ويحتمل وجه آخر وهو أن السيئة: الذنب صغيراً أو كبيراً، ثم يختَص الكلام بالكبيرة بقوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ . وإن قلتَ روى قومنا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن السيئة هنا الشرك. وكذا قال الشيخ هود - رحمه الله - إنها الشرك. قلتُ: ما ذكرته أولى مما ذكراه، فإن لفظ السيئة عام، وحمله على العموم أولى، إذ ذلك تفسير منهما لا حديث، ولا سيما أنهما وقومنا يعترفون بأن الكبيرة تُدْخِل فاعلها النار، ولم يحصروا دخولها على الشرك، ومعترفون بأن لفظ الخلود يُطلق على المكث الكبير، سواء أكان أبدياً، أو غير أبدى، وادعاء أن الخلود فى الموحِّدين بمعنى المكث الطويل، وفى الشرك بمعنى المكث الدائم، استعمال للكلمة فى حقيقتها ومجازها، وهو ضعيف، وأيضاً ذكر إحاطة الخطيئات ولو ناسب الشرك كغيره، لكنه أنسب بغيره، لأن الشرك أقوى ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ .. ربطته ذنوبه وأوجبت له دخول النار، فصار لا خلاص له منها، كمن أحاط به العدو، أو الحرق، أو حائط السجن، وذلك بأن مات غير تائب".[1]

ثانيا : مغفرة الذنوب :

اعتقدت الإباضية بأن الكبائر لا يغفرها الله إلا بالتوبة منها والرجوع عنها، وقد حمل محمد يوسف إطفيش كل آيات العفو والمغفرة على مذهبه، ويحمل على الأشاعرة القائلين بأن الله يجوز أن يغفر لصاحب الكبيرة وإن لم يتب.

وهذا واضح في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة : ٢٨٤]، يقول: "ولا دليل فى الآية على جواز المغفرة لصاحب الكبيرة الميت بلا توبة منها، كما زعم غيرها،

[1] نقلا عن محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ص ٣٤٩.

لحديث، هلك المُصِرّون".

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [آل عمران : ١٢٩]، يقول: "يغفر لمن يشاء الغفران له بأن يوفقه للتوبة، ويُعذِّب مَن يشاء تعذيبه بأن لا يوفقه، وليس من الحكمة أن يُعذِّب المطيع الموفى، وليس منها أن يرحم العاصي المُصِرّ، وقد انتفى الله من أن يكون ظالماً، وعد من الظلم: النقص من حسنات المحسن، والزيادة في سيئات المسيء، وليس من الجائز عليه ذلك، خلافاً للأشعرية في قولهم: يجوز أن يدخل الجنة جميع المشركين، والنار جميع الأبرار. وقد أخطأوا في ذلك ..."[١].

المنهج الثاني: منهج التفسير اللغوي :

هو منهج في التفسير عني بالجانب اللغوي ببيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب أو وافق القوانين المستفادة منها. وقد تمحض لاشتقاق المفردات وجذورها، وشكل الألفاظ وأصولها، فجاء مزيجا بين اللغة والنحو والحجة والصرف، وكان مضماره في الكشف والإبانة استعمالات العرب وشواهد أبياتهم، فابتنى الأصل اللغوي بكثير من أبعاده على الغريب والشكل والشوارد والأوابد في الألفاظ والكلمات والمشتقات، وقد سخِّرت بهذا طاقات اللغة العربية المتعددة لخدمة القرآن واستُشهد بها على تقرير قاعدة، أو تقعيد نظرية، أو بناء أصل لغوي أو نحوي أو صرفي، فتبلْورت في هذا السبيل عدة مسائل في الفروع والجزئيات والأصول والقواعد وعاد النص القرآني يقذف بإشعاعه حجة إثر حجة في سماء المعرفة اللغوية، وجلاء معاني الاستعمالات العربية.[٢]

وقد أثر في هذا الجانب هوى المتخصصين، ورغبة العلماء الباحثين فشكلوا بذلك مدرسة خاصة بهم تميّزت أبعادها في البحث عن لغة القرآن ومجاز القرآن وغريب القرآن ومعاني القرآن ومفردات القرآن. ولعل ابن عباس (ت ٦٢ هـ) هو أول

[١] نقلا عن محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ص ٣٥٠.

[٢] أحمد سعد الخطيب، المرجع السابق، الجزء ١، ص ٣٦٠.

من اعتمد المنهج اللغوي في تفسيره لعدد من آيات القرآن الكريم مستدلا عليه بالشواهد من كلام العرب، وأما رؤوس هذا المنهج في التفسير فثلاثة، وهم: أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) في كتابه معاني القرآن، وأبو عبيدة معمر بن المثني (ت ٢٠٩ هـ) في كتابه مجاز القرآن، وأبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ) في كتابه معاني القرآن.

وفيما يلي بيان لهذه الكتب:

١. **معاني القرآن** : لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧ هـ).

فسر الفراء مشكل إعراب القرآن ومعانيه على هذا المنهج اللغوي، وقد طبع الكتاب في جزأين، حقّقهما محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي. ويبدو من ديباجة الكتاب أنّ الفرّاء شرع في تأليفه سنة ٢٠٤ هـ والكتاب قيّم في نوعه، وإن كان غير واف بعامة مقاصد القرآن الكريم.

٢. **مجاز القرآن** : لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ).

يقول في مقدّمة الكتاب : "قالوا : إنّما أُنزل القرآن بلسان عربي ومصداق ذلك في آية من القرآن ، وفي آية أُخرى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم : ٤]، فَلم يحتج السلف ولا الّذين أدركوا وحيه إلى النبي أن يسألوا عن معانيه ، لأنّهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعمّا فيه ممّا في كلام العرب من وجوه الإعراب، ومن الغريب والمعاني".[١]

وهذا يعرب عن أنّه كان معتقداً بأنّ الإحاطة باللغة العربية، كافية في إخراج معاني القرآن.

ولايقصد أبو عبيدة من المجاز ما يقابل الحقيقة، بل يريد ما يتوقف فهم الآية على تقدير محذوف، وما شابه ذلك. مثلاً يقول أبو عبيدة : "ومن المحتمل من مجاز ما اختصر وفيه مضمر، قال : ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ﴾ [ص : ٦]، فهذا مختصر فيه ضمير مجازه : "وانطلق الملأ

[١] أبو عبيدة المثني، مجاز القرآن، تحقيق محمد فواد سزگين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ، ص ٨.

منهم" ثم اختصر إلى فعلهم وأضمر فيه وتواصوا أن امشوا أو تنادوا أن امشوا أو نحو ذلك".

وقال في آية أُخرى: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة : ٢٦]، فهذا من قول الكفّار، ثم اختصر إلى قول الله، وأُضمر فيه قل يا محمّد، "يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً" فهذا من كلام الله.

وقال: ومن مجاز ما حُذف وفيه مضمر، قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف : ٨٢]، فهذا محذوف فيه ضمير مجازه: واسأل أهل القرية، ومَن في العير.[١]

٣. معاني القرآن : لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، يحدّد ابن النديم تاريخ تأليف هذا الكتاب في نص قرأه على ظهر كتاب المعاني : ابتدأ أبو إسحاق إملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة ٢٨٥ هـ وأتمّه في شهر ربيع الأوّل سنة ٣٠١ هـ.

مصادر المنهج اللغوي في التفسير:[٢]

اعتمد المفسرون اللغويون في التفسير على عدة مصادر:

١. تفسير النبي اللغوي:

ومن تفسيره صلى الله عليه وسلم اللغوي تفسيره للوسط في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. قال: الوسط العدل".[٣]

٢. لغات القبائل:

فقد يكون أحدهم من قبيلة والكلمة القرآنية بلغة قبيلة أخرى فيسأل عنها أهلها، كما خفي معنى التخوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام رجل من هذيل وقال: التخوف عندنا هو التنقص.

---

[١] المصدر السابق، ص ٨-٩.

[٢] فهد سليمان الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، المرجع السابق، ص ١١٥.

[٣] أخرجه أحمد في باب مسند أبي سعيد الخدري، انظر: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، المصدر السابق، الجزء ١٧، ص ٣٧٢.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضالّةً أنشدت فجاء صاحبها فقال: أنا بعلها، أي ربّها، فقال ابن عباس: هو من قول الله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصفات: ١٢٥]، أي ربًّا.

٣. الشعر:

فقد كان الشعر ديوان العرب وقد سبق ذكر مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنهما.

نماذج من التفاسير التي تسلك المنهج اللغوي:

يعد تفسير البحر المحيط للإمام أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) من أشهر التفاسير وأهمها التي تسلك المنهج اللغوي في إيضاح القرآن، وهو المرجع الأول والأهم لمن يريد أن يقف على أصول الألفاظ القرآنية ووجوهها الإعرابية وتحليلاتها الصرفية. وفيما يلي النماذج من تفسيره:

١- ما ذكره الإمام أبو حيان عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، قال: النّاس: "اسم جمع لا واحد له من لفظه، ومرادفه: أناسيّ، جمع إنسان أو إنسي. قد قالت العرب: ناس من الجن، حكاه ابْنُ خَالَوَيْهِ، وهو مجاز إذْ أصْله في بني آدم، ومادَّته عِنْد سِيبَوَيْهِ رحمه الله والفرّاءِ: همْزةٌ ونونٌ وسينٌ، وحذِفتْ همْزته شذوذًا، وأصله أناسٌ ونطق بهذا الأَصل، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، فمادته ومادة الإنس واحدةٌ. وذهب الكِسائِيُّ غلى أن مادته نونٌ وواوٌ وسينٌ، ووزنه فَعَلَ مشتق من النوَسِ وهو الحركة، يقال: نَاسَ يَنُوسُ نَوَسًا إذا تحَرَّكَ، والنوَس: تذَبذُب الشيء في الْهواء، ومنه نَوَسَ القِرْطُ في الأذن وذلك لكثرة حركته. وذهب قوم إلى أنه من نَسِيَ، وأصله نَسِيَ ثم قُلب فصار نَيِسَ، تحركتْ الياء وانْفتح ما قبلها فقُلِبتْ ألفا فقيل: نَاسٌ، ثثم دخلت الأَلِفُ واللام. والكلام على هذه الأقوال مذكور في علم

التصريف...".[١]

٢- ما ذكره الإمام أبو حيان عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون : ١٢]، قال: "السُّلَالَةُ: فُعالَة من سللْتَ الشيء من الشيء إذا استخرجتَهُ منه. وقال أميَّة:

خلق البريّةَ مِنْ سلالةِ مُنْتِنٍ ... وإلى السّلالة كلّها ستعودُ

والولد سلالة أبيه كأنه انسلّ من ظهر أبيه. قال الشّاعر:

فجاءتْ به عَصْبَ الأديمِ غَضَنْفَرًا ... سُلالةَ فَرْجٍ كان غير حصِينِ وهو بناء يدل على القلة كَالقُلامَةِ وَالنُّحاتَة".[٢]

٣- ما ذكره الإمام أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون : ٧]، قال: "الْمَاعُونُ: فَاعولٌ من المعْن، وهو الشيء القليل. تقول العرب: ما له مَعْنٌ، أي شيء قليل، وقاله قُطرُبٌ. وقيل: أصله مَعونَة والألف عوض من الهاء، فوزنه مَفعَل في الأصلِ على مكرمَ، فتكون الميم زائدة، ووزنه بعد زيادة الألف عوضا ما فعل. وقيل: هو اسْم مفعول من أَعَانَ يُعِينُ، جاء على زنَة مفعولٍ، قلب فصارت عينُه مكان الفاء فصار مَوْعُونَ، ثم قلبت الواو ألفا، كما قالوا في بوَب بَابٌ فصار ماعون، فوزنه على هذا مَفْعُول. وقال أبو عبيدة والزَّجّاج والمُبَرِّد: الماعون في الجاهليّةِ: كل ما فيه منفعة حتى الفأسُ والدَّلوُ والقِدرُ والقَدَّاحَةُ، وكل ما فيه منفعة من قليل أو كثير".[٣]

المنهج الثالث : منهج التفسير الاجتماعي :

ومنهج التفسير الاجتماعي هو منهج في التفسير يعنى بإظهار ما في القرآن الكريم من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع، ومعالجة مشاكل الأمة الإسلامية خاصة ومشاكل الأمم عامة، والتوفيق بين القرآن وبين ما أثبته العلم من نظريات الحياة

[١] أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ، الجزء ١، ص ٨٥.

[٢] المصدر السابق، الجزء ٧، ص ٥٤٤.

[٣] المصدر السابق، الجزء ١٠، ص ٥٥١.

الاجتماعية.[١]

وهذا منهج جديد في التعامل مع القرآن الكريم، لأنّ النظرة الفاحصة في التفاسير التي ألّفت قبل القرن الرابع عشر يعرب عن أن الطابعَ العام لها هو تفسير الآيات القرآنية، وتبيين مفرداتها، وتوضيح جملها، وكشف مفاهيمها بمعزل عن المجتمع ومسائله ومشاكله، من دون أن يستنطقوا القرآن من أجل وضع الحلول المناسبة لمعاناتهم.

وتعتبر مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده زعيم علماء العصر الحديث مدرسة بارزة في هذا المجال، لقد جمعت هذه المدرسة أعلام الباحثين والقائمين على دراسة القرآن الانتهاج بهذا المنهج الفريد في تفسير القرآن، ومن أبرزهم الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد القادر المغربي، والشيخ مصطفى المراغي، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد طاهر ابن عاشور، والشيخ محمود شلتوت وغيرهم[٢].

لقد فسر هؤلاء الأعلام القرآن الكريم تفسيرا اجتماعيا، فأخذوا في صيافة المعاني التي يهدف إليها القرآن في أسلوب يأخذ بالقلوب ويظهر مواضع العبرة في كتاب الله، وطبقوا الآيات المنزلة على ما في الكون من سنن الاجتماع حتى أظهروا هداية القرآن، وبينوا ما أراد الله منه بيانا شافيا.

مميزات التفسير الاجتماعي ونماذجه :

ومن ميزات التفسير الاجتماعي لمدرسة الإمام محمد عبده وتلاميذه هي:

١. التحرر من قيود التقليد وإعمال العقل في الأقوال والآراء المروية في الآيات، وفهم كتاب اللّه من دون نظر إلى مذهب إمام دون إمام على وجه يكون القرآن هو المتبع دون مذهب الإمام.

وهذا واضح في تفسير المنار عندما فسر الشيخ محمد رشيد رضا آية الوصية للوالدين، وهي قوله تعال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

[١] نستخلصه من: محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٥٨٩.

[٢] انظر: عبد الغفار عبد الرحيم، **الشيخ محمد عبده ومنهجه في التفسير**، القاهرة، دار الأنصار، ص ٣٢٣ وما بعدها.

﴿ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ١٨٠].

وقال صاحب المنار : "الآية صريحة في جواز الوصية للوالدين ولا وارث أقرب للإنسان من والديه، وقد خصّهما بالذكر لأولويتهما بالوصية ثمّ عمّم الموضوع وقال : "والأقربين" ليعم كلّ قريب وارثاً كان أم لا، غير انّ جمهور الفقهاء من أهل السنّة رفضوا الآية وقالوا بأنّ الآية منسوخة بآية المواريث، ولكنّ الإمام عبده خالف رأي الجمهور وقال : لا دليل على أنّ آية المواريث نزلت بعد آية الوصية هنا، فانّ السياق ينافي النسخ، فانّ الله تعالى إذا شرع للناس حكماً وعلم انّه مؤقت وانّه سينسخه بعد زمن قريب فانّه لا يؤكّده ولا يوثّقه بمثل ما أكّد به أمر الوصية هنا من كونه حقّاً على المتّقين ومن وعيد لمن بدله".[1]

وهذا دليل على أنّ الإمام نظر إلى الآية بعقلية حرة من دون أن يتبع رأي الأئمّة الأربعة وبذلك وجه لوم المتحجرين إلى نفسه كما هو شأن كلّ مصلح.

٢. الاهتمام ببيان نظم الاجتماع ومشاكل الأُمّة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأُمم عامة، وبيان علاجها بما أرشد إليه القرآن من أُصول وتعاليم.

وهذا ظاهر في تفسير الإمام محمد عبده لآية التواصي بالصبر، وهي قوله تعالى : ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر : ٣]، قال الإمام : "والصبر ملكة في النفس يتيسر معها احتمال ما يشق احتماله، والرضى بما يكره في سبيل الحقّ، وهو خلق يتعلّق به بل يتوقّف عليه كمال كلّ خُلق، و ما أُوتي الناس من شيء مثل ما أُتوا من فقد الصبر أو ضعفه، كلّ أُمّة ضعف الصبر في نفوس أفرادها، ضعف فيها كلّ شيء، وذهبت منها كلّ قوة، ولنضرب لذلك مثلاً : نقص العلم عند أُمّة من الأُمم كالمسلمين اليوم، إذا دقّقت النظر وجدت السبب فيه ضعف الصبر، فإنّ من عرف باباً من أبواب العلم، لا يجد في نفسه صبراً على التوسع فيه، والتعب في تحقيق مسائله، وينام على فراش من

[1] محمد رشيد بن علي رضا، **تفسير المنار**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، الجزء ٢، ص ١٠٢ وما بعدها.

التقليد هين لين، لا يكلفه مشقة، ولا يجشمه تعباً، ويسلّي نفسه عن كسله بتعظيم من سبقه، ولو كان عنده احترام حقيقي لسلفه ، لاتّخذهم أُسوة له في عمله، فحذا حذوهم ، وسلك مسلكهم ، وكلّف نفسه بعض ما حمّلوا أنفسهم عليه واعتقد كما كانوا يعتقدون انّهم ليسوا بمعصومين".[١]

والمتتبع لتفسير الإمام محمد يجد هذا الاهتمام كثيرا من كتابه "تفسير جز عم"، فعندما يفسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ [الانفطار : ١٣]، يوضح معنى البر وما يكون به الإنسان من الأبرار، ثم يقول: "فلا يعد الشخص بَرا ولا باراً حتى يكون للناس من كسبه ومن نفسه نصيب فلا يغترَّن أُولئك الكسالى الخاملون، الذين يظنون أنهم يدركون مقام الأبرار بركعات من الخشية خاليات، وبتسبيحات وتكبيرات وتحميدات ملفوظات غير معقولات، وصيحات غير لائقات بأهل المروءة من المؤمنين والمؤمنات، ثم بصوم أيام معدودات، لا يجتنب فيها إيذاء كثير من المخلوقات، مع عدم مبالاة الواحد منهم بشأن الدين قام أم أسقط، ارتفع أو انحط. ومع حرصه وطمعه لما فى أيدى الناس، واعتقاده الاستحقاق لما عندهم، لا لشيء سوى أنهم عاملون فى كسب المال وهو غير عامل، وهم يجرون على سُنَّة الحق وهو مستمسك بسُنَّة الباطل، وهم يتجملون بحلية العمل وهو منها عاطل، فهؤلاء ليسوا من الأبرار، بل يجدر بهم أن يكونوا من الفُجَّار".[٢]

٣. التوفيق بين القرآن والنظريات العلمية على وجه لا يكون القرآن مخالفاً للعلم.

والمثال على ذلك ما يذكره الإمام محمد عبده في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ قال: "انشقاق السماء مثل انفطارها الذي مر تفسيره في سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ وهو فساد تركيبها واختلال نظامها عندما يريد الله خراب هذا العالم الذي نحن فيه، وهو يكون بحادثة من

[١] تفسير جزء عم لمحمد عبده، نقلا عن: محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٦٠٤.
[٢] تفسير جزء عم لمحمد عبده، نقلا عن: محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٦٠٦.

الحوادث التي قد ينجر إليها سير العالم، كأن يمر كوكب في سيره بالقرب من آخر فيتجاذبا فيتصادما فيضطرب نظام الشمس بأسره، ويحدث من ذلك غمام وأي غمام، يظهر في مواضع متفرقة من الجو والفضاء الواسع، فتكون السماء قد تشققت بالغمام واختل نظامها حال ظهوره".[١]

المنهج الرابع: منهج التفسير العلمي :

هو منهج في التفسير يعنى بكشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز القرآن ويدل على مصدره وصلاحيته لكل زمان ومكان.[٢]

حكم التفسير العلمي :

لقد اختلف العلماء في حكم هذا النوع من التفسير إلى مؤيد، ومعارض، وإلى طائفة أخرى معتدلة، ولكل منهم حججه وبراهينه.[٣]

أدلة المؤيدين للتفسير العلمي :

١- أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على ألوهيته وقدرته وسعة علمه بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وأحوال الشمس والقمر والنجم، فلو لم يكن البحث عنها جائزا لما ملأ الله كتابه منها.

٢- أن الله تعالى يقول: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق : ٦]. فهذه الآية تحث على التأمل في أنه تعالى كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلى التأمل في أنه كيف بناها، وكيف خلق كل واحد منها.

٣- أن في التفسير العلمي إدراكا لوجوه جديدة للإعجاز القرآني.

---

[١] المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٦٠٩.

[٢] فهد سليمان الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، الجزء ١، ص ٤٥٩.

[٣] فهد سليمان الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، ص ١٠٧-١٠٩.

٤- أن يملأ النفس إيمانا بعظمة الله وقدرته حينما يقف الإنسان في تفسير كلام الله على خواص الأشياء، ودقائق المخلوقات حسب ما تصورها علوم الكون.

أدلة المعارضين للتفسير العلمي :

١- أن إعجاز القرآن ثابت وهو غني عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف الذي قد يذهب بإعجاز القرآن.

٢- أن الدعوة القرآنية إلى النظر في الكون والعلوم هي دعوة عامة إلى موضع العظة والتفكر وليست بدعوة إلى بيان دقائقها وكشف علومها.

٣- أن التفسير العلمي مدعاة للزلل لدى أكثر الذين خاضوا فيه لأن عملية التوفيق تفترض غالبا محاولة للجمع بين موقفين يُتَوهّم أنهما متعارضان ولا تعارض، بمعنى أنه لا يحالف النجاح كلّ عملية من عمليات التوفيق.

٤- أن تناول القرآن بهذا المنهج من التفسير يضطر المفسر إلى مجاوزة الحدود التي تحتملها ألفاظ النص القرآني الكريم، لأنه يحُسُّ بالضرورة متابعة العلم في مجالاته المختلفة مع أن كثيرا من حقائق العلم مؤقتة ومتغيرة ولا تظهر كلها دفعة واحدة، بل تنكشف يوما بعد يوم، وحيتئذ يكون التعجل في تلمس المطابقة بين القرآن والعلم تعجلا غير مشروع.

٥- أن ما يُكتشف من العلوم إنما هو نظريات وفروض كل قيمتها أنها تصلح لتفسير أكبر قدر من الظواهر الكونية أو الحيوية أو النفسية أو الاجتماعية إلى أن يظهر فرض آخر يفسر قدرا أكبر من الظواهر أو يفسر تلك الظواهر أدق. ومن ثَمّ فهي قابلة دائما للتغيير، والتعديل، والنقص، والإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأسا على عقب بظهور أداة كشف جديدة أو بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة، ولذلك لا يصح أن نعلق حقائق القرآن النهائية على تلك النظريات المؤقتة.

التوفيق بين الرأيين :

والرأي الذي تطمئن إليه النفس هو أنه لا بأس من إيراد حقائق علمية ثابتة لا تقبل الشك عند تناول النص القرآني، مع إدراك معنى النص وفَهْمِه فهمًا سليمًا خاليًا من الشوائب والمؤثرات الخارجية، أو الميل به والانحراف لموافقة تلك الحقيقة العلمية، وهذا أيضًا كله بشروط منها:[١]

١- ألا تطغى تلك المباحث على المقصود الأول من القرآن؛ وهو الهداية والإعجاز.

٢- أن تذكر تلك العلوم لأجل تعميق الشعور الديني لدى المسلم والدفاع عن العقيدة ضد أعدائها.

٣- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة، ويلفتهم إلى جلال القرآن، ويحركهم إلى الانتفاع بقوى هذا الكون الذي سخره الله لنا انتفاعًا يعيد للأمة الإسلامية مجدها.

٤- ألا تذكر هذه الأبحاث على أنها هي التفسير الذي لا يدل النص القرآني على سواه؛ بل تذكر لتوسيع المدلول، وللاستشهاد بها على وجه لا يؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآني؛ ذلك أن تفسير النص القرآني بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية في أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان.

نماذج من التفاسير التي تسلك المنهج العلمي :

ومن المفسرين المولعين بهذا النمط من التفسير الشيخ طنطاوي جوهري (ت: ١٣٥٨ هـ) في كتابه المعروف "الجواهر في تفسير القرآن" وهو يهتم بهذا النمط، قائلاً بأنّ في القرآن من آيات العلوم ما يربو على ٧٥٠ آية في حين أنّ علم الفقه لا تزيد آياته الصريحة على ١٥٠ آية.

---

[١] نقلا عن: فهد سليمان الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، الجزء ٢، ص ٦٠٤.

ثمّ إنّه يهيب بالمسلمين أن يتأمّلوا في آيات القرآن التي ترشد إلى علوم الكون ويحثّهم على العمل بما فيها ويندد بمن يغفل عن هذه الآيات على كثرتها، وينعى على من أغفلها من السابقين الأوّلين ووقف عند آيات الأحكام وغيرها ممّا يتعلق بأُمور العقيدة.

ثمّ إنّ الشيخ يفسر آيات القرآن تفسيراً علمياً يقوم على نظريات حديثة وعلوم جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل، وإليك بعض ما جاء في هذا التفسير:

شهادة الأيدي والأرجل :

يفسر الشيخ طنطاوي قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[النور : ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[يس : ٦٥]، بما أثبته العلم الحديث.

يقول الشيخ طنطاوي : "أو ليس الاستدلال بآثار الأقدام، وآثار أصابع الأيدي في آياتنا الحاضرة، هو نفس الذي صرح به القرآن، وإذا كان الله يعلم ما في البواطن بل هو القائل للإنسان: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[الإسراء : ١٤]، والقائل: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[القيامة : ١٤]، أفلا يكون ذكر الأيدي والأرجل والجلود وشهادتها يوم القيامة ليلفت عقولنا إلى أنّ من الدلائل ما ليس بالبينات المشهورة عند المسلمين؟ وأنّ هناك ما هو أفضل منها؟ وهي التي يحكم بها الله فاحكموا بها. ويكون ذلك القول لينبهنا ويفهمنا انّ الأيدي فيها أسرار، وفي الأرجل أسرار، وفي النفوس أسرار، فالأيدي لا تشتبه، والأرجل لا تشتبه، فاحكموا على الجانين والسارقين بآثارهم أو ليس في الحق أن أقول: إنّ هذا من معجزات القرآن وغرائبه؟ وإلاّ فلماذا هذه المسائل التي ظهرت في هذا العصر تظهر في القرآن بنصها وفصها".[١]

[١] طنطاوي جوهري، **الجواهر في تفسير القرآن**، بيروت، دار الفكر، الجزء ٣، ص ٩.

فتق السماء والأرض :

لقد فسر القدماء فتق السماء في قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنبياء : ٣٠]، بنزول المطر وفتق الأرض بخروج النبات غير أنّ الشيخ طنطاوي يفسره بما يوحي إليه العلم الحديث.

يقول الشيخ : "ها أنت قد اطّلعت على ما أبرزه القرآن قبل مئات السنين، من أنّ السماوات والأرض أي الشمس والكواكب وما هي فيه من العوالم، كانت ملتحمة فصلها الله تعالى، وقلنا : أنّ هذه معجزة، لأنّ هذا العلم لم يعرفه الناس إلاّ في هذه العصور... إلى أن قال : كأنّه يقول : سيرى الذين كفروا أنّ السماوات والأرض كانت مرتوقة ففصلنا بينهما، فهو و إن ذكرها بلفظ الماضي فقد قصد منه المستقبل كقوله تعالى: أتى أمر الله وهذه معجزة تامة للقرآن، وعجيبة من أعجب ما يسمعه الناس في هذه الحياة الدنيا".[١]

الرواسي في الأرض :

لقد أورد الشيخ طنطاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[الأنبياء : ٣١]، أحدثَ النظريات العلمية في الجبال والبراكين وأسباب هيجان البراكين، فقال :

"ثم أتى بمعجزة ثالثة فقال : ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالًا ثوابت كراهة" أن تميد" أي: تميل "بهم" وتضطرب، فإنك سترى أن الأرض لها ستة أدوار -تقدم ذكرها في سورة هود- وهذه الأدوار الستة مقسمة إلى ٢٦ طبقة، والدور الأول منها كان عبارة عن الزمن الذي كون فيه على الكرة الأرضية النارية قشرة صوانية صُلْبة، قدر زمنها بنحو ثلاثمائة مليون سنة، ومعلوم أن الأرض كانت نارًا ملتهبة فبردت قشرتها وصارت صوانية؛ وهي الغلاف الحقيقي لتلك الكرة النارية، ولا تزال

[١] المصدر السابق، الجزء ١٠، ص ٢٠٧.

الأرض تُخرج لنا من أنفاسها المتضايقة ونارها المتقدة في جوفها كلَّ وقت نارًا بالبراكين التي شرحناها سابقًا في هذا التفسير في سورة ﴿آل عمران﴾.

فهذه البراكين أشبه بأفواه تتنفس بها الأرض لتخرج بعض النار من باطنها، ثم يخرب ذلك البركان وينفتح بركان آخر، وهذه البراكين تخرج نارًا وموادًّا ذائبة تدلنا على أصل أرضنا وما كانت عليه قبل الدهر.

فهذه القشرة الصُّلْبة لولاها لتفجرت ينابيع النار من سائر أطرافها، كما كانت بعدما انفصلت من الشمس كثيرة الثوران والفوران، وهذه القشرة الصوانية البعيدة المغلفة للكرة النارية هي التي ثبتت منها هذه الجبال التي نراها فوق أرضنا، كما يقول علماء طبقات الأرض.

فمن هنا ظهر أن هذه الجبال جعلت لحفظها من أن تميل؛ لأن الطبقة الصوانية هي الحافظة لكرة النار التي تحتها، والكرة الصوانية هذه نبتت لها أسنان طالت وامتدت حتى ارتفعت فوق الأرض، فلو زالت هذه الجبال لبقي ما تحتها مفتوحًا؛ وإذا ذاك تثور البراكين آلافًا مؤلفة، وتضطرب الأرض اضطرابًا عظيمًا وتزلزل زلزالًا شديدًا؛ لأن الباركين وثوراتها زلزلة، فما بالك إذا كانت الجبال كلها لم تكن وَخَلَتْ أماكنها، ثم إن هذه الجبال قطعة من نفس القشرة غاية الأمر أنها ارتفعت، فما هي إذن إلا حافظة للكرة النارية التي لو تركت وشأنها لاضطربت في أقرب من لمح البصر؛ فأهلكت الحرث والنسل.

هذه هي المعجزة الأخرى للقرآن؛ لأن السابقين ومَن عاصروهم كانوا يؤمنون به فقط، فظهور ذلك اليوم من المعجزات القرآنية. ولقد أجمع العلماء قديمًا وحديثًا أن الجبال على الأرض لا قيمة لها بالنسبة للكرة الأرضية، فلو فرضنا أن هذه الكرة الأرضية كرة قطرها ذراع لم تكن الجبال فوقها إلا كنحو نصف سبع شعيرة فوقها، ولو أن الأرض كرة قطرها متر واحد لم تزد الجبال عليها ملليمترًا واحدًا ونصفه فقط، فما هذا الجزء الحقير بالنسبة لتلك الكرة حتى أنه يمنع ميلها وسقوطها، فكأن الناس يؤمنون بهذه الآية.

وقد ظهرت هذه النبوة فعلًا في العلم الحديث، ولم تظهر إلا على يد من كفروا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والمسلمون لا يعلمون إلا من الفرنجة، وأنا أكتب عنهم ومن كتبهم، فصدق الله وجاءت المعجزات تترى في هذا التفسير.

فالله هو الذي فصل الأرض من الشمس وكانتا ملتحمتين، والله هو الذي خلق الدواب في البحر، ثم ارتقت إلى أن ارتفعت في الهواء، وإن كان هذا المعنى فيه نظر إن حملنا الآية عليه، والله هو الذي جعل الجبال حافظة للكرة الأرضية أن تهتز وتضطرب؛ لأنها نار والجبال متصلة بالطبقة الصوانية المحيطة بالنار، فالله هو الحافظ لها.

كل ذلك دال على وَحْدَته؛ ولكن الأهم من ذلك أن القرآن ورد به ولم يعرفه الناس؛ بل لم يفسر به القرآن على وجه علمي برهاني إلا في هذا العصر؛ وإنما كان يفسر قديمًا بمجرد الإيمان، فهذه هي المعجزة الثالثة.

واعلم أن الكرة الأرضية بعد أن تمت أدوارها الستة المذكورة في سورة "هود" وفي سورة "الأنعام"، ومضى دور الطوفان العام، ثم الدور الحالي، ونظمت الأحوال على ما هي عليه الآن؛ ظهرت فيها "الفجاج"؛ وهي المسالك الواسعة، وكما نظمها الله وأخرج زرعها ونوع حيوانها حتى وصل النبات الآن على ما يقول "اسبنسر" ٣٢٠ ألف نبات، والحيوان أيضًا مليوني نوع، وخلق الإنسان وأبدع كل شيء فيها، هكذا نظم السماء وجعلها سقفًا محفوظًا؛ فحفظ الشموس في مداراتها؛ بحيث لا تختلط ولا تختبط؛ بل حفظها سالمة في أماكنها الخاصة، بها قوة الجاذبية بالاصطلاح العلمي. فالقمر والشمس والكواكب الأخرى متجاذبات حافظات لمداراتها لا تخرج عنها وإلا لاختل هذا العالم".[1]

المنهج الخامس : منهج التفسير الباطني :

منهج التفسير الباطني هو منهج في التفسير يقوم على ضابطة ما دلّ عليها من الشرع شيء وهو أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من

[1] المصدر السابق، الجزء ١٠، ص ١٩٨-١٩٩.

اللغة، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة اللب إلى القشر، وإنّ باطنه يؤدي إلى ترك العمل بظاهره، واستدلّ أصحاب هذا المنهج على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[الحديد :١٣].

وأصحاب هذا المنهج هم الباطنية ويراد بها الإسماعيلية الذين قالوا بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق بعد رحيل أبيه، وعرفوا بالباطنية لأخذهم باطن القرآن دون ظاهره.

وعلى ضوء المنهج الباطني فقد أوّلوا المفاهيم الإسلامية بالنحو التالي:

١. الوضوء عبارة عن موالاة الإمام.
٢. التيمم هو الأخذ المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة.
٣. والصلاة عبارة عن الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى في الآية ٤٥ من سورة العنكبوت : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت : ٤٥]
٤. والغسل تجديد العهد فمن أفشى سراً من أسرارهم من غير قصد، وإفشاء السر عندهم على هذا النحو هو معنى الاحتلام.
٥. والزكاة هي تزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين.
٦. والكعبة النبي.
٧. والباب علي.
٨. والصفا هو النبي.
٩. والمروة علي.
١٠. والميقات الايناس.
١١. والتلبية إجابة الدعوة.
١٢. والطواف بالبيت سبعاً موالاة الأئمة السبعة.
١٣. والجنة راحة الأبدان من التكاليف.
١٤. والنار مشقّتها بمزاولة التكاليف.[١]

[١] محمد حسين الذهبي، **التفسيروالمفسرون**، الجزء ٢، ص ٢٦٣، نقلا عن كتاب المواقف.

نماذج من التفاسير التي تسلك المنهج الباطني :

ومن أشهر الكتب التي تسلك المنهج الباطني في التفسير كتاب ″تأويل الدعائم″ للقاضي النعمان الذي كان قاضي قضاة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله منشئ القاهرة وجامعة الأزهر، وهذا الكتاب يضم في طياته تأويل الأحكام الشرعية بدءا بالطهارة والصلاة وانتهاءً بكتاب الجهاد، فقد أوّل كلّ ما جاء في هذه الأبواب من العناوين والأحكام، وطبع الكتاب في مطبعة دار المعارف في مصر، وإليك نماذج من هذه التأويلات.

جاء في كتاب ″تأويل الدعائم″: عن الإمام الباقر رضي الله عنه : ″بني الإسلام على سبع دعائم : **الولاية** : وهي أفضل و بها و بالوليّ يُنتهى إلى معرفتها، و الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد″، فهذه كما قال الباقر : دعائم الإسلام قواعده، وأُصوله التي افترضها الله على عباده.

ولها في التأويل الباطن أمثال، فالولاية مَثلُها مَثلُ آدم عليه السلام لأنّه أوّل من افترض اللهُ عزّ وجلّ ولايته، و أمر الملائكة بالسجود له، والسجود : الطاعة، وهي الولاية، ولم يكلّفهم غير ذلك فسجدوا إلاّ إبليس، كما أخبر تعالى، فكانت المحنةُ بآدم عليه السلام الولاية، وكان آدمُ مثلَها، ولابدَّ لجميع الخلق من اعتقاد ولايته، و من لم يتولّه، لم تنفعْهُ ولاية من تولاّه من بَعده، إذا لم يدُن بولايته ويعترف بحقّه، و بأنّه أصل مَنْ أوجب اللهُ ولايتَه من رسله و أنبيائه وأئمّة دينه، و هو أوّلهم وأبوهم.

والطهارة : مَثَلُها مَثَلُ نوح عليه السلام، وهو أوّل مبعوث و مرسل من قبل اللّه لتطهير العباد من المعاصي والذنوب التي اقترفوها، ووقعوا فيها من بعد آدم عليه السلام، وهو أوّل ناطق من بعده، وأوّلُ أُولي العزم من الرسل، أصحاب الشرائع، وجعلَ الله آياته التي جاء بها الماء، الذي جعله للطهارة و سمّاه طهوراً.

والصلاة : مَثَلُها مَثَلُ إبراهيم عليه السلام وهو الذي بَنى البيتَ الحرام، ونصبَ المقام، فجعل الله البيت قبلة، والمقامَ مصلّى.

والزكاة : مثلها مثل موسى، وهو أوّل من دعا إليها، و أُرسل بها، قال

تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[النازعات : ١٥-١٨].

والصوم : مَثَلُه مثل عيسى عليه السلام وهو أوّل ما خاطب به أُمّه، أن تقولَ لِمَنْ رأته من البشر، وهو قوله الذي حكاه تعالى عنه لها : ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾[مريم : ٢٦]. وكان هو كذلك يصوم دهره، و لم يكن يأتي النساء، كما لا يَجوز للصائم أن يأتيهنّ في حال صومه.

والحج : مَثَلُه مَثَلُ محمّد صلى الله عليه وسلم، و هو أوّل من أقام مناسك الحج، و سنَّ سنته، وكانت العرب و غيرها من الأُمم، تحجّ البيت في الجاهليّة ولا تقيم شيئاً من مناسكه، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾[الأنفال : ٣٥]. وكانوا يطوفون به عُراة، فكان أوّلُ شيء نهاهم عنه ذلك فقال، في العُمرة التي اعتمرها، قبل فتح مكة، بعد أن وادعَ أهلَها، وهم مشركون : "لا يطوفنّ بعد هذا بالبيت عريان، ولا عريانة"، وكانوا قد نصبوا حول البيت أصناماً لهم يعبدونها، فلمّا فتح اللّهُ مكّة كسّرها، وأزالها، وسنَّ لهم سُنن الحجّ، و مناسكه، وأقام لهم بأمر اللّهِ معالمه، وافترض فرائضه، وكان الحجّ خاتمة الأعمال المفروضة، وكان هو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، فلم يبق بعدَ الحجّ من دعائم الإسلام غير الجهاد، وهو مثل سابع الأئمّة، الذي يكون سابع أسبوعهم الأخير، الذي هو صاحب القيامة.[١]

المنهج السادس : منهج التفسير الصوفي :

منهج التفسير الصوفي هو منهج في التفسير استخدم القرآن في تعقيب هدف خاص وهو دعم الأُسس العرفانية والفلسفية، وهو المنهج الذي استخدمه المتصوفة لشرح الآيات القرآنية لإثبات نظرية من النظريات التي بُني عليها تصوفهم.

فالتفسير الصوفي شعبة من شعب التفسير الباطني في قالب معين، وهو

[١] جعفر السبحاني، **المناهج التفسيريّة في علوم القرآن** ، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ص ١١٩-١٢٠.

ينقسم إلى : تفسير نظري، وفيضي أو إشاري.

أمّا التفسير الصوفي النظري فهو التفسير المبني على أُصول فلسفية ورثوها من أصحابها، فحاولوا تحميل نظرياتهم على القرآن الكريم. أي أنه ينبني على مقدمات علمية تنقدح في ذهن الصوفي أولا، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك.

وأمّا التفسير الفيضي أو الإشاري فهو تأويل الآيات على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات رمزية تظهر لأرباب السلوك من غير دعم بحجة أو برهان. أي أنه لا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف الإلهية.[١]

وعلى كلّ تقدير فتفاسيرهم من غير فرق بين النظري والفيضي مبنية على حمل القرآن على ما يعتقدون به من الأُصول والقواعد من دون حجة وبرهان.

نماذج من التفاسير التي تسلك المنهج الصوفي :

ومن أشهر التفاسير التي تنتهج هذا المنهج تفسير القرآن العظيم للتستري، وحقائق التفسير للسلمي، ولطائف الإشارات للقشيري، وتفسير ابن عربي، وهانحن نذكر شيئاً من تفاسيرهم :

١. تفسير التستري :

ولعلّ أوّل تفسير يسلك هذا النهج هو تفسير أبي محمد سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٧٣ هـ) وقد طبع بمطبعة السعادة بمصر عام ١٩٠٨ م، جمعه أبو بكر محمد بن أحمد البلدي، ومن نماذج تفسيره ما يلي :

أ. تفسيره البسملة بقوله: "الباء : بهاء الله، والسين : سناء الله، والميم : مجد الله، والله : هو الاسم الأعظم الذي حوى الأسماء كلها، وبين الألف واللام منه حرف مكنّى، غيب من غيب إلى غيب، وسر من سر إلى سر، وحقيقة من

[١] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٣٨١.

حقيقة إلى حقيقة، لا ينال فهمه إلا الطاهر من الأدناس".[١]

ب. ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١]، قال: "فأما هذه الحروف إذا انفردت، فالألف تأليف الله عز وجل ألف الأشياء كما شاء، واللام لطفه القديم، والميم مجده العظيم".[٢]

ج. ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[البقرة: ٣٥]، قال: "ولم يرد الله معاني الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معاني مساكنة الهمة مع شيء هو غيره، أي لا يهتم بشيء هو غيري. فآدم صلوات الله عليه لم يعتصم من الهمة والفعل في الجنة، فلحقه ما لحقه من أجل ذلك. وكذلك من ادعى ما ليس له، وساكنه قلبه ناظراً إلى هوى نفسه فيه، لحقه الترك من الله عزَّ وجلَّ مع ما حل عليه نفسه إلاَّ إن رحمه، فيعصمه من تدبيره وينصره على عدوه وعليها، يعني إبليس، فأهل الجنة معصومون فيها من التدبير الذي كانوا به في دار الدنيا".[٣]

د. ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... ﴾[آل عمران: ٩٦]، قال: "أوّل بيت وضع للناس بيت اللّه عزّوجلّ بمكة، هذا هو الظاهر، وباطنها الرسول يؤمن به من أثبت اللّه في قلبه التوحيد من الناس".[٤]

هـ. ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ...﴾[النساء: ٣٦]، قال: "أما ظاهرها فالجار الجنب: البعيد الأجنبي، والصاحب بالجنب: هو الرفيق في السفر، وقد قيل الزوجة، وابن السبيل: الضيف، أما باطنها فالجار ذو القربى هو القلب، والجار الجنب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدي بالشريعة، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله، هذا باطن الآية".[٥]

---

[١] أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، **تفسير التستري**، جمع: أبي بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ص ٢٢.

[٢] المصدر السابق، ص ٢٥.

[٣] المصدر السابق، ص ٢٩.

[٤] المصدر السابق، ص ٥٠.

[٥] المصدر السابق، ص ٥٣.

٢. **حقائق التفسير للسلمي :**

ومن أهم تفاسير الصوفية التي ظهرت بعد تفسير التستري، تفسير أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢ هـ)، وهو المسمّى بـ"حقائق التفسير" وكان السلمي شيخ الصوفية ورائدهم بخراسان، وله اليد الطولى في التصوّف. ومن نماذج تفسيره للآيات القرآنية ما يلي:[١]

أ. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[النساء : ٦٦]: "قال محمد بن الفضل: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها، أو اخرجوا من دياركم، أي أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم ما فعلوه إلاّ قليل منهم في العدد، كثير في المعاني، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة".

ب. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾[الرعد : ٣]: "قال بعضهم: هو الذي بسط الأرض، وجعل فيها أوتاداً من أوليائه وسادة من عبيده فإليهم الملجأ وبهم النجاة، فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومن كان بغيته لغيرهم خاب وخسر".

ج. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾[الحج : ٦٣]: "قال بعضهم: أنزل مياه الرحمة من سحائب القربة وفتح إلى قلوب عباده عيوناً من ماء الرحمة، فأنبتت فاخضرّت بزينة المعرفة، وأثمرت الإيمان، وأينعت التوحيد، أضاءت بالمحبة فهامت إلى سيّدها، واشتاقت إلى ربها فطارت بهمتها، وأناخت بين يديه، وعكفت فأقبلت عليه، وانقطعت عن الأكوان أجمع. ذاك آواها الحق إليه، وفتح لها خزائن أنواره، وأطلق لها الخيرة في بساتين الأُنس، ورياض الشوق والقدس".

---

[١] نقلا عن: محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٤١٩-٤٢٠.

٣. لطائف الإشارات :

وهو تفسير صوفي لآيات مختارات من القرآن الكريم، كتبه أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (ت ٤٦٥ هـ) على طريقة الحقائق والمعارف، وهو قريب النزعة من تفسير أبي عبد الرحمن السلمي. ومن نمادج ما ورد في لطائف الإشارات هي:

أ. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة : ١]: "هذه الحروف المقطعة في أوائل السورة من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله- عند قوم، ويقولون لكل كتاب سر، وسر الله في القرآن هذه الحروف المقطعة. وعند قوم إنها مفاتيح أسمائه، فالألف من اسم "الله"، واللام يدل على اسمه "اللطيف"، والميم يدل على اسمه "المجيد" و"الملك". وقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها لأنها بسائط أسمائه وخطابه. وقيل إنها أسماء السور. وقيل الألف تدل على اسم "الله" واللام تدل على اسم "جبريل" والميم تدل على اسم "محمد" صلى الله عليه وسلم، فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم. والألف من بين سائر الحروف انفردت عن أشكالها بأنها لا تتصل بحرف في الخط وسائر الحروف يتصل بها إلا حروف يسيرة، فينتبه العبد عند تأمل هذه الصفة إلى احتياج الخلق بجملتهم إليه، واستغنائه عن الجميع".[١]

ب. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[البقرة : ٦٥]: "مسخ هذه الأمة حصل على القلوب، فكما أنهم لما تركوا الأمر واستهانوا بما ألزموا به من الشرع- عجلت عقوبتهم بالخسف والمسخ وغير ذلك من ضروب ما ورد به النّصّ، فهذه الأمة من نقض العهد ورفض الحدّ عوقبت بمسخ القلوب، وتبديل الأحوال، قال تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصارَهُمْ كَما لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ}[الأنعام : ١١٠]، وعقوبات القلوب أنكى من عقوبات النفوس".[٢]

---

[١] عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة، الجزء ١، ص ٥٣.

[٢] المصدر السابق، الجزء ١، ص ٩٨.

٤. **تفسير ابن عربي :**

هو التفسير المنسوب لأبي بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي (ت ٦٣٨ هـ). وقد نَسب المؤرخ حاجي خليفة هذا الكتاب إلى القاشاني أو الكاشي في كتابه كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، وكذا العلامة البغدادي في كتابه هداية العارفين في أسماء المؤلفين. وفيما يلي النماذج من تفسيراته:

أ. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ [البقرة : ٦٧]: "هي النفس الحيوانية وذبحها قمع هواها الذي هو حياتها ومنعها عن أفعالها الخاصة بها بشفرة سكين الرياضة".[١]

ب. يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر : ٩٩]: "﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ﴾ بالتسبيح والتحميد والسجود المذكورة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ﴾ حق (الْيَقِينُ) فتنتهي عبادتك بانقضاء وجودك فيكون هو العابد والمعبود جميعا لا غير".[٢]

وفي الختام نكتفي بما ذكره الشيخ الذهبي حول هذه التفاسير، وقال :

"نحن لا ننكر على ابن عربي أنّ ثم أفهاماً يلقيها الله في قلوب أصفيائه وأحبائه، ويخصهم بها دون غيرهم، على تفاوت بينهم في ذلك بمقدار ما بينهم من تفاوت في درجات السلوك ومراتب الوصول، كما لا ننكر عليه أن تكون هذه الأفهام تفسيراً للقرآن وبياناً لمراد الله من كلامه، ولكن بشرط : أن تكون هذه الأفهام يمكن أن تدخل تحت مدلول اللفظ العربي القرآني، وأن يكون لها شاهد شرعي يؤيدها، أمّا أن تكون هذه الأفهام خارجة عن مدلول اللفظ القرآني وليس لها من الشرع ما يؤيدها فذلك ما لا يمكن أن نقبله على أنّه تفسير للآية وبيان لمراد الله تعالى، لأنّ القرآن عربي قبل كلّ شيء كما قلنا، والله سبحانه و تعالى يقول في شأنه : ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[فصلت : ٣]، وحاشا لله أن يلغز في آياته

[١] محي الدين ابن عربي، **تفسير ابن عربي**، بيروت، دار صادر، المجلد الأول، ص ٤٢.

[٢] المصدر السابق، المجلد الأول، ص ٣٥٣.

أو يعمى على عباده طريق النظر في كتابه، وهو يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[القمر: ١٧]".[١]

التفسير الإشاري بين القبول والرفض:

والتفسير الإشاري مصطلح يطلق على نفس التفسير الصوفي، وعرّفوه بأنّه تأويل آيات القرآن الكريم على غير ما يظهر بمقتضى إشارات خفية تظهر لأهل العلم والسلوك، تقوم على التطابق بينها وبين الظواهر المرادة من الآيات القرآنية بوجه من الوجوه الشرعية،[٢] فنصوص القرآن محمولة على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ويمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة.[٣]

والقائل بالتفسير الإشاري لا ينكر كون الظاهر مراداً، ولكنه يقول بأنّ في هذه الظواهر، إشارات إلى معان خفية تفهمه عدّة من أرباب السلوك وأولو العقل والنهى، وبذلك يمتاز عن تفسير الباطنية فانّهم يرفضون كون الظواهر مرادة ويأخذون بالبواطن، هذا هو حاصل التفسير الإشاري.

شروط قبول التفسير الإشاري:

لقد ذهب كثير من العلماء إلى عدم جواز التفسير الإشاري؛ خشية التقوّل على الله تعالى في تفسير كلامه بغير علم، وأما العلماء الذين ذهبوا إلى جوازه، فقد ذكروا بعض الشروط التي يجب أن تتوفر في التفسير الإشاري حتى يكون مقبولا، وهي:[٤]

أولا : ألا يكون التفسير الإشاري منافيا للظاهر من النظم القرآني الكريم.

ثانياً : أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

ثالثاً : ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

[١] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٣٧٤.

[٢] خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، بيروت، دار النفائس، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧، ص ٢٠٥.

[٣] سعد الدين التفتازاني، **شرح العقائد النسفية**، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٢١ هـ، ص ١٤٣.

[٤] محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، الجزء ٢، ص ٤٠٨-٤٠٩. وخالد عبد الرحمن العك، المرجع السابق، ص ٢٠٨.

رابعاً : ألا يدَّعي أن التفسير الإشارى هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد أن يعترف بالمعنى الظاهر أولا، إذ لا يطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.

فهذه هي الشروط الواجب اتباعها حين النظر في التفسير الإشاري، فإذا توفرت كان مقبولا، وإن فُقدت كان مرفوضا.

المنهج السابع : منهج التذوق الأدبي :

منهج التذوق الأدبي في التفسير هو منهج يحاول أن يصوغ القرآن صياغة أدبية رائعة ويصور المعاني صورا خلابة تحس فيها الحياة ولكن مع جلال الآيات وقداسة الكلمات.

قال الدكتور فهد الرومي : "إن التذوق الأدبي يقوم على الموازنة بين الذات والموضوع، فللذات حقها في جانب الاستغراق في النص والشعور به بحيث لا يصل إلى الاستغراق الصوفي التام الذي يطغى على النص وعلى جانب الجمال الاجتماعي فيه.

وللموضوع حقه في التزام مدلوله اللغوي وحدوده الشرعية والتنبيه الدقيق إلى المعنى الصحيح السليم والتزام أبعاد معانيه ومدلولاته بحيث لا يتجاوزها فيشطح.

إن الموازنة بين الذات والموضوع هي التي تستقر بصاحبها في ميدان التذوق الأدبي وبقدر الموازنة يكون الاستقرار فيه، فإن طغت الذات على الموضوع خرج عن نطاقه إلى نطاق التفسير الصوفي الذي يعتمد على الأوهام أكثر مما يعتمد على الحقائق، وجنح بصاحبه إلى الخيال الجارف الذي لا يعتمد على قواعد ثابتة ولا أصول راسخة بل يموج ويضطرب كما تضطرب الريشة في الهواء، ومن هنا نفذ الباطنيون إلى الإلحاد في تفسير القرآن الكريم حيث لا ارتباط بالنص ولا بمدلوله بل انسلاخ منه.

وإن طغى الموضوع على الذات خرج عن نطاق التفسير العلمي البحت وضاقت جوانب جذبات النفس وارتباطها بالنص وأصبح المفسر والنص كتلتين منفصلتين

لا تمازج بينهما ولا تجاذب، وحينئذ يكاد المفسر أن يكون مجرد آلة لا تفاعل بينها وبين معمولها".[١]

وقد توسع الدكتور فهد الرومي في شرح هذا المنهج فقال: "والتذوق للقرآن الكريم حركة نفسية وانطباع ذاتي لا يملك الإنسان له ردا ولا يستطيع له منعا، بل لا بد أن يظهر أثره في خلجات سامعه وسكناته شاء ذلك أم أبى وقد أدرك المشركون ذلك ولذلك سعوا إلى حسم سماعه أوَّلًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]؛ وإنما فعلوا ذلك لإدراكهم أنهم لا يملكون دفعا للتأثر بل قد يأخذ منهم بالألباب ويؤدي بهم إلى ما لا يريدون وكل ما يملكونه أن يتداعوا إلى عدم سماعه واللغو فيه عند تلاوته حتى لا يصل إلى شغاف قلوبهم، فإن وصل فإنهم لا يملكون إلا أن يقولوا -حقيقة- إن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ... إلخ، وقد يكابرون ويعاندون ويزعمون أنه سحر.

حتى الجن كانت النزعة الانطباعية عندهم عند سماعهم له أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١].

والنصارى عند سماعهم له تفيض أعينهم من الدمع: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

والذين يخشون ربهم تقشعر جلودهم عند سماعه ثم تلين وتلين قلوبهم معها: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

هذه وتلك بعض مظاهر التأثر بالقرآن الكريم وتذوق نصوصه، ظهرت بين الناس على اختلاف أنواعهم بل والجن أيضا، واختلفت بين فيض الدمع وقشعريرة الجلد ولين القلوب وإظهار علامات الدهش والعجب".[٢]

---

[١] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، المرجع السابق، ص ١٢٦-١٢٧.

[٢] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، المرجع السابق، الجزء الثالث، ص ٩٨٤-٩٨٥.

نماذج من التفاسير التي تسلك منهج التذوق الأدبي :

ولعل التفسير الوحيد الذي ينتهج هذا المنهج في التفسير هو ″في ظلال القرآن″ للشهيد سيد قطب، وقد وفّق الله سيد قطب فألف تفسيرا كاملا في ثلاثين جزءا على هذا النهج من التفسير الذي شق طريقه، وقد انفرد بهذا النهج من بين كثير من المفسرين في القديم وفي الحديث، وهو الذي وضع معالمه، وهو صاحب هذا المنهج ويقف في هذه الساحة وحده، وهو الذي قام به ويكاد لا يُعرف إلا به، ولم يكد يسلكه أحد من بعده.

لقد بدأ سيد قطب تفسيره بمقدمة رائعة مليئة بالقيم الشعورية والتعبيرية، إذ قال : ″الحياة في ظلال القرآن نعمة. نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه والحمد لله... لقد منَّ علي بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقتُ فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي. ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

لقد عشتُ أسمع الله سبحانه يتحدث إليّ بهذا القرآن... أنا العبد القليل الصغير... أي تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجليل؟ أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟ أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقُه الكريم؟

وعشت في ظلال القرآن أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة... أنظر إلى تعاجب أهل هذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال، وتصورات الأطفال، واهتمامات الأطفال كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال، ومحاولات الأطفال... ولثغة الأطفال... وأعجب... ما بال هذا الناس؟! ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة، ولا يسمعون النداء العلوي الجليل. النداء الذي يرفع العمر ويباركه ويزكيه؟

عشت أتملى - في ظلال القرآن - ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود... لغاية الوجود كله، وغاية الوجود الإنساني... وأقيس إليه تصورات الجاهلية التي تعيش فيها البشرية، في شرق وغرب، وفي شمال وجنوب... وأسال...

كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن، وفي الدرك الهابط، وفي الظلام البهيم وعندها ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء؟"[١]

وقد بين معنى التسبيح الوجداني بصورة جمالية فنية تؤثر النفوس بأسلوب أدبي يزيد الصورة جمالا إلى جمالها، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ١-٥]، قال: "إن هذا الافتتاح، بهذا المطلع الرخي المديد، ليطلق في الجو ابتداء أصداء التسبيح، إلى جانب معنى التسبيح. وإن هذه الصفات التي تلي الأمر بالتسبيح: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ .. لتحيل الوجود كله معبدا يتجاوب جنباته بتلك الأصداء؛ ومعرضا تتجلى فيه آثار الصنع المبدع: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾.

والتسبيح هو التحميد والتنزيه واستحضار معاني الصفات الحسنى لله، والحياة بين إشعاعاتها وفيوضاتها وإشراقاتها ومذاقاتها الوجدانية بالقلب والشعور. وليست هي مجرد ترديد لفظ: سبحان الله !.. و ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعلى﴾.. تطلق في الوجدان معنى وحالة يصعب تحديدها باللفظ، ولكنها تتذوّق بالوجدان، وتوحي بالحياة مع الإشراقات المنبثقة من استحضار معاني الصفات.

والصفة الأولى القريبة في هذا النص هي صفة الرب، وصفة الأعلى.. والرب: المربي والراعي، وظلال هذه الصفة الحانية مما يتناسق مع جو السورة وبشرياتها وإيقاعاتها الرخية .. وصفة الأعلى تطلق التطلع إلى الآفاق التي لا تتناهى؛ وتطلق الروح لتسبح وتسبح إلى غير مدى .. وتتناسق مع التمجيد والتنزيه، وهو في صميمه الشعور بصفة الأعلى.."[٢]

وقد ينفعل سيد قطب مع النص ويحس به يملأ مشاعره ومع هذا لا يستطيع أن يترجمها إلى كلمات تعبر عنها تعبيرا كافيا. ويظهر ذلك مثلا في تفسيره لقوله تعالى:

[١] سيد قطب، **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، المجلد الأول، ص ١١.
[٢] المرجع السابق، المجلد السادس، ص ٣٨٨٣.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة : ٢٥٣]، قال: "إنهم جماعة خاصة ذات طبيعة خاصة، وإن كانوا بشرا من البشر فمن هم؟ وما الرسالة؟ ما طبيعتها؟ كيف تتم؟ لماذا كان هؤلاء وحدهم رسلا؟ وبماذا؟ أسئلة طالما أشفقت أن أبحث لها عن جواب! إن حسي ليفعم بمشاعر ومعانٍ لا أجد لها كفاء من العبارات ولكن لا بد من تقريب المشاعر والمعاني بالعبارات".[١]

وأخيرا، قد يظهر أثر التذوق الأدبي والتفاعل مع القرآن الكريم على الجسد، لقد اقشعر جسده حين يقرأ قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

قال سيد قطب : "ما قرأت هذه الآية والآية الأخرى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة : ٢١٤]، ما قرأت هذه الآية أو تلك إلا وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذي يبلغ بالرسول هذا المبلغ. ومن تصور الهول الكامن في هذه الهواجس والكرب المزلزل الذي يرج نفس الرسول هذه الرجة وحالته النفسية في مثل هذه اللحظات، وما يحس به من ألم لا يطاق".[٢]

المناهج الغربية لتفسير القرآن :

إن تاريخ ظاهرة اعتماد المناهج الغربية في تفسير القرآن الكريم وتأويله بدأت منذ ١٩٥٠م[٣]، عندما كتب "المستشرق" الياباني توشيهيكو ايزوتسو دراسته بعنوان "بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن" باللغة الإنكليزية، وما تزال مستمرة حتى اليوم، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن المناهج الغربية الحديثة التي استخدمت لتفسير القرآن وتأويله كانت تعتمد على الهرمنيوطيقَى، واللسانيات، وعلى المنهج التاريخاني.

---

[١] المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٢٧٨.

[٢] المرجع السابق، المجلد الرابع، ص ٢٠٣٦.

[٣] عبد الرحمن الحاج إبراهيم، **ظاهرة القراءة المعاصرة : أيديولوجيا الحداثة**، (مقال في مجلة الملتقى، العدد ١- بيروت، الملتقى الفكري للإبداع)، ١٩٩٩.

وفيما يلي بيان هذه المناهج باختصار.

المنهج الهرمنيوطيقي :

يقصد بالمنهج الهرمنيوطيقي لتأويل القرآن، هو المنهج الفلسفي الذي اتبعه فلاسفة الغرب لتأويل كتبهم التاريخية و الدينية و الأدبية و الفلسفية، وهو قواعد التأويل والفهم للنصوص الدينية، وهو مصطلح قديم التصق بالثيولوجيا المسيحية، وتعرض لتطورات عدة في مدلوله ضيقا وسعةً حسب تطور الفكر الديني والفلسفي في سياق الحضارة الغربية.[١] فالهرمنيوطيقى، عند أصحابها، هي عبارة عن فن في تأويل النصوص، يُسْتعمل فيه آليات اللغة و رموزها و المنطق و الإيحاء. وهذا الفن في التأويل يعتمد كثيرا على إخراج دلالة النص واللفظ من الحقيقة الظاهرة التي يدلان عليها الى دلالاتٍ مجازية تعطي للمُؤوِّل فسحة و مجالا واسعا للخروج بالنص الى ما تصوره هو في ذهنه.

ونشأ المنهج في أحضان اللاهوت المسيحي، خصوصا بعد أن طرحت مجموعة من القضايا المشكلة المتعلقة بالإنجيل، على المتعاطي للتفسير المسيحي من غير الكنسيين.

هذه المشكلات تلخص في تثبيت الإنجيل المنقول شفويا عن طريق الكتابة، وتعريف العلاقة بين العهد القديم والعهد الجديد، و التباعد اللغوي بين العهد القديم والعهد الجديد، والتباعد اللغوي بين الكلمة في أصل وضعها والاستعمال الجديد، والاعتقاد بوجود معنى خفي وراء المعنى السطحي، وانعدام الثقة في القراءة الوحيدة للإنجيل.

هذه العوامل أدت إلى ظهور هذا الاتجاه في الفهم والتفسير. والإصلاح الديني وانتشار الفكر البروتستانتي، وقد أدت إلى ضعف العلاقة بكنيسة روما، وبذلك شعروا بحاجة ملحة لمنهج يتضمن قواعد معينة لتفسر الكتاب المقدس، وأول كتاب

[١] حسن الشافعي، **حركة التأويل النسوي للقرآن والدين**، لبنان، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١١٥، مارس ٢٠٠٥، ص ٥٦.

ألف في هذا المجال اسمه "الهرمنيوطيقا" ومؤلفه "دان هاور" طبع عام ١٦٥٤م ذكر فيه مناهج وقواعد لتفسير الكتاب المقدس.

وقد حاول بعض الدارسين ربط هذا الاتجاه بالفكر اليوناني، الذي عرف أن عملية تفهيم التعاليم الدينية لم تكن بالأمر الميسر للناس، لذلك كان اللجوء إلى الواسطة المعروفة بهرمس، حيث كان هرمس هو الناقل أو الوسيط بين معاني الآلهة والناس؛ يقول أحمد واعظي: "ينسب اليونانيون اكتشاف اللغة والخط إلى "هرمس"، وهما أداتا نقل المعاني للآخرين. وقد كانت عملية التفهيم هي مهمة "هرمس" الأساسية، ولعنصر اللغة دور أساس في هذه العملية بالطبع. كان "هرمس" جسراً يفسر ويشرح رسالات الآلهة، وذلك بتحوير ماهيتها ومضامينها التي كانت فوق مستوى الفهم البشري، من أجل تفهيمها للناس وجعلها ممكنة الإدراك من قبلهم".[1]

وفق البناء الثلاثي لعملية التفسير، والمكون من الأركان الآتية :

١- العلامة أو الرسالة أو النص الذي يلزمه الفهم والتفسير.

٢- واسطة الفهم، أو المفسر (هرمس).

٣- إيصال فحوى النص ومعانيه إلى المخاطبين.

إن اللجوء إلى هرمس يبين طبيعة الغموض الذي كان يكتنف النص الديني، خصوصا العهد القديم الذي كان عندهم عبارة عن تمثيلات ورموز وكنايات، تحتاج إلى تأمل هرمنيوطيقي.

الهرمنيوطيقى والنصوص الدينية :

تقدم الهرمنيوطيقى في جانبها المعرفي القواعدَ والأسس المنهجية على فهم النص، كما أنها تشتمل في جانبها الفلسفي على إشكاليات حول ماهية الفهم وشرائط حصوله وتحققه، ومناقشة الفرضيات التي تحيط بمسار فهم النص. تطلق الهرمنيوطيقى بمعناها العام على كل تأمل نظري أو فلسفي يستهدف فهم

[1] أحمد الواعظي، ماهية الهرمونيطيقا، ص ٣.

النص وأسسه وفرضياته المسبقة. وإن كل اتجاه في مجال الهرمنيوطيقى الفلسفية يستدعي بطبيعة الحال بعض المسالك والاقتراحات والآراء الخاصة في تفسير النص.

ولا شك في أن تفسير القرآن الكريم وقراءة النص السماوي يقوم على أساس الفرضيات والأسس المعرفية ومعرفة الوجود والوحي والنبوة. يعد التأمل النظري والفلسفي في هذه الفرضيات من حيث تأثيرها في رقعة فهم وتفسير النص من جملة ما يُشغِل التفكير الفلسفي الهرمنيوطيقي. وقد عمد بعض المستنيرين الدينيين المعاصرين إلى جعل مقولة فهم وتفسير النص السماوي موضعا لتأملهم وتفكيرهم. إن هذه التأملات الفلسفية تتمثل في محورين رئيسيين :

الأول : يشتمل على بعد معرفي، يكون التأمل في آلية وكيفية حصول الفهم والعناصر الدخيلة في ذلك، من قبيل البحث في الأفق الذهني للمفسر وكيفية تأثر مسار فهم النص من خلال المعلومات السابقة، وأفق انتظار المفسر.

الثاني : التأملات الهرمنيوطيقية المتجهة إلى ذات النص السماوي. إن مسائل من قبيل: التأمل في ماهية الوحي، والتساؤل بشأن ماهية النص القرآني؟ وما هي نسبته إلى شخص النبي؟ وما هو سهم النبي وشخصيته البشرية في تكوين الوحي والنص الديني؟ وكذلك دراسة العلاقة بين الوحي والظواهر الاجتماعية وتاريخ عصر نزول الوحي، وعلاقة العصر بثقافة العصر. تلك أهم الموضوعات التي يهتمّ بها هذا المحور من التأملات الهرمنيوطيقية في فهم القرآن وتفسيره.[١]

يقول أحمد واعظي: "تعرضت القراءة التقليدية للنص، والتفكير الديني الدارج، لتحديات وإشكاليات على يد بعض الاتجاهات الهرمنيوطيقية في القرن العشرين. فقد أثارت الهرمنيوطيقى الفلسفية بشتى فروعها سجالات حول تفسير النص وقضية الفهم بصورة عامة، مسّت العديد من أصول المنهج الدارج لفهم

[١] أحمد الواعظي، **الهرمنيوطيقا المعاصرة والنصوص الدينية**، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، بغداد، العدد ٥٣-٥٤، ٢٠١٣ م، ص ٣٥٧-٣٥٨.

النص ... وخلخلت أركانها، ناحتةً إشكالات وشبهات جديدة للتفكير الديني، فقد أشرنا منذ البداية إلى أن التفكير الديني وثيق الصلة بالمنهج التقليدي لفهم النص، وإجمالا فإن أبرز التحديات التي فرضتها الهرمنيوطيقى الفلسفية أمام الأسلوب المعهود للنص لخصها أحمد واعظي في:

١- فهم النص حصيلة امتزاج أفق المعاني لدى المفسر مع أفق المعاني في النص. ولذلك فإن إشراك ذهنية المفسر في عملية الفهم ليس بالمذموم، بل هو شرط وجودي لحصول الفهم، وينبغي التسليم له كواقع لا مندوحة منه.

٢- الفهم الموضوعي للنص، بمعنى الفهم المطابق للواقع، غير ممكن؛ لأن العنصر الباطني أو ذهنية المفسر وقبلياته شرط لحصول الفهم، فخلفيات المفسر ذات دور حتمي في كافة فهومه وتفاسيره كافة.

٣- عملية فهم النص عملية غير منتهية، فإمكانية القراءات المختلفة للنص لا تعرف حدوداً تتوقف عندها، إذ إن الفهم تركيب وامتزاج بين أفق معاني المفسر وأفق معاني النص، ومع كل تحوّل في المفسر وأفقه تتاح إمكانية جديدة للتركيب والامتزاج وولادة فهم جديد. إذن لا نهاية لاحتمالات التراكيب ولإمكان القراءات والتفاسير المختلفة للنص.

٤- ليس ثمة فهم ثابت غير متحرك، ولا يصح تحديد فهم، بوصفه الفهم النهائي الذي لا يتغير لنص من النصوص.

٥- ليست الغاية من تفسير النص القبض على "مراد المؤلف"، فنحن نواجه النص، وليس المؤلف. وما المؤلف إلاّ أحد قراء النص، ولا يتميز عن باقي المفسرين والقراء بشيء. والنص كيان مستقل يتحاور مع المفسر، فينتج عن ذلك فهم للنص. وهكذا فالمفسر لا يعبأ بالمقاصد و الغايات التي أراد المؤلف التعبير عنها.

٦- لا يوجد مناط أو معيار لفحص التفسير القيّم من غير القيّم، إذ لا يوجد أساسا شيء اسمه تفسير قيّم، والرؤية التي تتحدث عن شيء اسمه تفسير

قيّم أو صحيح تقرر إدراك مرامي المؤلف كغاية للتفسير، بينما الهرمنيوطيقى الفلسفية ترى "أصالة المفسر" ولا تتوخى معرفة قصد المؤلف إطلاقاً. ولأن مفسّري النص كثر، ولهم على مر الزمان آفاق متعددة مختلفة، ستظهر فهوم للنص جد متباينة، لا يصح اعتبار أي منها أفضل من الآخر.

٧- الهرمنيوطيقى الفلسفية ملائمة تماماً لـ"النسبية التفسيرية"، وتفتح مجالاً رحباً لتفاسير متطرفة. هذه الأفكار وجدت صداها بشكل واضح وواسع في المحاولات التجديدية لدراسة وتفسير القرآن العظيم.

بشرية النصوص أو الأنسنة :

رأى دعاة الهرمنيوطيقى أن النص السماوي منذ أن نزل إلى البشر فإنه أصبح نصاً تاريخيا، لأنه تحول من كتاب تنزيل إلى كتاب تأويل، فأصبح كتاباً بشرياً تاريخياً واجتماعياً وتراثياً. إن كتاب التنزيل طلق كتاب التأويل وأحدث معه نمطاً من القطيعة الإبستمولوجية النسبية وتحول النص منذ لحظة نزوله الأولى - أي مع قراءة النبي له لحظة الوحي - تحول من كونه نصاً إلهياً، وصار فهماً "نصاً إنسانياً" لأنه تحول من التنزيل إلى التأويل.

فالنص - عند الهرمنيوطقيين - بمجرد أن يُكتب يصبح ملكا للقارئ، وليس للمؤلف، وإن القارئ هو الذي يفهم منه المعاني المناسبة وهو صاحب القصد.

وهذا نصر حامد أبو زيد، عندما يتحدّث عن طبيعة فهم النص القرآني؛ يقول: "إن القرآن نص ديني ثابت من حيث منطوقه، لكنه من حيث مفهومه يتعرض له العقل الإنساني ويصبح مفهوماً يفقد صفة الثبات، إنه يتحرّك وتتعدّد دلالته. إن الثبات من صفات المطلق المقدس، أما الإنساني فهو نسبي متغيّر، والقرآن نص مقدس من ناحية منطوقه، لكنه يصبح مفهوماً بالنسبي والمتغيّر، أي من جهة الإنسان ويتحوّل إلى نص إنساني (يتأنسن)، ومن الضروري هنا أن نؤكد أن حالة النص الخام المقدس حالة ميتافيزيقية لا ندري عنها شيئاً إلّا ما ذكره النص عنها

ونفهمه بالضرورة من زاوية الإنسان المتغيّر والنسبي، النص منذ لحظة نزوله الأولى - أي مع قراءة النبي له لحظة الوحي - تحوّل من كونه نصًّا إلهيًّا وصار فهماً (نصًّا إنسانيًّا)، لأنه تحوّل من التنزيل إلى التأويل". [١]

وهذا الكلام الذي يعتبر القرآن نصًّا إنسانيًّا يمثل الخطوة الأولى لجعله نصًّا قابلاً لتطبيق الهرمنيوطيقى الفلسفية التي تعطي المؤوِّل وما يحمله من أفق الحق في فهم النص.

وجدير بالذكر أن مثل هذا الكلام، حصل بعد أن انهارت قداسة الكتاب المقدس في الغرب، وتخلى الغربيون عن الإيمان بهذه القداسة بعد عصر النهضة، فأصبح الكتاب المقدس كأي كتاب أدبي آخر يُدرس من منظور إنساني دون أي اعتبار للبعد الغيبي الإلهي. ولم يحصل مثل هذا في الثقافة الإسلامية، فعلى أي أساس تبنى المقارنة؟.

هرمنيوطيقى فضل الرحمن لفهم القرآن :

ولعل الأستاذ فضل الرحمن (١٩١٩-١٩٨٨) هو أول من طبّق المنهج الهرمنيوطيقي على القرآن وانتهى إلى فكرة الذاتية المحمدية أو الغيرية والازدواجية في مفهوم الوحي. [٢]

والأستاذ فضل الرحمن هو باحث ومسؤول تربوي باكستاني، كان أستاذا للفكر الإسلامي في قسم لغات الشرق الأدنى في جامعة شيكاغو. ومن مؤلفاته الأساسية "الإسلام وضرورة التحديث"، و"الإسلام"، و"النبوة في الإسلام: الفلسفة والسلفية". وكلها من مطبوعات جامعة شيكاغو.

يدعو الأستاذ فضل الرحمن إلى اعتماد مقاربة موضوعاتية وأخلاقية للقرآن، فالمقاربة الهرمنيوطيقية لفضل الرحمن تتأسس على مبدأ الحركية المزدوجة :

---

[١] نصر حامد أبو زيد، **نقد الخطاب الديني**، القاهرة، سينا للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ٩٣.

[٢] حسن الشافعي، المرجع السابق، ص ٦٤.

الدراسة الموضوعية للنص في مصدره وظروف تشكله وإعادة صياغة مقاصده وغاياته العليا الثابتة وفق سياقات العصر ومقتضياته. في الجانب الأول، تتم النظرة للكتاب الإلهي في ضوء ظروف ومحددات سياق التلقي الأصلي أي المجتمع العربي الجاهلي الذي نزل القرآن بلغته وتعامل مع واقعه المجتمعي، وفي الجانب الثاني يتم تجريد النص من ملابساته التاريخية أي فصل القيم الكونية السامية المتعالية عن معايير تنزيلها الظرفية وفق معايير المشروعية الدلالية الحالية، قال الأستاذ : "إن طريقة التفسير المقترحة ها هنا، تقوم على أساس حركة مزدوجة من الوضعية الراهنة إلى الأزمان القرآنية، ثم في عودة إلى الزمن الراهن. القرآن هو الرد الإلهي الذي جاء عن طريق عقل النبي، على الوضع الأخلاقي الاجتماعي الذي كانت تعرفه الجزيرة العربية أيام النبي، ولا سيما الرد الإلهي على المعضلات التي انطرحت على مجتمع مكة التجاري في أيامه".[١] ثم قال : "نرى أن القرآن وتكون الأمة الإسلامية قد تمّا على خلفية الوضعي التاريخي الاجتماعي. وما القرآن سوى الرد على هذه الوضعية، وهو في الجزء الأكبر منه يتألف من تعاليم أخلاقية، دينية، واجتماعية، تجيب على معضلات معينة تمت مجابهتها في وضعيات تاريخية ملموسة".[٢]

وختاما، فلا بد من ضرورة البحث في جملة من الدراسات الواردة حول الإنجيل عند المسيحيين، وما يكتنفه من غموض، وإبهام ومقابلتها بالدراسات القرآنية حول البيان والوضوح ليتضح مسار تطبيق الاتجاه الهرمنيوطيقي على النص القرآني.

المنهج اللساني :

اللسانيات علم يدرس اللغة، ويحاول جعل البحث اللغوي معتمداً على التجريب تماماً كالبحث التطبيقي في العلوم الحسيّة البحتة، وهو على كل حال نشأ في ظروف تمدد المنهجية الوضعية الغربية وبسط نفوذها على العلوم الإنسانية لإخضاعها لمنطق الحس، (بالرغم من مفارقتها له)، ولذلك فإن هذا العلم (اللسانيات)

[١] فضل الرحمن، **الإسلام وضرورة التحديث**، ترجمة إبراهيم العريس، بيروت، دار الساقي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م، ص ١٤.
[٢] المرجع السابق، ص ١٥.

علم يقوم على أرضية فلسفية وابستمولوجية (أصول معرفية) وضعية، وهو بذلك ليس علماً حيادياً، مما يجعل استعماله محفوفًا بالمخاطر خصوصاً إذا كان موضوع تطبيقه القرآن الكريم.

في كل الأحوال فإن اللسانيات علم يهدف إلى اكتشاف القوانين التي تحكم اللغة واستعمالاتها، وينزع إلى البحث عن القوانين التي تحكم لغات العالم جميعها في وقت واحد، وهو من هذه الجهة جديد كل الجدة.

الغاية التي يسير إليها هذا العلم باختصار : فهم المنطق الذي يحكم اللغات من أجل ضبط "المعنى" أو الدلالة. وهو هنا يتقاطع مع كل العلوم الإنسانية والعلوم التي تدرس النص، وبالخصوص علم "أصول الفقه" الإسلامي، العلم المتخصص بدراسة النص اللغوي، والعربي منه على وجه الخصوص.

وأول دراسة تنتهج هذا المنهج اللساني كانت للمستشرق الياباني "توشهيكو ايزوتسو" Toshihecko Izotso، في كتابه "بنية المصطلحات الأخلاقية في القرآن" عام ١٩٥٠م، وكان باللغة الإنكليزية وما يزال، ثم كتب عدد من المستشرقين الفرنسيين (آلارد وآخرين) دراسة طبق فيها علم الدلالة اللساني في كتاب "تحليل مفهومي للقرآن... Analyse conceptuelle du Coran surtes perforees" عام ١٩٦٣م. وفي عام ١٩٦٤م نشر معهد كيوتو للثقافة والدراسات اللسانية في طوكيو دراسة باللغة الإنكليزية للمستشرق الياباني المذكور آنفاً، بعنوان "الله والإنسان في القرآن: علم دلالة التصور القرآني للعالم: God and Man In The Koran: Semantic Of The Koranic Weltanschaung".[١]

وتوشهيكو ايزوتسو كان باحثاً ولغوياً وأستاذاً جامعياً، درَّس في معهد الدراساتِ الثقافيةِ واللغويةِ من جامعةِ كيو Keio في طوكيو (١٩٥٤-١٩٦٨)، وفي المعهد الملكي لدراسة الفلسفةِ في طهران، وفي معهد الدراسات الإسلامية من جامعة

[١] الكتاب ترجمه إلى العربية الأستاذ الدكتور عيسى علي العاكوب، وصدرت الترجمة عن دار الملتقى بحلب ٢٠٠٧، وقد صدرت ترجمة أخرى للكتاب بعنوان: "الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم"، أعدها الدكتور هلال محمد الجهاد، وذلك عن المنظمة العربية للترجمة عام ٢٠٠٧.

مكجل McGill في مونتريال بكندا، وكان أستاذاً فخرياً وعضواً في الأكاديمية اليابانية.

في هذه الفترة كان علم اللسانيات ما زال في طور تبلوره، وخصوصاً علم الدلالة وعلم العلامات السيميائية كانا في البداية. وقد حاول ايزوتسوا في دراسته أن يلحظ خصوصية القرآن ولغته التي تشير إلى المصدر الإلهي، والطابع الوضعي للسانيات، ولذلك حاول أن يطوّع النظريات اللسانية لتحليل القرآن الكريم ؛ بهدف الكشف عن نظرته الكلية للكون والحياة والإنسان، وبذلك انتبه ايزوتسو إلى أخطر مشكلة تواجه تطبيق البحث اللساني على النصوص الدينية. ولذلك وبالرغم من أن ايزوتسو كان مستشرقاً خلص إلى تصور لأكثر من ١٠٣ مفاهيم عقدية في القرآن تكاد تطابق ما عليه جمهور المسلمين، حتى ليبدو أن كاتب هذه الدراسة هو واحد من المسلمين، وعلينا أن نؤكد على أن ذلك يرجع إلى أن ايزوتسو ياباني وليس مسيحيًّا أوروبيًّا أو أمريكيًّا، فهو لذلك لا يحمل عقدة نفسية تجاه المسلمين، وبالتالي استطاع في دراسته أن يكون موضوعياً حيادياً، ومن جهة ثانية درس ايزوتسو اللغة العربية لمدة عامين كاملين في البلاد العربية لهذه الغاية، وحاول تفهم وجهة نظر المسلمين ؛ ما سمح له أن يقترب أكثر من الموضوعية.[١]

إن الشيء الأكثر أهمية في دراسة ايزوتسو أنها تثبت أن الدراسة اللسانية للقرآن ليست دوماً ضد القرآن على النحو الذي نشهده في التطبيقات العربية للسانيات على القرآن.[٢]

وقد لخص الأستاذ عبد الرحمن حللي منهج إيزوتسو في تطبيق علم الدلالة في فهم القرآن في النقاط التالية :

إن تطبيق عِلْم الدّلالة في دراسة القرآن عند إيزوتسو هو دراسةٌ تحليلية

---

[١] عبد الرحمن الحاج إبراهيم، **المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله**، مجلة رسالة المسجد، سوريا، العدد الأول، جمادي الثانية، ١٤٢٤ هـ/ أوت ٢٠٠٣ م.

[٢] إن التطبيقات العربية للسانيات على القرآن تعطها سمعة سيئة في الأوساط العلمية الإسلامية؛ إذ اقترنت مع التوجهات العلمانية والتوليفات الأيديولوجية لدلالات القرآن الكريم. وهنا تبدو المفارقة، فبينما كان الاستشراق ينحو نحو الموضوعية والحيادية باستخدامه للبحث اللساني، كان الدارسون العرب يستخدمونه لتأكيد صحة اعتقاداتهم العلمانية لا لغاية البحث العلمي. انظر على سبيل المثال تأويلات محمد شحرور في "الكتاب والقرآن".

للتعابير المفتاحية في لغة القرآن ابتغاءَ الوصول إلى إدراكٍ مفهوميٍّ للنّظرة القرآنية إلى العالم. فهو بعبارة أخرى محاولة للكشف عن تصور الإنسان والكون والحياة كما يتجلى في القرآن.

يؤكد إيزوتسو أن الكلمات القرآنية منثورة بشكل منظم وفائق الضبط، وثمة علاقات فيما بينها ولا يمكن فهم كلمة دون الربط بينها وبين شبكة المنظومات المفهومية التي تنتمي إليها.

يستحضر إيزوتسو حقيقة أن لكل كلمة معنى وضعياً أساسياً لا يتغير بتغير الاستعمال، ومعنى سياقياً يضفي على الكلمة معان جديدة قد تقطع مع معناها الأصلي وتصبح كلمة جديدة كلياً في معناها، وهذا شأن المفردات القرآنية.

يرى إيزوتسو أن الكشف عن الرؤية القرآنية للعالم يعتمد على دراسة ما يسميه التعابير المفتاحية في القرآن وهي الكلمات الرئيسة التي تمثل مركزاً في فهم موضوع معين أو حقل دلالي تنتمي إليه مجموعة أخرى من الكلمات. فثمة حقل دلالي (منظومة من المفهومات تدور حول موضوع مترابط، مثلاً حقل الأخرويات) وتعابير مفتاحية (كلمات أساسية تعتبر مفتاحاً لفهم المعاني في هذا الحقل الدلالي، مثلاً البعث والحساب والجزاء.

وثمة ما يسميه الكلمة الصميمة، وهي المركزُ المفهوميُّ لقطاع دلاليّ مهمٍّ من المعجم اللغوي متضمّناً عدداً محدّداً من الكلمات المفتاحيّة، ويعتبر لفظ الجلالة هي الكلمة الصميمة للمعجم اللغوي القرآني، فكل شيء في القرآن مرتبط بها.

إدراك هذه المعطيات يجعل تصور عمل إيزوتسو واضحاً، وسيجد القارئ للكتاب نفسه بعد معرفته هذه الأمور أنه يسير بسلاسة في فهم المعنى الذي يبحث عنه إيزوتسو وهو نظرة القرآن إلى العالم، وسيجد من خلال الكتابين تطبيقات دقيقة وعميقة لما سبق من وضوح منهجي.

ولا يسع المتأمل والناقد لهذه المقدمات ولما تم من تطبيقات إلا أن يعتبرها معطيات تقدم إضافة علمية ومنهجية في درس القرآن وتدبره، واكتشاف إحكامه

وتفصيل آياته، فالمقدمات المذكورة هي مقدمات لها سوابق في علوم اللغة والأصول لكنها لم تطبق مترابطة مع بعضها، وكان الهدف منها درس المعنى الجزئي لا درس البنية المتكاملة للموضوع في كامل القرآن، فالبحث الأصولي والفقهي في المصطلحات الشرعية، والفرق بين الحقيقة اللغوية والحقيقة الشرعية إنما اتجه إلى نماذج محدودة من المفردات، وهي مفردات ظاهرة التباين والاختلاف بين المعنى اللغوي والمعنى في السياق القرآني، والهدف منها البحث في الأحكام الشرعية المستنبطة من القرآن، أما إعمال علم الدلالة في منهج إيزوتسو فهو أشمل من المفهومات الشرعية المألوفة، ويهدف أساساً إلى إدراك طبيعة التحول في المفهوم وكيف تم توظيفه في التحول الفكري الذي جاء به القرآن، ومن ثم (كيف) صاغ من خلاله منظراً جديداً للعالم.[١]

وجدير بالذكر، أن سوء استعمال البعض لهذا المنهج لا يعني أنه بأسره سيء، لا يمكننا الاستفادة منه، فالمسلمون يعتقدون - على خلاف المسيحية - أن العلم والقرآن كلاهما من الله تعالى، وبالتالي فهما لا يتصادمان ، وسوء الاستخدام وحده هو الذي يجب استنكاره.

المنهج التاريخاني :

المنهج التاريخاني هو الذي يعتبر أن تفسير النص يجب أن يكون مرهوناً بتاريخه، ويجب أن يكون ساكناً هناك لحظة ميلاده، فلا يمكن فصل أي نص عن تاريخه.[٢] هذا المنهج يصدر عن نزعة مادية وضعية لا تؤمن بأن الأديان هي من صنع الله تعالى، ويعتبرها إنشاء إنسانيًّا، وذلك لأن الإنسان يتحكم به التاريخ بشكل كامل، والله مطلق منزه عن ذلك. فهو منهج - على حدتعبير محمد أركون - يهتم بدارسة الأشياء والأحداث من خلال ارتباطها بالظروف التاريخية. ويعلق علي حرب على ذلك

[١] عبد الرحمن حللي، **استخدام علم الدلالة في فهم القرآن: قراءة في تجربة الباحث الياباني توشيهيكو إيزوتسو Toshihiko Izutsu** بحث مشارك في المؤتمر العلمي الدولي:"التعامل مع النصوص الشرعية (القرآن والحديث) عند المعاصرين" الذي عقدتْه كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، في ٦-٨ ذو القعدة ١٤٢٩هـ- الموافق ٢٠٠٨/١١/٦ م.

[٢] محمد أركون، **الفكر الإسلامي: قراءة علمية**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م، ص ١٣٩.

ويقول: ״هذا يعني أن كل الظواهر الاجتماعية تخضع لحيثياتها الزمانية والمكانية وشروطها المادية والدنيوية، كما يعني خضوع البنى والمؤسسات والمفاهيم للتطور والتغير، أي قابليتها للتحويل والصرف وإعادة التوظيف״.[١]

والنقد التاريخاني الحديث للنصوص المقدسة في أوربا يهتم ببحث صحة نسبة تلك النصوص إلى من تنسب إليهم، كما يهتم ببيان العلاقة بين تلك النصوص وبين التجارب التاريخية للجماعات الدينية التي ظهرت فيها تلك النصوص، أي أن هدف النقد التاريخي للنصوص هو مساءلة مسلمات الدين بالأساس.[٢]

حاول البعض بناءً على مقولة ״المنهج التاريخاني״ إلصاق النص بالتاريخ لتسويغ التخلي عنه الآن، وبالرغم من أن محمد أركون المفكر الجزائري كان سباقاً منذ الثمانينيات إلى هذا المنهج[٣]، فقد اشتهر به نصر حامد أبو زيد بسبب قضية طلاق زوجته في المحاكم المصرية بتهمة الارتداد عن الدين، بسبب اعتناقه لهذه الفكرة في منتصف التسعينيات.[٤] وبينما كان محمد أركون يصدر عن عقيدة علمانية ليبرالية،

[١] علي حرب، **نقد النص**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ص ٦٥.

[٢] مصطفى كيحل، **الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون**، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم الفلسفة بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٨ م، ص ٢٥١.

[٣] يسعى أركون إلى تطبيق النقد التاريخي على الإسلام والنصوص التأسيسية له أي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والسيرة النبوية، بنفس الكيفية التي طبق بها على المسيحية، وعلى الكتب المقدسة في أوربا، لعل هذا العمل يؤدي إلى نفس النتائج التي عرفتها أوربا. أي أن أركون يريد أن يطبق على القرآن وعلى التراث بشكل عام ما طبق على الإنجيل من مناهج تاريخية لأن المقارنة هي أساس العلم والفهم. ويشير إلى ذلك صراحة عندما يتحدث عن كتابات دانييل روس D. RAUSS عن الأناجيل وهو مؤلف مسيحي كتب عدة كتب عن الأناجيل في الأربعينات والخمسينات، من القرن الماضي، وكانت مؤلفاته شعبيةً جدا لأنها مكتوبة بأسلوب راق جذاب، وكان عضوا في الأكاديمية الفرنسية، ويقول أركون عن كتاباته: ״عندما اطلعت عن كتبه لأولى مرة تساءلت قائلا: ألا يمكن أن نفعل شيئا مشابها فيما يخص القرآن؟ وما هي النتيجة التي سنتوصل إليها إذا ما قارنا بين الإنجيل والقرآن بهذه الطريقة؟ هذه هي نقطة البداية، وهذا ما غذى فضولي المعرفي. وعلى هذا النحو ابتدأت العمل في مجال القرآن״. (انظر: مصطفى كيحل، المرجع السابق، ص ٢٥١)

[٤] وكان ذلك بعد نشره كتابين عنوانهما ״الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية״ و״مفهوم النص؛ دراسة في علوم القرآن״، وكان نص الدعوى المرفوعة ينص أقواله التي تثير ضجة إعلامية في العالم الإسلامي في منتصف التسعينات في القرن الماضي، منها قوله في كتابه ״الإمام الشافعي״ التالي :

״قد آن آوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر لا من سلطة النصوص وحدها بل من كل سلطة تعوق مسيرة الإنسان في عالمنا،علينا أن نقوم بهذا الآن قبل أن يجرفنا الطوفان) (نصر أبو زيد، **الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية**، القاهرة، مدبولي، ص ١٤٦).

وكذلك قوله في كتابه ״مفهوم النص״ التالي:

״الإسلام دين عربي، وإن الفصل بين العربة والإسلام ينطلق من مجموعة من الافتراضات المثالية الذهنية أولها عالمية الإسلام وشموليته من دعوى أنه دين للناس كافة لا للعرب وحدهم״ (انظر: نصر أبو زيد، **مفهوم النص؛ دراسة في علوم القرآن**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ص ٢١)،

وقوله في نفس الكتاب: ״إن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي. والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد

كان نصر حامد أبو زيد يصدر عن عقيدة ماركسية. وفي كلا الحالتين كان يراد من المنهج التاريخي تأمين انسلاخ جماعي للمسلمين من كتابهم الكريم، من أجل تسليمهم للوضعيَّة، والدخول في الحداثة الغربية المادية بحسن نيّة وبسوئها.[١]

وإنتاجات الدراسات القرآنية في هذا الإطار قليلة، لكننا يمكن أن نشير إلى آخر دراسة عام ١٩٩٨م بالفرنسية لتلميذة محمد أركون، جاكلين الشابي Jacqueline Chabbi في أطروحتها للدكتوراه في جامعة السوربون وكتابها ما يزال بالفرنسية، وهو تحت عنوان : le seigneur des tribus : Islam de Muhammad (قراءة في رب القبائل إسلام محمد).

وجاكلين الشابي هي أستاذة في جامعة باريس سان دونيس، ومتخصصة في تاريخ العالم الإسلامي، وقد حاولت قراءة النص القرآني بطريقة مختلفة عن باقي القراءات التي تعالج النص المقدس من مدخل ديني أوعقدي، وهي تستخدم مدخل الأنثروبولوجيا وتاريخ البيئة الأصلية لنزول القرآن؛ بيئة الصحراء والبساطة. وتتساءل جاكلين: كيف استطاع القرآن أن يكيّف آيات الإنجيل، والتوراة بما يلائم تلك البيئة المختلفة تمام الاختلاف، عن بيئة نزول تلك الكتب؛ حتى يجد قبولا بين العرب؟ فقصص الأنبياء من نوح إلى إبراهيم وموسى، تمّ تحويرها لتصبح متناغمة مع إيقاع حياة محمد بين أهله. ضمن هذا الإيقاع اكتشف محمد نبوته مع مرور الزمن، خليفة وامتدادا طبيعيا للنبوات السابقة. وبهذا الطرح الذكي استطاع الإسلام أن يكتسب صفة الديانة الإبراهيمية "ملة إبراهيم"، دون غيره من الديانات.[٢]

هذا، ويبقى أن تجربة المناهج الغربية في تفسير القرآن الكريم وتأويله كانت غالباً فاشلة؛ لكن فشلها لا ينبع دوماً من الإمكانات المعرفية لتلك المناهج، بل بسبب الخلفيات الاعتقادية التي جعلت من تلك المناهج مجرّد أدوات للدعوة إليها،

على العشرين عاما. وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقا عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكر من ثمّ لإمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص". (انظر: نصر أبو زيد، **مفهوم النص؛ دراسة في علوم القرآن**، ص ٢٤).

[١] عبد الرحمن الحاج إبراهيم، **المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله**، المرجع السابق، ص ١١.

[٢] Jacqueline Chabbi, Le Coran Decrypte: Figures Bibliques en Arabie, Paris, fayard, 2008, Page 418.

فأساءت كثيراً لها، وحجبت المسلمين عن الاستفادة منها، ومن الطبيعي ألا يهمها حجم الخسائر العلمية، فهي مهووسة بعقائدها العلمانية المتطرفة.

وفي المقابل كان تقييم "المناهج الغربية" وجدواها في دراسة القرآن الكريم دائماً غير موضوعي، لأنه كان يرتبط بالنتائج الكارثية لتلك الدراسات، وهذا ما يبرر الحساسية . الخوف الدائم والمستمر من استخدام تلك المناهج في دراسة القرآن الكريم؛ إذ يُنظر إليها تلقائياً بأنها رغبة علمانية وليست علمية.[1]

[1] عبد الرحمن الحاج إبراهيم، **المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم وتأويله**، المرجع السابق، ص ١١.

أساليب التفسير

لقد أجمعت كلمة علماء الأمة الإسلامية على العناية بتفسير القرآن وبيان دراسته، واستخراج كنوزه، والشرب من معناه العذب النمير. ولأجل تفرغهم لدراسته وانكبابهم عليها، اختلفت طرائقهم في عرض علومه وتنوعت مشاريعهم في إيضاح مكوناته، وكان الحظ الأوفر لعلم التفسير من ذلك كله، ولهم في تناول هذا العلم والكتابة فيه أربعة أساليب مشهورة، وهي أسلوب التفسير التحليلي، وأسلوب التفسير الإجمالي، وأسلوب التفسير المقارن، وأسلوب التفسير الموضوعي.

وفيما يلي بيان هذه الأساليب :

الأسلوب الأول : التفسير التحليلي :

وهو الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيبها في المصحف ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني الألفاظ، وأوجه الإعراب، ووجوه البلاغة، وأسباب النزول، والأحكام الفقهية، وأوجه القراءة، ونحو ذلك. مثل المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني وغير ذلك.

ويتميز هذا الأسلوب بمزايا منها :[١]

١- أنه أقدم الأساليب لتفسير كتاب الله، فقد كان التفسير فى نشأته الأولى يتناول الآيات المتتابعة ولا يتجاوزها المفسر إلى غيرها حتى يعرف معناها، وبين هذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه بقوله :" كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن".

٢- أن هذا الأسلوب هو الغالب على المؤلفات فى التفسير وأشهر التفاسير وأهمها قديما وحديثا ألفت على هذا الأسلوب كتفسير الطبرى، والخازن، والثعلبي، والواحدي والبغوي، وابن عطية والشوكاني، وابن كثير وغيرهم.

٣- يتفاوت المفسرون في هذا اللون من التفسير بين الإيجاز والإطناب، فمن التفاسير ما جاء فى مجلد واحد بما فيه النص القرآني الكريم كله، ومنها ما جاء في أكثر من ثلاثين مجلدا.

٤- يظهر التباين جليا بين المفسرين في هذا الأسلوب من حيث الاتجاهات والمناهج، فمنهم من التزم في تفسيره بالتفسير المأثور والنقل عن أئمة السلف والالتزام بمنهج أهل السنة والجماعة، ومنهم من التزم بمناهج المذاهب الأخرى، ومنهم من توسع في التاريخ والقصص والإسرائيليات، ومنهم من اعتنى بالبلاغة ووجوه البيان، ومنهم من اعتنى بآيات الأحكام، ومنهم من اهتم بالآيات الكونية والتفسير العلمي، ومنهم من استطرد في المسائل النحوية، ومنهم من توسع في علم الكلام والفلسفة والتصوف وغير ذلك.

الأسلوب الثاني : التفسير الإجمالى :

وهو الأسلوب الذي يعمد فيه المفسر إلى بيان الآيات القرآنية بالتعرض لمعانيها إجمالاً؛ مبيناً غريب الألفاظ، والربط بين المعاني في الآيات، يصوغ ذلك بعبارة موجزة متناولة جميع جوانب البيان للآية ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها، وقد يضيف فيه

[١] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، المرجع السابق، ص ٧١-٧٢.

ما تدعو الضرورة إليه من سبب نزول أو قصة أو حديث ونحو ذلك. أو بعبارة أخرى هو أن يعرض المفسر المعنى القرآني عرضا مجملا يقتصر فيه على شرح ما يحتاج إلى بيان من الألفاظ بالقدر الضروري للمعرفة وعلى ذكر المعنى العام بالإيجاز.[١]

يقول الدكتور فهد الرومي : "التفسير الإجمالي هو أن يلتزم المفسر تسلسل النظم القرآني سورة سورة إلا أنه يقسم السورة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة بتفسير معانيها إجمالا مبرزا مقاصدها، موضحا معانيها، ومظهرا مراميها، ويجعل بعض ألفاظ الآيات رابطا بين النص وتفسيره فيُورِد بين الفينة والأخرى لفظا من ألفاظ النص القرآني لإشعار القارئ أو السامع بأنه لم يبعد فى تفسيره عن سياق النص القرآني ولم يجانب ألفاظه وعباراته ومُشعِرا بما انتهى إليه فى تفسيره من النص".[٢]

وهذا الأسلوب أشبه ما يكون بالترجمة المعنوية للقرآن الكريم التي لا يلتزم المترجم فيها بالألفاظ، وإنما يقصد إلى بيان المعنى العام، وهو الذي يستخدمه من يتحدث بالإذاعة والتلفاز لصلاحيته لعامة الناس، ومن أمثلته تيسير الكريم الرحمن لتفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدي، والتيسير في أحاديث التفسير للشيخ محمد المكي الناصري،[٣] والتفسير الميسر الصادر عن مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف إعداد نخبة من العلماء. ومن التفاسير المشهورة التي تنتهج هذا الأسلوب تفسير الجلالين وتفسير المنير للشيخ النووي البنتاني.

الأسلوب الثالث : التفسير المقارن :

وهو الذي يعمد فيه المفسر إلى بيان الآيات القرآنية باستعراض ما ذكره المفسرون في الآية أو مجموعة الآيات المترابطة، والموازنة بين آرائهم، وعرض استدلالاتهم، واختيار الراجح منها، وبيان دليله، وبين سبب طرح المرجوح، وتوجيه

---

[١] محمد عفيف الدين دمياطي، **موارد البيان في علوم القرآن**، سيدورجو، مكتبة لسان عربي، الطبعة الثالثة، ٢٠١٥ م، ص ١٣١.

[٢] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجه السابق، ص ٧٣.

[٣] مساعد سليمان الطيار، **فصول في أصول التفسير**، الدمام، دار ابن جوزي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩ م، ص ١٩.

أدلته. أو هو أن يعرض المفسر أقوال المفسرين في تفسير الآيات ودراستها وتحقيقها ثم مقارنتها، وقد يحللها وقد يرجح بعضها على بعض.[١]

وقد وسع الدكتور فهد الرومي مفهوم هذا الأسلوب وقال : "هو الذي يعمد المفسر فيه إلى الآية أو الآيات فيجمع ما حول موضوعها من نصوص سواء كانت نصوصا قرآنية أخرى، أو نصوصا نبوية (أحاديث)، أو للصحابة، أو للتابعين، أو للمفسرين، أو الكتب السماوية الأخرى، ثم يقارن بين هذه النصوص، ويوازن بين الآراء، ويستعرض الأدلة، ويبين الراجح وينقض المرجوح".[٢]

وبهذا توسع مجال هذا الأسلوب وتفسّح ميدانه ليشمل وجوها متعددة للمقارنة آتية :

١- المقارنة بين نص قرآني ونص قرآني آخر للاتفاق، أو ظاهره الاختلاف، ومن هذا الأسلوب عُلم تأويل مشكل القرآن، وقد تكون المقارنة بين النصَّيْنِ القرآنيَّيْنِ لإبراز معاني لا يوصل إليها أحد النصَّيْنِ، إذ يفسر أحدهما الآخر ويكمله، فقد تختلف العبارة بين النصين إيجازا وإطنابا، أو إجمالا وبيانا، أو عموما وخصوصا وغير ذلك، وقد يظهر ذلك جليا في جانب القصص القرآني حيث إن جمع نصوص القصة الواحدة في القرآن يؤدي إلى تكامل القصة وترابط الأحداث.

٢- المقارنة بين نص قرآني وحديث نبوي يتفق مع النص القرآني أو ظاهره الاختلاف كذلك، ويبحث العلماء ذلك في المؤلفات في مشكل القرآن ومشكل الحديث أيضا.

٣- المقارنة بين نص قرآني وبين نص في التوراة أو الإنجيل لتوضيح بعض معاني القرآن وجلاء بعض معانيه وتكملة المشهد الذي يتناوله النص القرآني فيما وقع الاتفاق فيه بين القرآن والكتب السابقة، وإظهار فضل القرآن ومزيته وهيمنته على الكتب السابقة، وكشف وجوه التحريف والتبديل فيها فيما وقع

[١] محمد عفيف الدين دمياطي، المرجع السابق، ص ١٣١.

[٢] فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المرجع السابق، ص ٧٤.

فيه الاختلاف. وهذا مثل : ″القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم″ لموريس بوكاي، وكتاب ″محمد في التوراة والإنجيل والقرآن″ للأستاذ إبراهيم خليل وغير ذلك.

٤- المقارنة بين أقوال المفسرين، حيث يستطلع المفسر أراء المفسرين في الآية الواحدة مهما اختلفت مشاربهم، وتعددت مذاهبهم، ويذكر أدلة كل قول وحججه، ويناقش الأقوال، وينقد الأدلة، ويرجح ما يراه راجحا ويبطل ما يرى بطلانه. وعلى هذا يدخل فيه تفسير الطبري، والكشف والبيان للإمام الثعلبي، ومعالم التنزيل للإمام البغوي، وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير.[١]

الأسلوب الرابع : التفسير الموضوعي :

هو أسلوب في التفسير يقوم على أساس محاولة استكشاف المفاهيم القرآنية في جميع المجالات العقيدية والفكرية والثقافية والتشريعية والسلوكية من خلال عرضها في مواضعها المختلفة من القرآن الكريم، عن طريق جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد، أو كلمة معينة. ولهذا يُعَرَّف بأنه: هو الذي يعنى بتفسير القرآن عن طريق جمع الآيات القرآنية المتفرقة في سور القرآن والمتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

نشأة التفسير الموضوعي :

لم يظهر هذا المصطلح عَلَمًا على علم معين إلا في القرن الرابع عشر الهجري، عندما قُرِّرت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، إلا أن لبنات هذا اللون من التفسير كانت موجودة منذ عهد النبوة وما بعده، ويمكن إجمال مظاهر وجود هذا التفسير في الأمور التالية :[٢]

---

[١] المرجع السابق، ص ٧٤-٧٥.

[٢] لمزيد من البيان اقرأ : **مباحث في التفسير الموضوعي** للدكتور مصطفى مسلم، و**محاضرات في التفسير الموضوعي** للأستاذ الدكتور عباس عوض الله عباس، و**أصول التفسير ومناهجه** للأستاذ الدكتور فهد عبد الرحمن سليمان الرومي.

١ - تفسير القرآن بالقرآن :

لا ريب أن تفسير القرآن بالقرآن هو أعلى درجات التفسير الموضوعي وأعظمها ثمرة وأكثرها. وجميع الآيات التي تناولت قضية واحدة والجمع بين دلالاتها والتنسيق بينها كان أبرز ألوان التفسير التي كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يربي أصحابه عليها، فقد روى البخاري أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فسر مفاتح الغيب في قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام : ٥٩]، فقال : مفاتح الغيب خمسة: {إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان : ٣٤].[١]

ومن هذا القبيل ما كان يلجأ إليه الصحابة -رضوان الله عليهم- من الجمع بين الآيات القرآنية التي يُظنُّ بينها تعارضٌ. وقد وضع العلماء بعده قاعدة في أصول التفسير تقتضي بأن أول ما يرجع إليه المفسر القرآنُ الكريم، إذ ما أجمل في مكان قد فصل في آخر، وما أطلق في آية إلا قد قيد في أخرى، وما ورد عاماً في سورة، جاء ما يخصصه في سورة أخرى، وهذا اللون من التفسير هو أعلى مراتب التفسير وأصدقها إذ لا أحد أعلم بكلام الله من الله.

٢ - آيات الأحكام :

فقد اتجهت طائفة من الفقهاء إلى تتبع آيات الأحكام وجمع آيات كل باب من أبواب الفقه على حدة، وأخذوا في دراستها واستنباط الأحكام منها، والجمع بين ما يظهر التعارض، وذكروا ما نص عليه وما استنبط من القرآن بطريق الإشارة والدلالة الخفية، ونحو ذلك، وكله داخل تحت مسمى التفسير الموضوعي. ومن أشهر المؤلفات في ذلك : أحكام القرآن للجصاص، وأحكام القرآن لابن العربي، ونيل المرام من تفسير آيات الأحكام لمحمد صديق حسن وغير ذلك.

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب وعنده مفاتح الغيب، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ٥٦..

٣- الأشباه والنظائر:

وهو اتجاه يقوم فيه المفسر بتتبع اللفظة القرآنية، ومحاولة معرفة دلالاتها المختلفة، مثال ذلك: كلمة (خير) وردت في القرآن على ثمانية أوجه حسبما ذكره الدامغاني في كتابه "إصلاح الوجوه والنظائر"، وهي: المال، كقوله ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]، والإيمان، كقوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، والإسلام، كقوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [القلم: ٢]، وبمعنى أفضل، كقوله: ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]، والعافية، كقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧]، والأجر، كقوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ﴾ [الحج: ٣٦]، والطعام، كقوله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وبمعنى الظفر والغنيمة والطعن في القتال، كقوله: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ومن أشهر المؤلفات في هذا: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي وغير ذلك.

ولا شك أن هذا لون من التفسير الموضوعي، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الباحثون في البحث عن موضوعات القرآن حيث يجمعون ألفاظ ذلك الموضوع من سور القرآن ثم يتعرفون على دلالة اللفظ في أماكن وروده.

٤ - الدراسات في علوم القرآن:

اهتم العلماء بموضوعات علوم القرآن فأشبعوها، ومن بين هذه الموضوعات والدراسات، لون ينصبُّ على دراسة وجمع الآيات التي لها رابطة واحدة، كآيات النسخ والقسم والمشكل والجدل والأمثال وغير ذلك، ومؤلفاتهم في ذلك أكثر من أن تذكر، ومنها: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيدة القاسم بن سلام، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم، ومجاز

القرآن للعز عبد السلام وغير ذلك.

كل هذه الأمور والحقائق إن دلت على شيء فإنها تدلنا على أن التفسير الموضوعي وإن تأخرت تسميته بهذا الاسم فإنه ليس بدعاً من العلوم أفرزته عقول المتأخرين، وغفلت عن الاهتمام به أفهام الأولين.

ولشدة عناية الكاتبين بهذا الفن من التفسير قام جمع من الباحثين بخدمة هذا اللون من التفسير بوضع فهرسة للقرآن على حسب الموضوعات منها ما هو في عداد المخطوطات، ومنها ما طبع ككتاب المستشرق ″جون لابوم″ والذي عنوانه ″تفصيل آيات القرآن الكريم″، وقد ترجمه إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي وترجم المستدرك الذي وضعه (إدوار مونتيه) وخرجا في كتاب واحد، وهو خطوة أولى في طريق طويل لا بد وأن تجد مستدركاً ومعقباً كعادة ما يكتب أولاً.

أقسام التفسير الموضوعي :

ينقسم التفسير الموضوعي إلى ثلاثة أنواع هي :

القسم الأول :

أن يتتبع الباحث لفظة من كلمات القرآن الكريم ثم يجمع الآيات التي ترد فيها اللفظة أو مشتقاتها من مادتها اللغوية، وبعد جمع الآيات والإحاطة بتفسيرها يحاول استنباط دلالات الكلمة من خلال استعمال القرآن الكريم لها. وكثير من الكلمات القرآنية المتكررة أصبحت مصطلحات قرآنية.

فكلمات: الأمة، الصدقة، الجهاد، الكتاب، الذين في قلوبهم مرض، المنافقون، الزكاة، أهل الكتاب، الربا، نجدها تأخذ وجوهًا في الاستعمال والدلالة.

فالمتتبع لمثل هذا يخرج بلون من التفسير لأساليب القرآن الكريم في استخدام مادة الكلمة ودلالاتها.[١]

ومن المؤلفات على هذا النوع من التفسير :

---

[١] مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، بيروت، دار القلم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ص ٢٣.

١- ″كلمة الحق في القرآن الكريم″ للشيخ محمد بن عبد الرحمن الراوي.
٢- ″المصطلحات الأربعة في القرآن (الإله، الربّ، العبادة، الدين)″ لأبي الأعلى المودودي.
٣- ″الأمة فى دلالتها العربية والقرآنية″ للدكتور أحمد حسن فرحات.

القسم الثاني :

أن يحدد الباحث موضوعا ما تعرض القرآن الكريم له بأساليب متنوعة في العرض والتحليل والمناقشة والتعليق. فيتتبع الموضوع من خلال سور القرآن الكريم، ويستخرج الآيات التي تناولت الموضوع، وبعد جمعها والإحاطة بتفسيرها يحاول الباحث استنباط عناصر الموضوع من خلال الآيات الكريمة، فينسق بين عناصره، ويقدم له بمقدمة حول أسلوب القرآن الكريم في عرض أفكار الموضوع، ويحاول أن يقسمه إلى أبواب وفصول ومباحث، ويستدل بالآيات القرآنية على كل ما يذهب إليه ويتحدث عنه مع ربط ذلك كله بواقع الناس ومشاكلهم ومحاولة حلها وإلقاء أضواء قرآنية عليها.

ويتجنب خلال بحثه التعرض للأمور الجزئية في تفسير الآيات فلا يذكر القراءات، ووجوه الإعراب والنكات البلاغية إلا بمقدار ما تُلقي أضواء على أفكار الموضوع الأساسية، ويعرض ما يتحدث عنه بأسلوب جذاب لتوضيح مرامي الآيات ومقاصدها والحكمة الإلهية في عرض أفكار الموضوع بأساليب معينة واختيار ألفاظ محددة لها.

وهذا اللون من التفسير الموضوعي هو المشهور في عرف أهل الاختصاص، وإذا أطلق اسم ″التفسير الموضوعي″ فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه.[١]

[١] مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص ٢٧.

ومن المؤلفات في هذا النوع :

١- الصدق في القرآن الكريم : تأليف مذكر محمد عارف.

٢- الصبر في القرآن الكريم : د. يوسف القرضاوي.

٣- دستور الأخلاق في القرآن : د. محمد عبد الله دراز.

٤- الصلاة فى القرآن الكريم : فهد بن عبد الرحمن الرومي.

٥- المرأة في القرآن الكريم : د. عبد السلام التونجي.

القسم الثالث :

أن يبحث الباحث في هذا اللون عن الهدف الأساسي في السورة الواحدة، ويكون هنا الهدف هو محور التفسير الموضوعي في السورة.

وطريقة البحث في هذا اللون هو: أن يستوعب الباحث هدف السورة الأساسي، أو أهدافها الرئيسية، ثم يبحث عن سبب النزول للسورة أو الآيات التي عرضت الموضوع الأساسي للسورة، ثم ينظر إلى ترتيب نزول السورة من بين السور المكية أو المدينة، ثم يدرس الأساليب القرآنية في عرض الموضوع والمناسبات بين مقاطع الآيات في السورة.[١]

ومن أشهر التفاسير التي عُنيتْ بوحدة الموضوع في السورة الواحدة تفسير الدكتور محمد عبد الله دراز لسورة البقرة، وهو أول تفسير موضوعي لسورة كاملة، يعرف ذلك من قرأ كتابه "النبأ العظيم"[٢]، وتأسى به الشيخ محمد الغزالي في كتابه "نحو تفسير موضوعي لسور القرآن".

وممن تميز تفسيره بالعناية ببيان مقاصد السور وأهدافها الدكتور محمد البهي – رحمه الله تعالى - حيث التزم أن يقدم لبعض السور التي يفسره مقدمةً يبين فيها أهدافها وينطلق في تفسيرها على هذا المحور، وقد فسر الدكتور محمد البهي بعض السور القرآنية، منها سورة يونس، وسورة الإسراء، وسورة المؤمنون، وسورة

[١] مصطفى مسلم، المرجع السابق، ص ٢٩.

[٢] طبع الكتاب أول مرة في السنة ١٩٥٧ م بدار القلم بكويت..

الشعراء تحت عنوان عام "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"[١].

ومن المؤلفات في هذا النوع من التفسير :

١- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم : الدكتور محمد البهي.

٢- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن : الشيخ محمد الغزالي.

٣- تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام : الدكتور إبراهيم الكيلاني.

٤- الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف : الدكتور عادل محمد أبو العلا.

٥- مباحث العقيدة في سورة الزمر : ناصر بن عالى الشيخ.

٦- قضايا المرأة في سورة النساء : الدكتور محمد يوسف.

فوائد التفسير الموضوعي :

من فوائد التفسير الموضوعي ومزاياه ما يلي :[٢]

١- إزالة الإشكالات التي تبرز في بعض الآية للوهلة الأولى وحل المتشابه في القرآن.

٢- الاطلاع على ظروف ومزايا وأسباب ونتائج المواضيع والأمور المختلفة المطروحة في القرآن الكريم.

٣- الحصول على تفسير جامع للمواضيع المدروسة.

٤- الحصول على أسرار وإيحاءات جديدة من القرآن من خلال إلحاق الآيات ببعضها.

٥- أنه يمثل حالة من التفاعل مع الواقع الخارجي، إذ إن المفسر يبدأ بالواقع الخارجي ثم ينتقل إلى القرآن الكريم ثم يعود إلى الواقع الخارجي مرة أخرى بنتاج بحثه داخل القرآن، مما يجعل القرآن الكريم ملبّيا بشكل مستمر لكل متطلبات الحالة الإنسانية والاجتماعية التي تفرضها حركة التاريخ والحركة التكاملية لهذا الإنسان.

---

[١] طبع الكتاب أول مرة في السنة ١٩٧٦ م، نشره مكتبة وهبة بالقاهرة.

[٢] أحمد سعد الخطيب، المرجع السابق، الجزء الأول، ص ٣٦٥.

أسانيد التفسير

أسانيد التفسير من المهمات التي ينبغي لطالب العلم أن يعتني بها، ويتفقه فيها، ويعرف الصحيح منها والضعيف. فإن كثيرا من طلبة العلم يجهلون هذا الفن، ولا يعتنون بها، والغالب على أحكام المتعلمين للتفسير الاعتماد على إطلاقات المحدثين في علوم الحديث وقواعده. وهذا مشكل في أسانيد الأحكام فضلا عن أسانيد التفسير.

معنى أسانيد التفسير:

السند هو الرواة الموصلون إلى المتن، أو هو الطريق الموصل إلى المتن، وسمي الرواة سندا لأنهم يسندون القول إلى مصدره. والمراد بأسانيد التفسير هو سلسلة من الرواة الموصلين إلى الأقوال أو الآراء في تفسير القرآن.

تساهل السلف في روايات التفسير:

إن الرواة الثقات يعتنون بأمور الديانة، ومسائل الأحكام الظاهرة التي يخاطَب بها الناس في حياتهم، وحرصوا عليها، ونقلوها، وتحروا ثبوتها، وهم مع ذلك

تساهلوا في غيرها كالتفسير والسير والتاريخ والفتن والمغازي.

فالمبرزون في التفسير والسير والمغازي لا يصلون إلى متوسطي الثقات من رواة أحاديث الأحكام، ولهذا كثر في أسانيد التفسير الضعيف والواهي والمنكر والموضوع، فلم يعتنِ به الكبار كشعبة وسفيان ومالك وابن مهدي، وغيرهم من الأئمة الحُفّاظ الأثبات، وإن كانوا قد رووا جملة من ذلك.[١]

والأئمة يتساهلون في التفسير ويتشددون في أدلة الأحكام، قال عبد الرحمن بن مهدي: "إذا روينا في الثواب والعقاب وفضائل الأعمال، تساهلنا في الأسانيد، وتسامحنا في الرجال، وإذا روينا في الحلال والحرام والأحكام، تشددنا في الأسانيد، وانتقدنا الرجال".[٢]

وفي هذا يقول الإمام أحمد: " ثلاثة كتب لا أصل لها: التفسير والملاحم والمغازي".[٣]

وجدير بالذكر أن الحفاظ الأوائل لا يعتنون بالتفسير، وكانت العناية في عهد التابعين به أظهر منها في عهد الصحابة، وفي أتباع التابعين أظهر من التابعين وهكذا حتى استقر تدوين العلوم، وذلك لأن الحفاظ الأوائل ينشغلون بالأحكام والمسائل والأصول وفروع الأحكام التعبدية، وهذا الانشغال يُصرفهم عن الانشغال بالتفسير وعلومه. وهذا بالإضافة إلى أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، يفهمه عامة الناس في صدر الأول، وتفسير ألفاظه وبيانه من فضول العلم عند كثير منهم، بل إن فهم الأعرابي منهم لألفاظه ومقاصده يفوق فهم كثير من كبار المفسرين من المتأخرين، وما نزل القرآن إلا ليفهمه الناس بلا تكلف وبيان، وهذا مقتضى التكليف بمجرد السماع وبلوغ الحجج للأسماع.

---

[١] عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، **التقرير في أسانيد التفسير**، دار المنهاج، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م، ص ١٥.

[٢] أخرجه الحاكم في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح، انظر: أبو عبد الله الحاكم، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، الجزء ١، ص ٦٦٦.

[٣] جلال الدين السيوطي، **الإتقان**، المصدر السابق، ص ٥٥٠.

أسباب التساهل في الرواية عن الضعفاء في التفسير:

ثمة قرائن عدة تسامح العلماء لأجلها في رواية التفسير وكتابته :[١]

القرينة الأولى : أن المصنفات أوالمرويات عن الصحابة والتابعين إنما هي كتبٌ يروونها عن بعض، وليست محفوظات تُحفَظ في الصدور، ولذلك قلَّت المحفوظات في مرويات التفسير، فكان ثمة نُسخٌ تُروى، واشتهرت؛ كتفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وتفسير عطية العوفِيّ عنه، وتفسير السُّدّي عن أشياخه، وتفسير قتادة الذي يرويه عنه مَعْمَر بن راشد وسعيد بن أبي عَروبة، وتفسير الضحاك بن مزاحم، وكذلك تفسير مجاهد بن جَبْر الذي يرويه عنه القاسم بن أبي بزَّة وغيرهم.

وهذه الصحف تُروى وتُحمل إن كان الراوي لها ليس متهما بالكذب، لأنه يحمل على أنه يحدِّث من هذه الصّحُف، فالأئمة يطلقون القول بتضعيف الراوي، ويريدون بذلك – غالبا – رواياتِه في الأحكام في الحلال والحرام، وعند العمل والاحتجاج، يفْرُقُون؛ لأن الأحكام هي المقصودة من الجرح والتعديل، لذا روى البيهقي في ″الدلائل″ عن يحيى بن سعيد قال : ″تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث″، ثم ذكر ليثَ بن أبي سُليم وجُويبر بن سعيد والضحاك ومحمد بن السائب، وقال : ″هؤلاء لا يحمد أمرهم، ويكتب التفسير عنهم″.

القرينة الثانية : أن المتخصص في فن من الفنون يقدم على غيره، وإن كان من كبار الثقات أو الحفاظ الأثبات يقدم من هو دونه عليه في الغالب، إذا كان مختصا بما يرويه، ولذلك اشتهر وعُرف عن كثير من الأئمة والرواة أنه قد اختص بباب من الأبواب، وامتاز به، وقُدِّم على من هو أثبتُ منه بالحفظ والرواية، وأظهر في باب الديانة والصلاح، فأئمة علم القراءات منهم لا تقبل روايته في أحاديث الأحكام، وإن كان هو من الأئمة الثقات في غير هذا الباب؛ كعاصم بن أبي النَّجود، وحفص بن عمر، وحفص بن سليمان.

---

[١] عبد العزيز بن المرزوقي الطريفي، المرجع السابق، ص ٢٧-٣٣ باختصار

وقد يَختص بعضُهم في باب من الأبواب، ويعتني به ويستفرغ وُسعه فيه فيقدَّم على غيره فيه، وإن كان أوسع علما وأكبر فضلا منه، فمجاهد بن جبر يقدم في التفسير على غيره من كبار التابعين، وليس هو بأعلمهم ولا أجلهم في الدين، لكنه مختص بالتفسير ولذلك يقول عن نفسه: "القرآن قد استفرغَ علمي"، أي: كل علمي قد وضعته في القرآن، ولتخصّصه قدَّمه الأئمةُ على غيره.

يقول يحيى بن سعيد: "تساهلوا بالرواية عن بعض الضعفاء"، كليث بن أبي سُليم، وجويبر، والضحاك، والكلبي وقال: "ولا يحمد حديثهم ويكتب عنهم التفسير"؛ أي: لأنهم أئمة اختصوا بذلك.

القرينة الثالثة: أن أصل الاحتجاج والاعتماد في التفسير إنما هو على لغة العرب، وإليها يجب أن يُرجع؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وكثير من المفسرين ورواةِ التفسير قبل تدوينه ومعرفة نسخه هم من العرب، وقد نص البيهقي على هذا، فقال: "وإنما تساهلوا في أخذ التفسير عنهم، لأنّ ما فسروا به ألفاظه تشهد لهم به لغات العرب، وإنما عملهم في ذلك الجمعُ والتقريبُ فقط".

القرينة الرابعة: أن جل مرويات التفسير هي الموقوفات والمقطوعات، والنقاد يتساهلون في الموقوف والمقطوع ما لا يتساهلون في المرفوع. فالبخاري ذكر في صحيحه في كتاب التفسير منه طرُقا لا يعتمدها في غير التفسير.

أنواع التفسير المسند:

التفسير المروي بالأسانيد ثلاثة أنواع:

النوع الأول: التفسير المرفوع:

وهو التفسير الذي أضيف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا قليل، ولذلك يقول السيوطي رحمه الله في كتابه "الإتقان": "الذي صح من ذلك قليل

جدا، بل أصل المرفوع منه في غالب القلة".[١] وساق في أواخر كتابه مما يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحيح والضعيف.

النوع الثاني : التفسير الموقوف :

وهو التفسير المروي عن الصحابة رضي الله عنهم، وأشهر موقوفات التفسير تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وتفسير عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وتفسير على بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفسير أُبَي بن كعب رضي الله عنه، وتفسير عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. وفيما يلي بيان أهم المرويات عنهم:

تفسير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :

وهو من دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "اللهم علمْه التأويل"، وهو الفيصل عند الصحابة، وأكثرهم تفسيرا[٢]، وقد كان عمر رضي الله عنه يعتمد على قول ابن عباس في بعض المسائل، وكان يرجع إليه كثير من الصحابة ان استشكل عليهم شيء من القرآن الكريم.

روايات الثقات عن ابن عباس :[٣]

من الثقات : مجاهد، وابن جبير، ويروى التفسير عنه من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، والطريق إلى ابن أبي نجيح قوية.

ومنهم : عكرمة، ويروى التفسير عنه من طريق : الحسن بن واقد النحوي عنه، ومن طريق : محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد ؛ مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة، أو سعيد بن جبير هكذا بالشك ولا يضر؛ لكونه عن ثقة.

---

[١] جلال الدين السيوطي، الإتقان، المصدر السابق، ص ٥٥٠.

[٢] كثرة الروايات لا تدل على تفضيل العالم على غيره.

[٣] محمد بن محمد أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، القاهرة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ، ص ١٥٠-١٥١.

ومن طريق معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وعلي صدوق، ولم يلقَ ابن عباس ، لكنه إنما حمل عن ثقات أصحابه، فلذلك كان البخاري، وأبو حاتم، وغيرهما يعتمدون على هذه النسخة.

ومن طريق ابن جريج، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، لكن فيما يتعلق بالبقرة، وآل عمران، وما عدا ذلك هو الخراساني، وهو لم يسمع من ابن عباس، فيكون منقطعا، إلا إن صرح ابن جريج بأنه عطاء بن أبي رباح.

روايات الضعفاء عن ابن عباس :[1]

من الضعفاء محمد بن السائب الكلبي ״المتهم بالكذب״، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والتفسير المنسوب لأبي النصر محمد بن السائب الكلبي؛ يرويه عن أبي صالح وهو مولى أم هانئ عن ابن عباس، والكلبي متهم بالكذب، وقد مرض فقال لأصحابه في مرضه : كل شيء حدثتكم عن أبي صالح كذب. وممن روى التفسير عن الكلبي من الثقات، سفيان الثوري، ومحمد بن فضيل بن غزوان، ومن الضعفاء من قبل الحفظ حِبله، وهو علي العَنزي.

ومنهم السدي الصغير ״كذاب״ : وهو محمد بن مروان السدي الصغير، وهو مثل الكلبي في الضعف أو أشد منه ضعفا، روى عن الكلبي، وروى عن محمد بن مروان مثله، أو أشد ضعفا، وهو صالح بن محمد الترمذي. وقد عد العلماء رواية محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي أوهى الطرق عن ابن عباس وهي سلسلة الكذب.

ومنهم جويبر بن سعيد وهو واه : روى التفسير عن الضحاك بن مزاحم وهو صدوق عن ابن عباس وهو لم يسمع منه شيئا. وممن روى التفسير عن الضحاك : علي بن الحكم وهو ثقة، وعلي بن سلمان وهو صدوق وأبو روق عطية بن الحارث، وهو لا بأس به.

---

[1] المرجع السابق، ص ١٥١-١٥٥.

ومنهم : عثمان بن عطاء الخراساني، يروي التفسير عن أبيه، عن ابن عباس، ولم يسمع أبوه من ابن عباس.

ومنهم : إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدّي الكبير وهو كوفي صدوق، لكنه جمع التفسير من طرق منها : عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة بن شراحيل عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم وخلط روايات الجميع، فلم تتميز روايات الثقة من الضعيف، ولم يلقَ السدي من الصحابة إلا أنس بن مالك، وربما التبس بالسدي الصغير الذي تقدم ذكره.

ومنهم : إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني، وهو ضعيف، يروي التفسير عن أبيه، عن عكرمة؛ وإنما ضعّفوه لأنه وصل كثيرا من الأحاديث بذكر ابن عباس، وقد روى عنه تفسيره عبد بن حميد.

ومنهم : إسماعيل بن أبي زياد الشامي وهو ضعيف جمع كثيرا؛ فيه الصحيح والسقيم، وهو في عصر أتباع التابعين.

ومنهم : عطاء بن دينار وفيه لين يروي التفسير عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، ويرويه عنه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

تفسير عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

وهو من أئمة التفسير من الصحابة، ويكفينا ما جاء في الصحيحين في فضله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ″استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبي بن كعب، ومعاذ بن جبل″.[١]

وأصح الأسانيد عن عبد الله بن مسعود ما يرويه أبو الضحى، عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود، وهذا أصح الطرق على الإطلاق. وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه.

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة، انظر : فتح الباري، المصدر السابق، الجزء ٧، ص ١٢٧.

ومن أشهر الطرق عن ابن مسعود: طريق الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود، وقد قيل إنها أصح الأسانيد.

ومنها: طريق الثوري، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود، وقد قيل إنها أصح الأسانيد أيضا.

ومنها: طريق مجاهد، عن أبي معمر، عن إبراهيم، عن ابن مسعود، وهي صحيحة أيضا، وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه.

ومنها: طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، وهذه صحيحة.

تفسير علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

وهو من أئمة الرواية في التفسير من الصحابة، وهو أكثر الخلفاء الراشدين روايةً في التفسير، لا لقلّةٍ في معرفتهم به، بل لتقدم وفاتهم، وسلامة لسان أهل عصرهم، وقد تأخر الأمر بِعَلي حتى احتاج الناس إلى التفسير.

الروايات الصحيحة عن علي :

وأصح الأسانيد عنه في التفسير : هو ما يرويه هشام بن عروة، عن محمد بن سيرين، عن عَبيدَة السَّلْماني، عن علي بن أبي طالب.

ومن أصح الطرق عن علي: طريق الزهري، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي. وقد قال أبو بكر بن أبي شيبة: إنها أصح الأسانيد.

ومنها: طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن علي. وهي من أصح الطرق أيضا.

ومنها: طريق يحيى بن سعيد القطان، عن سفيان الثوري، عن سليمان التيمي، عن الحارث بن سويد، عن علي. وهي من أصح الطرق أيضا.

الروايات الضعيفة عن علي :

وأشهر الطرق الضعيفة والواهية والساقطة عن علي: طريق أبي يعلى، عن إسماعيل بن السدي، عن علي بن عباس، عن مسلم الملائي، عن حبة بن جوين، عن علي، عن أنس بن مالك. قالوا : حبة لا يساوي حبة.

ومن الطرق الضعيفة طريق يحيى بن عبد الحميد، عن علي بن مسهر، عن الأعمش، عن موسى بن طريف، عن عباية عن علي. وموسى بن طريف ضعيف يحتاج إلى من يعدله، وعباية : أقل منه، ليس بشيء حديثه.

ومن الطرق الضعيفة طريق شريك عن كهيل، عن سويد بن غفلة، عن الصنابحي، عن علي، إلى غير ذلك من الطرق التي نقدها أئمة الحديث، وبينوا الصحيح من الضعيف.[1]

تفسير أبي بن كعب رضي الله عنه :

وهو من الأئمة في التفسير وعلوم القرآن؛ ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ″استقرئوا القرآن من أربعةٍ″... وذكر منهم ″أُبَيّ بن كعب″.

وأصح الأسانيد إلى أُبَي بن كعب ما يرويه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عنه، وهذا إسناد صحيح، وإن كان فيها ضعف، لكنها في التفسير صحيحة؛ لأنها نسخة كبيرة منقولة، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم منها كثيرا، وكذا أخرج الحاكم في مستدركه وأحمد في مسنده منها شيئا.[2]

ومن الطرق الحسنة عنه : طريق وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، وهذه الطرق يخرج منها الإمام أحمد في مسنده، وهي على شرط الحسن؛ لأن عبد الله بن محمد بن عقيل؛ وإن كان صدوقا تكلم فيه من جهة حفظه، قال الترمذي في سننه : ″عبد الله بن محمد بن عقيل، هو صدوق، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه، وسمعت محمد

[1] محمد بن محمد أبو شهبة، المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

[2] جلال الدين السيوطي، الإتقان، المصدر السابق، ص ٥٦٦.

بن إسماعيل يقول: كان أحمد بن حنبل، وإسحاق ابن راهويه، والحميدي يحتجون بحديث عبد الله بن محمد بن عقيل، قال البخاري: "هو مقارب الحديث"، ونص الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، على أن حديثه حسن.[١]

النوع الثالث: تفسير التابعين و أتباع التابعين:

وهو التفسير المروي عن أئمة التابعين في التفسير وأتباع التابعين. وهم على طبقات: طبقة المكّيين، وطبقة المدنيين، وطبقة الكوفيين، وأعلمهم في التفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وذلك لسلامة لسانهم وتأخر ورود العجمة إليهم، ثم أصحاب ابن مسعود في الكوفة، وأهل المدينة.[٢] وفيما يلي بيان المرويات إلى أعلامهم:

أعلام المكيين في التفسير:

مجاهد بن جبرورو اياته في التفسير:

ومجاهد بن جبر قد عرض التفسير على عبد الله بن عباس عرضا واسعا، وكرره عليه مرارا، قال مجاهد: "عرضت التفسير على عبد الله بن عباس ثلاث عرضات أقِفُه عند كل آية منه، وأسأله عنها فيم نزلت، وكيف نزلت؟"[٣]، ولذلك قد استفرغ علمَه تفسيرُ القرآن، وكان علمُه جله فيه.

أصح الروايات عن مجاهد ما يرويه ابن أبي نجيح عنه، وإن لم يسمعه من مجاهد، نص على على صحة تفسيره سفيان الثوري.

ومن الرواة عن مجاهد بن جبر: ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف بالاتفاق، لضعف حفظه، لكنه في التفسير يروي من كتاب.

---

[١] محمد بن محمد أبو شهبة، المرجع السابق، ص ١٥٧.

[٢] عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، المرجع السابق، ص ٧٣.

[٣] جلال الدين السيوطي، الإتقان، المصدر السابق، ص ٥٦٧.

ومنهم : عطاء بن السائب، ويرويه عن عطاء بن السائب جماعة؛ منهم محمد بن فضيل، وعمران بن عيينة، وشريك. وعطاء ثقة اختلط بأخرة، روى عنه سفيانان، وشعبةُ، وزهيرُ بن معاويةَ، وزائدةُ، وأيوب، والأعمش، وهشام الدَّستُوائي، وهمام بن يحيى، قبل الاختلاط، والباقون بعده إلا حماد بن سلمة؛ روى عنه في الحالين.

ومنهم : ابن عيينة، وربما ذكر الواسطة، وكذلك الحكم. وحديثهما قليل جدا، وهو صحيح محمول على الاتصال. ومنهم كذلك خصيف بن عبد الرحمن، وهو مقل، وروى عنه سفيان.

سعيد بن جُبيرورو اياته في التفسير:

من أصح الروايات عن عبد الله بن عباس : رواية سعيد بن جبير وكان مكيا مقدَّما. وكان من أعلم الناس بالحلال والحرام، بل قيل : إنه أعلم أهل زمانه في بلده. وقال السيوطي : ″قال قتادة : كان سعيد بن جبير أعلمَهم بالتفسير″.[١]

وأخذ التفسير عن سعيد بن جبير، عَزرة بن عبد الرحمن الخزاعي الكوفي، ولكن روايته عنه قليلة، وكان يكتب ما يسمع.

عكرمة ورو اياته في التفسير:

وعكرمة مولى عبد الله بن عباس، وهو إمام في التفسير، ومن الرواة عنه. قال الشعبي : ″ما بقي أحدٌ أعلم بكتاب الله من عكرمة″. وقال عكرمة : ″كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبْل، ويعلمني القرآن والسنن″. وقال : كل شيء أحدثكم في القرآن، فهو عن ابن عباس″.[٢]

وتفسيره بالجملة : صحيح، وأجوده وأمثله ما يعتني فيه بأسباب النزول، فله الخبرة به، وهو مقدم على غيره في هذا النوع، وقد علق البخاري عنه في الصحيح مجزوما به في التفسير.

[١] المصدر السابق، ص ٥٦٧.

[٢] المصدر السابق، ص ٥٦٧.

وأشهر الطرق عن عكرمة ما يرويه عنه ابن جريج، وهو أكثرهم رواية عنه، وعكرمة قليل التلاميذ. ومن الطرق عنه ما يرويه يزيد النحوي، ومحمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، وهذه الطرق أشهرها، وكذلك أيوب، وعطاء، وداود ابن أبي هند، وعمرو بن دينار، وعثمان بن غياث، و سماك بن حرب، وداود بن الحصين، والحكم بن أبان وغيرهم، وأكثر المرويات عنه وجلها دائرة بين الصحة والحسن، وقليل منها ما يتوقف فيه خاصة منه ما في الأحكام المروية عن ابن عباس التي ينفرد بها سماك وداوود بن الحصين.[١]

عطاء بن أبي رباح ورو اياته في التفسير:

وهو من الرواة عن ابن عباس، وهو أجلهم وأعلمهم، قال قتادة : ″كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك″.[٢] ويروي عطاء عن ابن عباس في التفسير، وأكثر مروياته يرويها عنه ابن جريج. وكل ما لم يسَمّه ابن جريج في التفسير عن عطاء، فهو عن عطاء بن أبي مسلم الخراساني، ولم يسمع عن ابن عباس.

أعلام المدنيين في التفسير:

زيد بن أسلم ورو اياته في التفسير:

وزيد بن أسلم، تابعيّ كبير القدر، من المفسرين المدنيين، ويروي عنه ابنُه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ويروي تفسير عبد الرحمن : عبدُ الله بن وهب وغيره، وأخذ تفسيره عن أبيه (زيد بن أسلم) لكنه لا يعزوه إلى أبيه إلا في القليل، وإذا قال المفسرون : ″قال ابن زيد″ فالمراد به عبد الرحمن. وعبد الرحمن، وإن كان ضعيف الحديث، إلا أنه إمام في التفسير. وممن أخذ التفسير عن زيد : مالك بن أنس.

---

[١] عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، المرجع السابق، ص ٥٤.

[٢] جلال الدين السيوطي، الإتقان، المصدر السابق، ص ٥٦٧.

أبو العالية رُفيع بن مِهران ورو اياته في التفسير:

وأبو العالية رفيع بن مهران مدني، ثم بصري، وقد أخذ التفسير عن ابن عباس، وهو من رواة أبي بن كعب، ويروي تفسيره الربيعُ بن أنس، وعن الربيع أبو جعفر.

محمد ين كعب القرظي ورو اياته في التفسير:

وأكثر تفسيره من طريق أبي معشر، ومن طريق موسى بن عبيدة، عن محمد ين كعب، وكلاهما – موسى وأبو معشر – ضعيف، ونحو شطر تفسير القرظي من طريقهما. لكن رواية أبي معشر عنه في التفسير حسنة، لأنها من كتاب، قال يحيى بن مَعْين : ״اكتبوا عن أبي معشر عن محمد ين كعب خاصة التفسير حسن״؛ لأنه يروي عنه التفسيرَ، وهي نسخة معروفة، ذكرها غير واحد من المفسرين، كالثعلبي في مقدمة تفسيره.

أعلام العر اقيين في التفسير:[1]

مسروق بن الأجدع ورو اياته في التفسير:

وهو من أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه، روى عنه الشعبي وأبو وائل.

قتادة بن دِعامة السَّدوسي ورو اياته في التفسير:

وهو أكثر التابعين تفسيرا بعد مجاهد، بل إن شطر تفسير التابعين وزيادة عنهما، وتفسير قتادة جُلُّه صحيحٌ، أكثره يرويه عنه سعيدُ بن أبي عَروبة، والبقية يرويه عنه مَعْمر بن راشد الأزدعي، وهم ثقات حفاظ. وكان مالك بن أنس يأخذ على مَعمر روايته التفسير عن قتادة.

[1] عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، المرجع السابق، ص ٨٠-٨٤ باختصار.

الحسن البصري ورو اياته في التفسير:

وهو من كبار أئمة السلف، متساهل في النقل، والإرسال، ويميل في التفسير إلى الوعظ، وما يُروى عنه في التفسير في آيات العذاب والوعد والوعيد أكثرُ من غيره، وتفسيره يكاد يخلو من الأحكام. وراوي تفسيره : قتادة؛ فقد روى عنه نحوَ ثلث تفسيره، ورواه عنه مَعمر بن راشد، وبقية تفسيره متفرق في الرواة.

ولإسحاق بن الربيع، عن الحسن البصري أحاديث حسان في التفسير، قاله عمرو بن علي، نقله ابن أبي حاتم عنه في "الجرح والتعديل".

عطاء الخراساني ورو اياته في التفسير:

وهو بصري أقام بخراسان، وإليها نسب، صدوق، في حفظه سوء. ويروي عن ابن عباس ولم يسمع من ابن عباس، ويروي أكثر تفسير عطاء الخراساني ابنُ جريج، ويروي عن ابن جريج حماعة منهم : حجاج بن محمد، ومحمد بن ثَور، ويروي موسى بن عبد الرحمن الثقفي عنه أيضا، وهو متهم في الحديث.

مُرّة بن سراحيل الهمداني ورو اياته في التفسير:

ومرة بن سراحيل الهمداني كان عابدا صالحا، ولكثرة عبادته قيل له : مرة الطيب، ومرة الخير، أخذ عن أبَي بن كعب و عمر بن الخطاب، وروى عن ابن مسعود وغيره، وروى عنه الشعبي والسدي وغيرهم.

أعلام البلدان الأخرى في التفسير:

ثمة جملة من المفسرين من غير المكيين من يقاربهم في التفسير، كطاووس بن كيسان اليماني، وقد روى عنه ابنه عبد الله، وروى عنه شيئا مجاهد بن جبر، وكذلك عمرو، وطاووس بصير بالأحكام، ويلي سعيد بن جبير في معرفة آيات الأحكام. وكذلك عامر الشعبي، وله تفسير يسير حسن، وأجود تفسيره ما يعتمد فيه على أشعار العرب.

تفسير الطبقة التالية ورواياتهم :[1]

ومن المفسرين بعد أولئك **إبراهيم النخعي** : وهو جليل القدر، لم يسمع من أحد من الصحابة، وإنما عدَّه بعضُ الأئمة من جملة التابعين، لرؤيته عائشة رضي الله عنها. روى حديثه مغيرةُ بن مِقْسَم، فقد روى نحوَ شطر تفسيره، وروى كذلك منصور بن المعتمر شيئا ليس بالقليل عنه. وتفسيره المنقول عن ابن مسعود صحيحٌ، إذا صح إليه السند، وغالبه صحيح، وأما تفسيره من تلقاء نفسه فيما يوافق اللسان العربي، فهو دون أقرانه مرتبةً، وقد كان يلحن في كلامه.

ومنهم **الضحاك بن مزاحم الهلائي** : وهو من كبار مفسري التابعين، وجل تفسيره من طريق جويبر بن سعيد عنه، وجويبر ضعيف جدا، لكن روايته من كتاب، وليس له من ضبط الصدر شيء يستحق أن يرفع به.

ومنهم **مقاتل بن سليمان** : وهو في نفسه ضعيف واه، وقد أدرك الكبار من التابعين، وهو فصيح اللسان سيء المذهب، يؤخذ من تفسيره ما يوافق اللسان العربي. وروى تفسير مقاتل عنه أبو عصمة نوح بن أبي مريم الجامع، وقد نسبوه إلى الكذب، ورواه أيضا عن مقاتل هذيل بن حبيب، وهو ضعيف، لكنه أصلح حالا من أبي عصمة.

ومنهم **مقاتل بن حيّان** : روى عنه بكير بن معروف، وروى عن بكيرٍ محمدٌ بن مزاحم وغيره، ومقاتل هذا صدوق. وربما أخذ التفسير من مجاهد والحسن والضحاك، كما رواه عنه الشافعي، وعنه ابن جرير، عن معاذ بن موسى، عن بكير، عنه.

كتب التفسير المسندة :

وكتب التفسير التي اعتنت بالأسانيد كثيرة، كـ : تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير عبد بن حميد، وتفسير إسحاق بن راهويه، وتفسير آدم بن أبي إياس، وتفسير ابن شاهين، وتفسير ابن مردويه، وتفسير سعيد بن منصور، وتفسير عبد الرزاق،

[1] المرجع السابق، ص ٨٤-٨٧ باختصار.

وتفسير ابن ماجه، وغيرهم من الأئمة، وثمة عشرات التفاسير المسندة تقرب من خمسين تفسيرا، أكثرها مفقود وجل ما فيها موجود، لأن كتب التفسير المسندة يتكرر ما فيها، ويتمم بعضها بعضا.

نُسَخ التفسير

لا شك أن التفاسير الأولى للقرآن الكريم تسجل الجهود الفكرية الرائدة التي حاولت أن تحصل على قبس من نور الحقيقة التفسيرية الخالدة، ولكن أغلب هذه التفاسير الأولى ضاعت خلال الخطوب الجسيمة التي تعرضت لها الأمة الإسلامية، ولم يبق منها إلا ما قضت به الرحمة الإلهية أن يحفظ ويصان داخل كتب التراث الجامعة في التفسير والحديث والتراجم وغيرها، على أيدي علماء أجلاء أفنوا أعمارهم في سبيل جمعها وتسجيلها وصونها للأجيال. ومن هنا تأتي أهمية دراسات النسخ التفسيرية التي تركها لنا هؤلاء المفسرون الأفذاذ.

وهذا الفصل من الموضوعات الجديدة المهمة التى يستحق أن نفردها بالبحث والبيان .

تعريف نسخ التفسير:

النسخة التفسيرية : هي مجموعة من الأقوال في التفسير مروية بإسناد واحد عن إمام مؤلف من المفسرين.

حكم النسخ التفسيرية : يختلف الحكم عليها عن الحكم على غيرها من الروايات، وذلك لأسباب :

١- أن النسخ التفسيرية وإن رُويت بالأسانيد حفظا لقيمتها التفسيرية على مر الزمان، لكنها تبقى رواية كتب، ورواية الكتب يتسامح معها أكثر مما يتسامح مع الرواية الشفهية، لأن الرواية الشفهية مظنة الخطأ والنقص والزيادة، أما رواية الكتب فالخطأ فيها قليل.

٢- أن تطبيق مناهج المحدثين على النسخ التفسيرية يقتضي تطبيق هذا المنهج أيضا على رواية الكتب الحديثية، كالمسند، والسنن، وغيرها، التي ظلت تنقل بالأسانيد – رغم أنها مكتوبة – إلى عصور متأخرة، وفي بعض رجالها المتأخرين من تكلم فيه، ولم يبلغنا أنه أتى مَنْ تشدّد في ذلك.

طرق الوصول إلى النسخ التفسيرية :

من الملاحظ أن كثيرا من النسخ التفسيرية مفقود، ومع ذلك قد يستدل على إثبات وجود مثل هذه النسخ ببعض البراهين والقرائن، والسبيل إلى ذلك من خلال اتباع الطرق الآتية :[١]

الطريقة الأولى : البحث في كتب الإجازات والمسموعات :

من أهم الطرق التي ينبغي أن تسلك في البحث عن نسخ تفسيرية مفقودة البحثُ في الإجازات والمسموعات المنضودة في كتب المعاجم، والأثبات، والمشيخات، والفهارس، والبرامج. وعلى سبيل المثال، توجد في إجازات الحافظ ابن حجر العسقلاني في المعجم المفهرس العناوينُ من التفاسير المفقودة التالية :

---

[١] حكمت بشير ياسين، كتب التراث بين الحوادث والانبعاث، الدمام، دار ابن الجوزي، ص ١٠٩-٢٥١. فقد ذكر ثلاث عشرة قاعدة للبحث عن الكتب المفقودة، ونحن نستفيد منه وننقل منه ما يفيدنا في هذا المجال التفسيري باختصار وتصرف.

التفسير لمحمد بن يوسف الفريابي (ت ٢١٢ هـ) :

ذكره ابن حجر أيضا في تغليق التعليق وساق إسناده إلى المؤلف وقال : وهو كتاب صغير نفيس ومصنِّفه من أكابر شيوخ البخاري. وقد اقتبس من هذا التفسير كثيرا وخصوصا في تغليق التعليق، حيث اقتبس منه أكثر من ٣٠٠ مرة.

التفسير لعيد بن حميد الكشي (ت ٢٣٩ هـ) :

وذكره أيضا في تغليق التعليق، وساق إسناده إلى المؤلف مبتدئا بقوله : وقد أنبأني بجميعه محمدٌ بن أحمد بن علي المهدوي شفاهًا ... الخ . اقتبس من هذا التفسير كثيرا في كثير من كتبه وبخاصة في فتح الباري.

التفسير لسفيان بن عيينة (ت ١٩٦ هـ):

اقتبس منه قليلا ففي الإصابة نقل منه موضعا واحدا فقط. كما اقتبس منه في فتح الباري، وتغليق التعليق.

التفسير لإسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) :

اقتبس منه في فتح الباري، والعجاب في بيان الأسباب، وموافقه الخُبر الخَبر.

التفسير لأبي بكر أحمد بن موسي بن مردويه الأصبهاني (ت ٤١٠ هـ) :

وذكره أيضا في تغليق التعليق وساق إسناده إلى المؤلف، من طريق محمود بن إبراهيم بن منده، أنبأنا مسعود بن القاسم الثقفي، إجازة إن لم يكن سماعا أنبأنا أحمد بن الحسين الذكواني، عنه به.

الطريقة الثانية : البحث في الكتب الموجودة لمصنف التفسير المفقود :

من الطرق التي ينبغي أن تسلك في البحث عن نسخ تفسيرية مفقودة استقراؤها من مؤلفات المفسر الموجودة، وذلك لأن هذا المفسر عنده مادة علمية مكتوبة في السطور، أو محفوظة في الصدور، وقد يستخدم بعض عناصر هذه المادة في أكثر من كتاب حسب ما يقتضي المقام، فنجد المؤلف يكرر بعض المسائل في كتبه، أو يشير إليها أنها بحثت في كتابه الفلاني، أو يسردها بنصها، أو يلخصها، وقد يصرح

المؤلف باسم الكتاب المنشود، فيذكر أن هذه المسئلة قد بحثها في الكتاب الفلاني. ومن الأمثلة على ذلك جمع "مرويات الإمام أحمد بن حنبل في التفسير" الذي قد جمعه بعض الباحثين[1] من كل ما يتعلق بالتفسير من كتبه وكتب السؤالات التي وجهت إليه لأنها تعبّر عن قوله حينما يجيب عن السؤال.

الطريقة الثالثة : البحث في كتب التلاميذ و تلاميذ التلاميذ ومن بعدهم :

وسبب الرجوع إلى كتب التلاميذ المسندة، أن التلاميذ هم الذين يحفظون كتب شيوخهم في صدورهم، أو يكتبونها في سطورهم، ومنهم من يجمع بين الحفظ والكتابة، وقد نتعرف من بين هؤلاء التلاميذ على راوي الكتاب المفقود، ولكل كتاب رواة تتناقله الأمة عن طريقهم. وبالنسبة للتفسير فقد كان تفسير أبي سعيد الأشج قد اقتبس منه تلميذه ابن أبي حاتم الرازي، وبلغ المئات من المرويات.

وكذلك نقل الترمذي عن شيخه عبد بن حميد مصنف التفسير روايات كثيرة، منها ٨٧ روايةً في كتاب التفسير من سنن الترمذي، ومما يؤكد أن الترمذي قد نقل من تفسير عبد بن حميد ما رواه في تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة : ١٩٥]، وهذه الرواية في تفسير عبد بن حميد كما صرح الحافظ ابن كثير.

أما البحث في كتب تلاميذ التلاميذ فهو شبيه بكتب التلاميذ، لكن يضاف إليها ترجمة التلميذ لمعرفة تلاميذه ومؤلفاتهم. فمثلا وُجدت نصوصُ تفسير أبي الشيخ الأصفهاني (ت ٣٥٤ هـ)، واسمه : عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، في كتب تلاميذ تلاميذه، ومنهم : الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٣٦٨ هـ)، ومن كتبه المسندة : "أسباب النزول"، و "التفسير الوسيط بين المقبوض والبسيط"، فقد وُجدتْ في "أسباب النزول" ٦٧ روايةً يرويها الواحدي بواسطة

[1] قام بجمعها أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، في استدراكاته على تاريخ التراث العربي في كتب التفسير، بمجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدد رقم ٦٧ و ٦٨.

شيخه عن أبي الشيخ، وكذلك في التفسير الوسيط، روى عن أبي الشيخ بواسطة شيخه روايات كثيرة.

وأما البحث في كتب ما بعد تلاميذ التلاميذ فمثاله : تفسير سعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ)، فقد قام بجمعه فضيلة الشيخ الدكتور محمود أيوب محمد يوسف من كتب ما بعد تلاميذ التلاميذ، مثل : تفسير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي، ومن كتب السنة وغيرها، وكذا جُمع تفسير الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ)، وصحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في التفسير، وغيرها في جامعة أم القرى، وجُمع تفسير الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وتفسير محمد بن كعب القرظي، وتفسير قتادة، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الطريقة الرابعة : البحث في الكتب الخاصة بفن التفسير:

من الطرق التي يمكن أن تسلك في البحث عن نسخ تفسيرية مفقودة جرد الكتب الموسوعية التي صنفت بالاقتباس من الكتب المتقدمة، لأنه غالبا ما يكون الفقدان في الكتب المتقدمة، فالكتاب الموسوعي الخاص بفن التفسير يحتوي على مجموعة من التفاسير المفقودة، وذلك مثل الدر المنثور للسيوطي، فقد نقل عن كتب السلف الهامة في التفسير منها الموجود والمفقود، وبعضها توجد قطع منها، وهذه قائمة بالقسمين الأخيرين فيه :

١- تفسير جويبر.
٢- تفسير سنيد.
٣- تفسير سفيان بن عيينة.
٤- تفسير ابن جريج.
٥- تفسير وكيع.
٦- تفسير ابن أبي شيبة.
٧- تفسير مالك.

٨- تفسير ابن ماجه.
٩- تفسير عبد الغني بن سعيد الثقفي.
١٠- تفسير دحيم.
١١- تفسير أبي نعيم.
١٢- تفسير عبد بن حميد.
١٣- تفسير الفريابي.
١٤- تفسير ابن المنذر.
١٥- تفسير سعيد بن منصور.
١٦- تفسير أبي الشيخ الأصفهاني.
١٧- تفسير إسحاق بن راهويه.
١٨- تفسير ابن مردويه.
١٩- تفسير ابن أبي حاتم.

وفي تفسير ابن كثير، كان عدد الروايات التي نقلها ابن كثير من تفسير ابن مردويه حوالي ٣٠٠ رواية تقريبا، ومن تفسير ابن أبي حاتم ٩٥٠ رواية تقريبا.

ومن الصحف الهامة في التفسير صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأهميتها تعود لصحتها وثبوتها عن ابن عباس واعتماد البخاري عليها في صحيحه كما نص على ذلك الحافظ ابن حجر، وقد أورد السيوطي هذه الصحيفة من تفسير الطبري وابن أبي حاتم فساقها بسنديهما من سورة البقرة إلى سورة الناس وبلغت ٤٠ صحيفة.

الطريقة الخامسة : البحث في كتب التفسير، المتأخرة عنه:

ومن الضروري الرجوع إلى كتب التفسير، بشرط أن تكون هذه الكتب قد صنفت بعد التفسير المفقود، لأن المؤلف اللاحق الحاذق غالبا ما يستفيد من

السابق، خصوصا في الموضوع الواحد، فإما أن يكمل عمل السابق، أو يذيل عليه، أو يشرحه، أو يرتبه، أو ينسج على غراره، أو يستدرك عليه، أو يطمح أن يصل إلى نتائج جديدة واستنباطات مبتكرة، فقد وُجدت في ″بدائع الفوائد″ لإبن القيم الجوزية الحنبلي عشرات الفوائد والمسائل عن الإمام أحمد. ووجدت قطعة نادرة من ″تفسير الإمام أحمد″ فقال: ومن خط القاضي من جزء فيه ″تفسير آيات من القرآن″ عن الإمام أحمد، ثم ساق التفسير في تسع صفحات، وتفسير الإمام أحمد مفقود ذكره جمع من المؤرخين.

الطريقة السادسة : البحث في ترجمة مصنف التفسير المفقود وتراجم رجال إسناده إذا أسند وترجم لرجاله :

فالباحث عن تفسير مفقود لا بد به أن يطلع على ترجمة المؤلف، لأن بعض المترجمين يهتم في إيراد نصوص للمترجَم له من أقواله، أو من رسائله، أو من كتاباته، أو من شعره. كطبقات الشافعية للسبكي، فحينما يترجم للرجل يذكر مؤلفاته، ثم ينقل منها بعض الفقرات، وقد ذكر فيه عند ترجمة أبي الحسن الأشعري تفسيرَ أبي الحسن الأشعري وهو من التفاسير المفقودة.

الطريقة السابعة : البحث في كتب أهل بلد مؤلف التفسير المفقود وكتب ذريته وأهل مذهبه :

ولقد وُجدت روايات تفسيرية كثيرة للإمام أحمد عند ابن الجوزي، خصوصا في كتاب ″نواسخ القرآن″ ينقلها بإسناد واحد متكرر إلى الإمام أحمد، ونقل عنه أيضا في كتاب ″التبصرة″ روايات تفسيرية كثيرة، بل وُجدت قطعةٌ من ″تفسير الإمام أحمد″ نقلها الإمام ابن القيم الجوزية في كتابه ″بدائع الفوائد″ حيث عقد فصلا بعنوان : ومن خط القاضي من جزء فيه ″تفسير آيات من القرآن″ عن الإمام أحمد. ثم ساق هذا الجزء بإسناده إلى الإمام أحمد في تسع صفحات.

وقد أفاد الزجاج الحنبلي من تفسير الإمام أحمد إذ قال في كتابه "معاني القرآن": أكثر ما رويتُ في هذا الكتاب من التفسير فهو من كتاب التفسير عن أحمد بن حنبل.

وفي كتاب رموز الكنوز في التفسير لعبد الرزاق بن رزق الرسعني الحنبلي (ت ٦٦١ هـ)، روى عن الإمام أحمد روايات كثيرة بإسناده إلى الإمام أحمد.

الطريقة الثامنة: البحث في التفاسير المسندة المتأخرة عن التفسير المفقود:

والباحث عن تفسير مفقود بإمكانه أن يتتبع التفاسير المسندة المتأخرة عن التفسير المفقود، فمتى ما وجد اسم مؤلف التفسير المفقود في تلك الأسانيد نظر في النص فيما إذا كان له علاقة بالتفسير المفقود. ومن كتب التفسير المسندة التي تم جمعها وترتيبها ما يلي:

١- تفسير سفيان الثوري. طبع في الهند، ثم في لبنان – دار الكتب العلمية.
٢- تفسير آدم بن أبي أياس العسقلاني المنسوب إلى مجاهد بن جبر. طبع بتحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي في قطر بعنوان "تفسير مجاهد بن جبر".
٣- تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني. حققه الدكتور مصطفى مسلم.
٤- تفسير يحيى بن سلام. مخطوط منه قطعة مغربية ونسخة منها في مكتبة الشيخ حماد الأنصاري.
٥- تفسير النسائي. حققه الدكتور حمد الصليفيح، مطبوع على الألة الكاتبة.
٦- تفسير ابن أبي حاتم الرازي. يوجد منه حوالي نصفه يقع في خمسة أجزاء، وحُقِّقت في جامعة أم القرى.
٧- التفسير الكبير للبخاري. ذكره بركلمان نسختين في الأسكوريال والمكتبة الوطنية بفرنسا، وقطعة ثالثة في المكتبة الوطنية بالجزائر.
٨- تفسير محمد بن علي بن أحمد الأدفوي (ت ٣٨٨ هـ). يوجد منه الجزء الأول في سليم أغا، وقد حقّق الشيخ عبد الله كحيلان سورة الفاتحة مع دراسة

للمؤلف لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود.

٩- تفسير ابن المنذر. توجد منه قطعة من الآية ٢١ من سورة البقرة إلى الآية ٩٤ من سورة النساء في جوتا برقم ٥٢١ في ألمانيا الشرقية، وقام بتحقيقه فضيلة الشيخ سعد السعد، ونشرته دار المآثر.

فوائد معرفة النسخ التفسيرية :[١]

١- إثبات أن التأليف فى التفسير لم يكن متأخرا كما يذكره المستشرقون وغيرهم.

٢- أن كتابة مثل هذه النسخ في وقت متقدم وبهذه الجودة، والإحاطة بالمعاني، والتسلسل من أول القرآن إلى نهايته، تدل على شدة عناية السلف بالقرآن وتفسيره، واهتمامهم بالتأليف فيه.

٣- إذا ثبت أن هذا الإسناد الذي بين أيدينا يتكرر لنسخة تفسيرية : فإننا نتسامح فى الحكم عليه وعلى رجاله، لأن التشدد فيها لا مسوغ له .

٤- أن اجتماع مادة تفسيرية بين دفتي كتاب، حرره صاحبه – في الغالب - ، وحرص على تحقيقه، وتدقيقه، ومراجعته، يعطيه أهمية، لأنه يعلم أن خروج هذا الكتاب للناس باسمه يجعله عرضة للمناقشة فيما كتب، والمحاسبة عليه، وعليه فإن مبررات الأخذ به أقوى، والاعتماد عليه أولى.

٥- وعندما يرد التعارض بين النسخة التفسيرية والرواية الشفهية، وتعذر الجمع بينهما، ولم يعلم المتقدم من المتأخر، فإننا نقدم النسخة التفسيرية على ما سواها لما ذكرنا من أسباب.

---

[١] ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، المرجع السابق، ص ٢٠٥.

قواعد التفسير

لما تنوعت علوم التفسير وتشعبت تفاصيلها وجزئياتها وتصنفت كتب التفسير حسب الاتجاهات المختلفة، بحيث أصبح من الصعوبة بمكان الإحاطة بجزئيات هذا العلم فضلا عن الإحاطة بجزئيات تفاصيله المختلفة، عمد العلماء إلى استقراء وإبراز الأصول الجامعة والقضايا الكلية التي ترجع إليها تلك الجزئيات تيسيرا لعلم التفسير، وإعانة على حفظ ما تناثر من جزئياته، مع اختصار لكثير من الجهد والوقت، إضافة إلى تربية ملكة الفهم، وضبطه بضوابط تحجزه عن الخطأ. الأمر الذي يجعل معرفة قواعد التفسير أمرا مهما.

معنى قواعد التفسير:

القاعدة في اللغة من قعد يقعد قعودا أي جلس،[1] ولو تابعْنا المعاني التي دلت الألفاظ المشتقة من هذه اللفظة عليها لوجدنا:

١- ما يدل على الثبات والاستقرار والسكون، لذا استعارها العرب لمن لم يطلب العمل، "قعَد عنه وتَقاعَد عنه"، ولمن لا يقدر على النهوض وللمريض، ويقولون

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩ م، مادة (قعد).

للبائسة: "قعدت المرأة عن الحيض"[١]. أي استقرت على حالة واحدة، فلا يطرأ عليها الحيض.

٢- ما يدل على معنى القرابة والقرب، قال سيبويه: "قعدد ملحق بجعشم ولذلك ظهر فيه المثل أقعَدُ من فلان أي أقرب منه إلى جده"[٢].

٣- وتأتي على هيئة قعيد بمعنى حفيظ، قال تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]، أي حفيظ[٣].

ونلاحظ من هذه المعاني أن القاعدة في اللغة تدل على معنى الثبات والإحاطة بجزئياتها والقرب منه والحفظ له. وهناك معنى آخر للقاعدة وهو أساس الشيء سواء كان حسيا مثل أساس البيت، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، أو كان معنويا كقواعد العلم واللغة.[٤]

والقاعدة في الاصطلاح حكم ينطبق على معظم[٥] جزئياتها.[٦] وقواعد التفسير هي الأمور الكلية المنضبطة التي يتوصل بها المفسر إلى استنباط معاني القرآن.

أهمية معرفة قواعد التفسير:

إن معرفة قواعد التفسير تفتح للمفسر من المعاني القرآنية ما يجل عن الوصف، وصار بيده آلة يتمكن بواسطتها من الاستنباط، مع ملكة ظاهرة في فهم الأقوال التفسيرية.

---

[١] المصدر السابق.

[٢] المصدر السابق.

[٣] المصدر السابق.

[٤] خالد بن عثمان السبت، **قواعد التفسير؛ جمعا ودراسة**، الخبر العقربية، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، المجلد الأول، ص ٢٣.

[٥] لأن كثيرا من القواعد أغلبية، لوجود مستثنيات خارجة عنها.

[٦] فهد عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، المرجع السابق، ص ١٦٠.

استمداد قواعد التفسير:

تستمد قواعد التفسير مما يأتي:[١]

١- القرآن الكريم عن طريق استقراء بعض القضايا فيه.

٢- السنة النبوية.

٣- بعض ما أُثر عن الصحابة رضي الله عنهم في الكلام على التفسير، بحيث إنه يمكن أن نعرف منه بعض الأصول التي يسيرون عليها في استنباط المعاني.

٤- أصول الفقه، لأن حقيقتها استقراء كليات الأدلة، حتى تكون عند المجتهد منه نصب عين، وعند الطالب سهلة الملتمس.

٥- اللغة والبيان والنحو والصرف، لأن علوم اللسان هادية للصواب في الكتاب والسنة.

٦- كتب علوم القرآن ومقدمات بعض كتب التفسير.

أقسام قواعد التفسير:

ولما كانت قواعد التفسير كثيرة، ولا يمكن حصرها في هذا الكتاب، سنذكر منها جملة منثورة تحت الأقسام التالية:[٢]

القسم الأول: القواعد المتعلقة بطرق التفسير، ومنها:

القاعدة الأولى: القراءات يبين بعضها بعضا:

المثال التطبيقي:

تفسير "يطهُرْن" في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وفي قراءة {يطَّهَّرْنَ}، فيؤخذ من القراءة الثانية أن قوله: "يطهُرْنَ" وهي من القراءة الأولى يراد به الاغتسال

[١] خالد بن عثمان السبت، المرجع السابق، ص ٤٠-٤١.

[٢] لمزيد من التفصيل والبيان، انظر **قواعد التفسير** للدكتور خالد بن عثمان السبت، و**فصول في أصول التفسير** للدكتور مساعد سليمان الطيار.

مع انقطاع الدم. فلا يجوز قربان المرأة قبل ذلك.

القاعدة الثانية : إذا عرف التفسير من جهة النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة إلى قول مَن بعده :

المثال التطبيقي :

ومن أمثلة تطبيق هذه القاعدة تفسير الظلم في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢]. فقد روى ابن مسعود رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: "أيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ليس كما تظنّون، إنّما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾" [لقمان: ١٣].[١]

قال القاسمي : "وبالجملة فلا يعلم مخالف من الصحابة والتابعين في تفسير الظلم هنا بالشرك وقوفا مع الحديث الصحيح في ذلك".[٢]

القاعدة الثالثة : لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه :

المثال التطبيقي :

- قال الله تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال: ٦٠].
- قال الله تعالى : ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [التوبة: ١٠١].
- قال الله تعالى : ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [إبراهيم : ٩].

[١] أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، انظر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، المصدر السابق، الجزء ٩، ص ١٨..

[٢] محمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلميه، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ، المجلد الثامن، ص ٢٩.

فمن طلب تفسير هذه الأمور التي استأثرها الله بعلمها فقد تجرأ على ربه تبارك وتعالى، وتعدى الحد الذي يجب عليه الوقوف عنده.

القاعدة الرابعة: كثيرا ما تختم الآيات القرآنية ببعض الأسماء الحسنى للدليل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم:

المثال التطبيقي:

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. فالتعقيب بهذين الاسمين الكريمين يدل على أن مجرد الاستعاذة باللسان لا تكفي، بل لا بد من تواطؤ القلب مع اللسان، فهو تعالى سميع لما يقال، عليم بما يدور في الضمائر.

القسم الثاني: القواعد اللغوية، ومنها:

القاعدة الأولى: تفسير القرآن يكون بالمعنى الأغلب والأشهر والأفصح دون الشاذ أو القليل:

المثال التطبيقي:

قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا﴾ [عم: ٢٤]. فسر بعضهم البرد هنا بالنوم. وهذا المعنى قليل الاستعمال في لغة العرب، والمشهور في معنى البرد: أنه ما يبرد حر الجسم، فلا يعدل عنه إلى الأول. قال ابن جرير: "والنوم وإن كان يبرد غليل العطش، فقيل له من أجل ذلك البرد فليس هو باسمه المعروف وتأويل كتاب الله على الأغلب من معروف كلام العرب دون غيره".[1]

[1] أبو جعفر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، الجزء ٢٤، ص ١٦٤.

القاعدة الثانية : لا يجوز حمل ألفاظ القرآن على اصطلاح حديث :

المثال التطبيقي :

لفظ "الصدقة" هي في لغة القرآن وما تعارف عليه السلف تشمل الزكاة الواجبة وصدقة التطوع. واشتهر عند بعض المتأخرين إطلاق الصدقة على ما كان من قبيل التطوع.

القاعدة الثالثة : صيغة المضارع بعد لفظة "كان" تدل على كثرة التكرار والمداومة على ذلك الفعل :

المثال التطبيقي :

قال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ﴾ [الأنبياء : ٩٠]، فهذا الأسلوب يدل على أنهم كانوا يكثرون من ذلك.

القاعدة الرابعة : الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت، والفعلية تدل على التجدد :

المثال التطبيقي :

أ- مثال الجملة الاسمية :

قال تعالى : ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۖ﴾ [الكهف : ١٨]. فقوله : ﴿بَٰسِطٌ﴾ مشعر بثبوت الصفة، بخلاف {يَبْسُط} فإنه يدل على أن البسط يتجدد.

ب- مثال الجملة الفعلية :

قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الأنفال : ٣]. فقوله تعالى : ﴿يُقِيمُونَ﴾ و﴿يُنفِقُونَ﴾ يدل على تكرر ذلك منهم.

القاعدة الخامسة : تفهم معاني الأفعال على ضوء ما تتعدى به :

المثال التطبيقي :

فعل ″نظر″ إذا عُدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار وإذا عُدي بإلى فهو المشاهدة بالأبصار وإذا عُدي بفي فهو التفكر والاعتبار. ومن الأول قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد : ١٣]. ومن الثاني قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣]. ومن الثالث قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف : ١٨٥].

القاعدة السادسة : وضع الظاهر موضع الضمير وعكسه و إنما يكون لنكتة :

المثال التطبيقي :

أ- مثال وضع الظاهر موضع الضمير:

قال الله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة : ١٩]. والأصل أن يقال: ″ألا إنهم″، وإنما خرج عن الأصل لقصد الإهانة والتحقير. والله أعلم.

ب- مثال وضع الضمير موضع الظاهر:

قال الله تعالى :﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر : ١]، وقد قيل في علة الإضمار في قوله ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ دلالة على التفخيم.

القاعدة السابعة : كل فعل لله مذكور في القرآن، يصح فيه إضمار ″الله″ وإن لم يسبق ذكره، لتعينه في العقول :

المثال التطبيقي :

قال تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل : ٤].

والتقدير : الله خلق الإنسان من نطفة.

قال تعالى : ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ [لقمان: ١٠]. والتقدير : الله خلق السموات والأرض.

القاعدة الثامنة : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى :

المثال التطبيقي :

قال تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾ [يوسف : ٩٦]. وفائدة التأكيد في هذه الآية تحقيق هذه الكرامة الحاصلة ليعقوب – عليه السلام – لأنها خارقة عادة.

القاعدة التاسعة : إذا دخلت "قد" على المضارع المسند إلى الله تعالى فهي للتحقيق دائما:

المثال التطبيقي :

- قال تعالى : ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة: ١٤٤]، أي قد رأينا تقلب وجهك.
- قال تعالى : ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [النور :٦٤]، أي قد علم ما أنتم عليه.

القاعدة العاشرة : الصفة إذا وقعت للنكرة فهي مخصصة، وإن جاءت للمعرفة فهي موضحة :

المثال التطبيقي :

أ- مثال الصفة المخصصة :

قال تعالى :﴿وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ﴾ [البقرة : ٢٢١]

قال تعالى : ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب : ٥٠]

ب- مثال الصفة الموضحة :

قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

قال تعالى : ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ [المائدة : ٤٤]

القاعدة الحادية عشرة : النكرة إذا تكررت دلت على التعدد، بخلاف المعرفة :

المثال التطبيقي :

قوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح : ٥-٦]. فاليسر الثاني غير الأول. والعسر الثاني هو الأول. ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يغلب عسرٌ يُسرَين".[١]

القسم الثالث : القواعد الأصولية، ومنها :

القاعدة الأولى : الأمر بالشيء يستلزم النهي عن ضده :

المثال التطبيقي :

إن الله تعالى حيث أمر بالتوحيد، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والعدل والإحسان، كان ناهيا عن الشرك، وترك الصلاة، وترك الزكاة، وترك الصوم، وترك الحج، والعقوق، والقطعية، والظلم، والإساءة.

القاعدة الثانية : إذا علق الأمر على شرط أو صفة فإنه يقتضي التكرار:

المثال التطبيقي :

- قال تعالى : ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة : ٦]. فهذا الأمر يقتضي التكرار لأنه معلَّق على الشرط، أي الأمر بالتطهّر يتكرر بتكرر الجنابة.
- قال تعالى : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور : ٢]. وهذا يقتضي التكرار أيضا لأنه معلَّق بالصفة، أي الأمر بالجلد يتكرر بتكرر الزنى.

---

[١] أخرجه الحاكم في كتاب التفسير، باب تفسير سورة الم نشرح، انظر: أبو عبد الله الحاكم، المصدر السابق، الجزء ٢، ص ٥٧٥..

القاعدة الثالثة : النهي يقتضي التحريم والفوروالدوام إلا لقرينة :

المثال التطبيقي :

- قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾[الأنعام : ١٥١].
- قال تعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾[الإسراء :٣٧].
- قال تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

فهذه الآيات ونظائرها تدل على التحريم في هذه المذكورات، وهو تحريم مؤبد، ويلزم الانقياد لما دلت عليه هذه النصوص بمجرد بلوغها للمكلفين.

القاعدة الرابعة : نفي الحل يستلزم التحريم :

المثال التطبيقي :

- قال تعالى : ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة : ٢٣٠]. أي فإن طلقها فتحرم عليه حتى تنكح زوجا غيره.
- قال تعالى : ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. أي يحرم عليهنّ أن يكتمن.

القاعدة الخامسة : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب :

المثال التطبيقي :

وهذه القاعدة تعني أن النصوص العامة الواردة على أسباب خاصة تكون أحكامها عامة. ومن أمثلة هذه القاعدة ما رواه الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: "إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعدُ" مع أن هذه الآية نزلت في الأخنس بن شريق.[١]

[١] أبو جعفر الطبري، المصدر السابق، الجزء ٤، ص ٢٢٩-٢٣٢.

القاعدة السادسة :الخبر على عمومه حتى يرد ما يخصصه :

المثال التطبيقي :

قوله تعالى : ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة : ١].فقد اختلف المفسرون في المراد بقوله : ﴿بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ فقال بعضهم : الأنعام كلها، وقال آخرون : أجنة الأنعام التي توجد في بطون أمهاتها – إذا نُحرت أو ذُبِحت - ميتة.

قال ابن جرير رحمه الله : "وأولى القولين بالصواب في ذلك قول مَن قال : عني بقوله : ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [المائدة :١] الأنعام كلها، أجنتها، وسخالها، وكبارها. لأن العرب لا تمتنع من تسمية جميع ذلك "بهيمة وبَهائم" ولم يخص الله منها شيئا دون شيء، فلذلك على عمومه وظاهره حتى تأتي حجة بخصوصه يجب التسليم لها".[1]

القاعدة السابعة : الأصل إبقاء المطلق على إطلاقه حتى يرد ما يقيده :

المثال التطبيقي :

قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ﴾ [البقرة : ١٨٥].

فقوله : ﴿مِّنْ أَيَّامٍ﴾ مطلق لا قيد فيه فلا يدل على التتابع ولا التفريق. إنما يقتضي إيجاب العدد فقط. ولم يرد نص آخر بقيده. وعليه يبقي النص على إطلاقه ويكون القضاء على التخيير بين التفريق والتتابع. ومن اشترط التتابع فاشتراطه مرجوح، والله أعلم.

---

[1] المصدر السابق، الجزء ٩، ص ٤٥٧.

القاعدة الثامنة : النسخ لا يثبت مع الاحتمال :

المثال التطبيقي :

قال تعالى : ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ [الأنفال : ٦٦].

فالدليل على النسخ في هذه الآية يوجد في الآية نفسها.

القواعد الترجيحية في التفسير

إن المتأمل في كتب التفسير كثيرا ما يجد تعدد أقوال المفسرين حول المراد من ألفاظ القرآن، أو الآيات القرآنية، أو توجيه لمعنى معين، ونحو ذلك من تعدد في الأقوال والآراء. وأحيانا يلتبس على القارئ غير المتمرس الخطأ والصواب، والحق والباطل. من أجل ذلك حاول المفسرون وضع قواعد تفسيرية يستعين بها المفسر في الترجيح بين الأقوال والآراء، ويستهدي بها لمعرفة القول الحق من القول الباطل.

وعلى الرغم من أهمية قواعد الترجيح في تعيين المراد من آيات القرآن الكريم بيد أن العلماء المتقدمين لم يفردوا هذه القواعد بالتأليف، بل بثوها في تفاسيرهم، ومقدماتهم، وقد أفردها بالتأليف بعض العلماء المعاصرين.

معنى قواعد الترجيح :

والترجيح في اصطلاح المفسرين هو تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تقوّيه، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه. وقواعد الترجيح هي ضوابط وأسس أغلبية يُتَوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير القرآن.[1] أو هي القواعد

[1] حسين بن علي الحربي، **مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين**، الدمام، دار ابن جوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ، ص ١١.

التي يعملها الدارس عند الترجيح بين أقوال المفسرين. ويكون استعمال هذه القواعد في حالتين: ترجيح أحد الأقوال على غيره وردّ أحدها.[١] وقد اعتبر بعض العلماء أن القواعد الترجيحية قسم من أقسام قواعد التفسير التي تهتم بترجيح بين الأقوال، وهناك تداخل ظاهر بين القواعد العامة وقواعد الترجيح.[٢]

بيان متى يكون الترجيح :

إن التفسير المنقول إما أن يكون مجمعا عليه، فلا حاجة إلى الترجيح. والإجماعات في التفسير كثيرة وقد سبق الكلام في الإجماع في التفسير، وإما أن يكون مختلفا فيه، وهذا الخلاف لا يخلو من أحد أربعة أنواع :

النوع الأول : أن تكون جميع الأقوال محتملة في الآية ولا تعارض بينهما، وذلك مثل تفسير قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام : ٣]، قال الإمام الشنقيطي : "في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه للعلماء من التفسير، وكل واحد منها له مصداقٌ في كتاب الله تعالى:

الوجه الأول : أنّ المعنى وهُو اللّهُ فِي السّماواتِ وفِي الأرضِ، أي: وهو الإله المعبود فِي السّماواتِ والأرضِ؛ لأنه جل وعلا هو المعبود وحده بحق فِي الأرض والسماء، وعلى هذا فجملة يعلمُ حال، أو خبر، وهذا المعنى يبيّنه ويشهد له قوله تعالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف : ٨٤]، أي: وهو المعبود في السماء والأرض بحق، ولا عِبرة بعبادةِ الكافرين غيره؛ لأنها وبال عليهِم يخلدون بها في النار الخلود الأبدي، ومعبوداتهم ليست شركاء لله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم : ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس : ٦٦]. وهذا القول في الآية أظهر الأقوال واختاره القرطبي.

[١] مساعد سليمان الطيار، **فصول في أصول التفسير**، الدمام، دار ابن جوزي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م، ص ٩٤.

[٢] مساعد سليمان الطيار، المرجع السابق، س ٨٧، وفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، **أصول التفسير ومناهجه**، المرجع السابق، ص ١٢١.

الوجه الثاني: أن قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يتعلق بقوله: ﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ﴾، أَي: وَهُوَ اللَّهُ يَعلم سرّكم في السماوات وفي الأرض؛ وَيبين هذا القول وَيشهد له قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الفرقان : ٦].قال النحاس: وهذا القول من أحسن ما قيل في الآية، نقله عنه القرطبي.

الوجه الثالث: وهو اختيار ابن جرير، أن الوقف تام على قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وقوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يتعلق بما بعده، أَي يَعلَمُ سِرَّكُم وَجهركم في الأرضِ، ومعنى هذا القول: أنَّه جَلَّ وعلا مستو على عرشه فوق جميع خلقه، مع أنه يعلم سر أهل الأرض وجهرهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

ويبين هذا القول، ويشهد له قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [الملك : ١٦-١٧] ، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥]، مع قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد : ٤]، وقوله: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الأعراف : ٧].

فمثل هذا الخلاف لا يدخله ترجيح لكون الأقوال صحيحة، وجميعها مراد من الآية، والقرآن يشهد لكل واحد منها، فلذلك هو خارج عن موضوع الترجيح، فليس بعض الأقوال أولى من بعض.[١]

النوع الثاني : أن تكون الأقوال متعارضة مع بعضها يتعذر حمل الآية عليها جميعا، فلا بد أن المراد أحدها، وغالب ذلك في المشترك، إذ اتفق أهل الأصول على عدم جواز استعمال اللفظ المشترك في معنييه أو معانيه من متكلم واحد في وقت واحد، إذا امتنع الجمع بين مدلولَيْه أو مدلولاته. وذلك مثل "القرء"، فإنه يراد به الحيض ويراد به الطهر، ولا يمكن أن يكون المراد الاعتداد بهما في آن واحد.[٢]

النوع الثالث : أن تكون بعض الأقوال معارضة لبعض دلالات القرآن، أو السنة، أو إجماع الأمة، فمثل هذه الأقوال يجب ردها وسقوط حكمها. وذلك كقول سعيد بن المسيب كما ذكره الإمام الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ

[١] حسين بن علي الحربي، المرجع السابق، ص ١٦.
[٢] المرجع السابق، ص ١٦.

عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[البقرة : ٣٦]: "ما أكل آدم من الشجرة وهو يَعقل، ولكن حواء سقته الخمر، حتى إذا سكر قادته إليها فأكل".[١] فمثل هذا القول معارض لصريح القرآن في وصف خمر الجنة، أنها لا تغتال العقول فيذهب بها، أو يغيرها، كما في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصفات: ٤٧].[٢]

النوع الرابع: أن تكون الأقوال المختلفة في الآية ليس بينها تعارض، وهي محتملة، غير أن بعضها أولى من بعض؛ لكون القرآن ودلالة ألفاظه تشهد لأحدها أو لغة العرب، أو قرائن في السياق، أو أسباب أخرى تقضي بتقديم أحد الأقوال. وهذا النوع يكون في اختلاف التنوع الذي أثر عن السلف، وفيه يُعْمل بقواعد الترجيح لبيان القول الأَولى إن احتاج الأمر إلى ذلك، وإن كانت الآية تحتمل المرجوح.[٣]

طرق المفسرين في عرض الأقوال المختلفة في التفسير:

إن المفسرين لهم ثلاث طرق في عرض الاختلاف في التفسير، وهي:

الأولى : عرض الاختلاف دون بيان الراجح من الأقوال؛ كتفسير الماوردي، وتفسير ابن الجوزي.

الثانية : عرض الاختلاف مع بيان الراجح دون ذكر مستند الترجيح؛ كتفسير ابن عطية.

الثالثة : عرض الاختلاف مع بيان الراجح والقاعدة الترجيحية التي تكون سبب الترجيح؛ كتفسير الطبري والتفسير الشنقيطي.[٤]

النماذج من قواعد الترجيح في التفسير:

وتيسيرا للوقوف على هذه القواعد الترجيحية في التفسير، فسوف نصنفها وفق ثمانية اعتبارات، مكتفين بسرد أهم تلك القواعد:[٥]

[١] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١، ص ٥٣٠.

[٢] حسين بن علي الحربي، المرجع السابق، ص ١٧.

[٣] المرجع السابق، ص ١٧، وانظر أيضا: مساعد سليمان الطيار، المرجع السابق، ص ٩٤.

[٤] مساعد سليمان الطيار، المرجع السابق، ص ٩٧.

[٥] لمزيد من التفاصيل والبيان، اقرأ **مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين**: حسين بن علي الحربي، **وفصول في أصول التفسير**:

الاعتبار الأول : قواعد الترجيح المتعلقة بالقراءات ورسم المصحف :

قاعدة : اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه ما لم يكن اختلافه تضادا :

من أمثلة هذه القاعدة ما جاء في توجيه قراءة قول الله تعالى : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة : ٩]. فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر بفتح الياء وإسكان الخاء من غير ألف، أي {يَخْدَعون}، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال، أي {يُخادِعون}. فذهب جماعة من المفسرين والقراء وأهل اللغة إلى أن معنى القراءتين واحد فـ "خادَع، وخَدع" بمعنى واحد، وهذا أحسن الأقوال إذ اتحاد معناهما أولى من اختلافه.

قاعدة : الوجه التفسيري والإعرابي الموافق لرسم المصحف أولى من الوجه المخالف له :

ومن أمثلة هذه القاعدة ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين : ٣]، فقال جمهور المفسرين : معناه وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون، وتكون "هُم" في موضع نصب، ويكون الوقف عليها. وذهب بعض العلماء إلى أنها حرفان، ويقف على "كالوا"، و"وزنوا" ثم يبتدئ، بـ "هم يُخسرون"، فجَعل "هُم" في موضع رفع، وجعل "كالوا" و"وزنوا" مكتفيَيْن بأنفسهما.

وهذه القاعدة ترجح القول الأول، أي قول الجمهور، وذلك أن "كالو" و"وزنو" لم ترسم فيهما الألف الفاصلة لواو الجماعة في جميع المصاحف كما رسمت نظائرها من القرآن، فدل ذلك أن الفعلين "كالوا" و"وزنوا" لم يكتفيا بأنفسهما، وأن الضمير "هم" في موضع نصب مفعول به.

مساعد علي الطيار، **وقواعد التفسير** : خالد بن عثمان السبت.

الاعتبار الثاني : قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني :

قاعدة : إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما، إلا بدليل يجب التسليم له :

من أمثلة هذه القاعدة ما جاء في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الأنعام : ٩١]، اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله : ﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ وفي تأويل ذلك.

فقال بعضهم : كان قائل ذلك رجلا من اليهود، ثم اختلفوا في اسم ذلك الرجل على أقوال. فقيل مالك بن الصيف. وقيل : فنحاص اليهودي.

وقال آخرون : بل عني بذلك جماعة من اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم آيات مثل آيات موسى عليه السلام. والقولان بمعنى واحد، وهو أن هذه الآية خبر عن اليهود.

وقال آخرون : هذا خبر من الله تعالى عن مشركي قريش أنهم قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء.

وهذا القول الأخير هو الأوفق للسياق، وهو الذي رجحه الإمام الطبري بهذه القاعدة. قال الإمام الطبري : "وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك، قول من قال: عني بقوله : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾، مشركو قريش. وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم".[1]

الاعتبار الثالث : قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة النبوية :

قاعدة : إذا ثبت الحديث وكان نصا في تفسير الآية فلا يصار إلى غيره :

من أمثلة هذا ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس : ٣٨]. اختلف أهل التفسير في معنى قوله : ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ على أقوال :

[1] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١١، ص ٥٢٤.

الأول : أن المراد مستقرها المكاني، وهو تحت العرش مما يلي الأرض من ذلك الجانب، وهي أينما كانت فهي تحت العرش؛ لأنه سقف جميع المخلوقات.

الثاني : أن المراد بمستقرها هو : منتهى سيرها، وهو يوم القيام، يبطل سيرها وتسكن حركتها، وتكور وينتهي هذا العالم إلى غايته، وهذا هو مستقرها الزماني.

الثالث : مستقرها هو أبعد ما تنتهي إليه ولا تتجاوزه.

الرابع : نهاية ارتفاعها في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقيل غير ذلك.

والقول الأول هو الذي يجب المصير إليه؛ لأنه الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام البخاري – وغيره – من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : "كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس، فقال : يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟ فقلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله : ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس : ٣٨]، وفي رواية له قال صلى الله عليه وسلم : "مستقرها تحت العرش".[١]

الاعتبار الرابع : قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار:

قاعدة : إذا صح سبب النزول الصريح فهو مرجح لما وافقه من أوجه التفسير:

من أمثلة هذه القاعدة ماجاء في تفسير قول الله تعالى :﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۚ﴾ [البقرة : ١٨٩]. اختلف العلماء في هذه الآية على أقوال :[٢]

أحدها : أن المراد بالبيوت هي المنازل المعروفة، والإتيان هو المجيء إليها

[١] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب والشمس تجري لمستقر لها، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ١٢٣.

[٢] محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م، الجزء الثاني، ص ٣٢١.

ودخولها. قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما.

والثاني : أن المراد بالبيوت النساء أمِرْنا بإتيانهن من القبل لا من الدبر. قاله ابن زيد.

والثالث أنها مَثل. فقيل المعنى : أُمِر الناس أن يأتوا الأمور من وجوهها. وقيل: المعنى : ليس البر أن تشذوا في الأسئلة عن الأهلة وغيرها فتأتوا الأمور على غير ما يجب. وقيل غير ذلك.

وأولى هذه الأقوال بالصواب هو القول الأول، وذلك لما صح في سبب نزول الآية من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : "كانت الأنصار إذا حجّوا فجاءوا، لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجلٌ من الأنصار، فدخل من قبل بابه، فكأنّه عيّر بذلك، فنزلت : ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾ [البقرة: ١٨٩].[١]

الاعتبار الخامس : قواعد الترجيح المتعلقة بالقرائن :

قاعدة : القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عدم ذلك :

ومن أمثلة هذه القاعدة ما جاء في تفسير قول الله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام : ٧٦]. هل هو مقام نظرٍ أومناظرة ؟[٢]

فقال بعضهم هو مقام نظر، كان إبراهيم عليه السلام مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله وآتاه الرشد فلم يضره في حالة الاستدلال. وقال آخرون : بل هو مقام مناظرة لقومه، ليبين لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام.

وهذا القول الأخير هو الحق الذي يدل عليه القرآن. كما في سورة مريم والأنبياء والشعراء وغيرها، فمجادلة إبراهيم لأبيه وقومه هي التي جاءت في القرآن، ولم يرد

[١] أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب قول الله تعالى وأتوا البيوت من أبوابها، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ٣، ص ٨.

[٢] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١١، ص ٤٨٤.

حرف واحد في القرآن أنه كان مشركا في زمن ما.

والقرآن أيضا يدل على بطلان القول الأول، الذي جعل إبراهيم مشركا بالله في فترة من الزمن وقت نظره سواء قبل أن يوحى إليه أو في صغره، وقد نفى الله تعالى عن إبراهيم الشرك، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣] وغير ذلك من الآيات.

الاعتبار السادس: قواعد الترجيح المتعلقة باستعمال العرب للألفاظ والمباني:

قاعدة: إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية:

ومن أمثلة هذه القاعدة ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت:٦-٧]، اختلف المفسرون في المراد بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

فقال بعضهم معناه: الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم وتزكي أبدانهم ولا يوحدونه. ويُروى هذا القول عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما.

وقال آخرون: بل معناه: الذين لا يقرون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها ولايعطون أهلها. ويروى هذا القول عن قتادة والحسن وغيرهما.[1]

وهذا القول هو الذي ترجحه هذه القاعدة، وذلك أن من حمل معنى الزكاة على تزكية وتطهير أنفسهم بفعل الطاعة حملها على أصل المعنى اللغوي لها، وهو النماء والزيادة والطهارة والصلاح. وأما من حملها على زكاة المال يعني صدقة المال، فقد فسرها بالمعنى الشرعي لها. والحقيقة الشرعية مقدَّمة في تفسير كلام الله كما تقرره هذه القاعدة.

---

[1] المصدر السابق، الجزء ٢١، ص ٤٣٠.

قاعدة : إذا اختلفت الحقيقة العرفية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت العرفية :

من أمثلة هذه القاعدة ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة : ٦٠]. في المراد بـ "سبيل الله" أقوال :

منها : أن المراد الغزاة في سبيل الله الذين لا حق لهم في الديوان. ومنها : أن المراد الحجيج، ويروى هذا عن الحسن.[١] ومنها : أن المراد طلبة العلم. ومنها : أن المراد جميع القرب فيدخل فيه كل سعي في طاعة الله، وسبل الخير.

وأولى هذه الأقوال بتفسير الآية هو أن المراد الغزاة في سبيل الله، ويكاد يكون مجمعا عليه وذلك أن العلماء الذين قالوا بغيره أدخلوه معه، واقتصر عليه آخرون فلم يذكروا غيره. وإن إطلاق لفظ "في سبيل الله" على الغزو والجهاد كان شائعا في الاستعمال عند نزول القرآن، فكان عُرفا.

قاعدة : التقدير الموافق لغرض الآية وأدلة الشرع مقدم على غيره :

من أمثلة هذه القاعدة تقدير بعض المعربين والمفسرين خبر "لا" المضمر في جملة : "لا إله إلا الله" سواء كانت مفردة أو في آيات قرآنية كقوله تعالى : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ١٦٣]، وكقوله : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة : ٢٥٥]، ونحوها. قال بعض أهل اللغة[٢]: خبر "لا" المحذوف تقديره: موجود. فيكون المعنى : لا معبود موجود إلا الله.

---

[١] ابن كثير، تفسير ابن كثير، تحقيق واختصار محمد علي الصابوني، جدة، مكتبة جدة، المجلد الثاني، ص ١٥١.

[٢] منهم أبو حيان الأندلسي، اقرأ تفسير البحر المحيط لأبي حيان، المجلد الثاني، ص ٧٦.

الاعتبار السابع : قواعد الترجيح المتعلقة بمرجع الضمير:

قاعدة : إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر

ومن أمثلة هذه القاعدة ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [هود : ٥]. اختلف أهل التفسير في عائد الضمير في "منه" :[١] فقالت طائفة : عائد على الله تعالى السابق ذكره. وقال آخرون : عائد على محمد صلى الله عليه وسلم.

وأولى القولين بتفسير الآية القول الأول؛ لأن مفسر الضمير فيه مذكور على عكس القول الثاني فإنه لَمْ يسبق للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر في السياق.

قاعدة : الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه :

ومن الأمثلة على هذه القاعدة، ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا﴾ [مريم : ٢٤].

فللعلماء في المنادِي لمريم قولان مشهوران حكاهما عن السلف أكثر أهل التفسير، وذلك بناء على الخلاف في مرجع الضمير في "فناداها".

فالقول الأول : المنادي هو المَلَك جبريل عليه السلام.

والقول الثاني : المنادي مِن تحتها هو عيسى عليه السلام.

وهذا القول الثاني هو الذي ترجحه هذه القاعدة، وذلك ؛ لأن عيسى عليه السلام هو أقرب المذكورين إلى الضمير في "فناداها"، وذلك في قوله تعالى : ﴿فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾ [مريم : ٢٢] وما بعدها، وإعادة الضمير إلى أقرب مذكور أولى، ما لم يصرفه عنه صارف، ولا صارف هنا.

---

[١] أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، المجلد السادس، ص ١٢٣.

الاعتبار الثامن : قواعد الترجيح المتعلقة بالإعراب :

قاعدة : يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة الشاذة والغريبة :

ومن أمثلة هذه القاعدة ما جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال : ٥].

اختلف المعربون والمفسرون اختلافا كبيرا في الشيء الذي تتعلق به الكاف في "كما" حتى أوصل بعضهم الأقوال فيها إلى عشرين قولا، فيها أوجه قوية، وأخرى ضعيفة. ومن أغرب ما ورد في هذه الآية ما قال أبو عبيدة في المجاز، قال مجازها القسم، كقولك : والذي أخرجك ربك؛ لأن ما في موضع "الذي". اهـ فجَعل "الكاف" حرف قسم بمعنى "الواو". وهذا القول غريب جدا في العربية وفي معنى الآية. وأما ما شاع وانتشر في العربية فحمل الآية عليه محتمل ويرجح بينها بقواعد أُخر.

الدخيل في التفسير

إن التفسير لا بد أن يصان من الأباطيل الزائفة التي تلبس الحق وتشوه صورة الإسلام. وإن من الأباطيل التي يجب على المسلمين التصدي لها والوقوف لها بالمرصاد ما دخل على التفسير من الإسرائيليات المصنوعة والأكاذيب الموضوعة التي تنفر الناس من الإسلام وتظهره بمظهر الدين الخرافي الذي يتنافى مع العقول السليمة والفطرة المستقيمة.

تعريف الدخيل :

الدخيل لغةً ما ليس له أصل ثابت ولم يرتكز على أساس فيه. وأما في الاصطلاح فهو التفسير الذي لا أصل له على حين غرة وعلى غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. كالأحاديث الموضوعة والإسرائيليات.

مصادر الدخيل :

نشأ الدخيل واستمد مادتَه مما يأتي :[١]

١- كتب اليهود وثقافتهم الدينية :

وأشهر كتب اليهود التوراة، وقد نشأ حول التوراة شروح وتعليقات ووصايا وتفاسير مختلفة، ومن كتبهم أيضا التلمود وهو مجموعة القواعد والتعاليم توارثها اليهود جيلا عن جيل وتناقلوها طبقة عن طبقة ثم دونت أخيرا خوفا من ضياعها ونسيانها.

٢- كتب النصارى وثقافتهم الدينية :

إن للنصارى كتبهم وثقافتهم المستمدة من الإنجيل وشروحه المختلفة، وهي منبع من منابع ثقافة النصارى، كما استمدوا ثقافتهم أيضا مما زاده علماؤهم من القصص والأخبار والتعاليم التي زعموا أنهم تلقوها عن عيسى عليه السلام .

٣- ما دسه أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والفرس والزنادقة وأصحاب الأهواء والفرق الضالة والمبتدعة وغيرهم.

خطورة الدخيل في التفسير:

إن الدخيل الزائف في كتب التفسير له خطورات كبيرة للإسلام والمسلمين، وتتمثل هذه الخطورات فيما يلي :

١- إن الدخيل يصور الدين الإسلامي بصورة الدين الخرافي الذي يهتم بالأباطيل ويعتني بها. ومن ذلك ما ذكره الإمام القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [غافر : ٧]، من أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم خرقت العرش.[٢]

---

[١] رشاد حسن علي، **أباطيل يجب أن تمحى من التفسير**، سوهاج، كلية الدراسات الإسلامية للبنات، جامعة الأزهر بسوهاج، ٢٠٠١، ص ١٨-٢٠.

[٢] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨م، الجزء ١٥، ص ٢٦٢.

٢- إن الدخيل يفسد عقيدة المسلم ويخرج به عن دائرة دينه حيث يحتوي ذلك من صور التشبيه والتجسيم ما لا يليق بالله. ومن ذلك ما ورد في سفر التكوين من أن الله تعالى لما فرغ من خلق الدنيا في ستة أيام استراح في اليوم السابع.

٣- إن الاشتغال بهذا الدخيل يشغل المسلمين عن أمور الدين الأصلية والمهمة بما لا فائدة له. ومن أمثلة ذلك ما ورد في التفسير السمرقندي من الروايات حول أسماء أصحاب الكهف واسم كلبهم ولونه.[١]

٤- إن نسبة هذا الدخيل إلى بعض الثقات أضعفت الثقة فيهم حتى يهمل بعض المسلمين الأخذ عن هؤلاء الثقات لعدم اقتناعهم ببعض ما روي عنهم.

٥- إن وجود الدخيل في التفسير يؤدي إلى ضياع جزء من التراث الصحيح الذي خلفه لنا أعلام المفسرين.

أنواع الدخيل :

الدخيل نوعان، الموضوعات والإسرائيليات، وفيما يلي بيانهما :

النوع الأول : الموضوعات :

تعريف الموضوعات :

الموضوعات وهي جمع موضوع، اسم مفعول، وهو في اللغة مأخوذ من وضع الشيء يضعه وضعا، إذا حطه وأسقطه. أو من وضعت المرأة ولدها إذا ولدته. وأما في اصطلاح أئمة الحديث فالموضوع : هو الحديث المختلق المصنوع المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.[٢]

---

[١] أبو الليث السمرقندي، **تفسير السمرقندي**، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ١٦٨.

[٢] أبو عمر الشهرزوري، **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص ٧٧.

أنواع الموضوعات :

والموضوع من حيث مادته ونصه نوعان:

١- أن يضع الواضع كلاما من عند نفسه، ثم ينسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابي، أو التابعي.

٢- أن يأخذ الواضع كلاما لبعض الصحابة أو التابعين، أو الحكماء، والصوفية، أو ما يروى في الإسرائيليات، فينسبه إلى رسول الله؛ ليروج وينال القبول.

أسباب انتشار الموضوعات :

هناك أسباب تقف وراء انتشار الموضوعات في التفسير، وهي :[١]

١- حقد أعداء الإسلام بسبب اتساع رقعته وعلو كلمته، فيروّجون من الموضوعات لتشويه صورة الإسلام وخلخلة عقيدته في نفوس معتنقيه، وقد توصلوا إلى أغراضهم الدنيئة عن طريق الوضع والاختلاق والدس في المرويات الإسلامية عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- الزنادقة، وهم المبطنون للكفر والمظهرون للإسلام. فيقبلون على وضع الحديث والذي عليه يعتمد التفسير بالمأثور ليبعدوا الناس عن الدين الحنيف. قال حماد بن زيد : وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ألفَ حديث.

٣- الخلافات السياسية. فقد سولت هذه الخلافات لضعفاء الإيمان أن يضعوا أحاديث تؤيد مذاهبهم وأحاديث في فضائل متبوعهم وفي مثالب مخالفيهم. وذلك مثل ما وضع أنصار العباسيين على ابن عباس روايات كثيرة في تفسير القرآن وصوّروه بصورة عالم بكل شيء وقوّلوه ما لم يقل.

٤- التقرب إلى الحكام. فأخذ ضعفاء الإيمان يضعون الأحاديث ويروّجون الأباطيل إرضاء لأولياء الأمور وتقربا إليهم. ولقد روي في هذا المقام أن أبا البحتري

[١] رشاد حسن علي، المرجع السابق، ص ٤١ وما بعدها.

الكذاب دخل على الرشيد وهو يطير الحمام، فقال له الرشيد : هل تحفظ في هذا شيئا؟، فروى حديثا مكذوبا قال فيه : إن النبي كان يطير الحمام.

٥- ظهور الفتن وتفشى العصبية والتفرقة العنصرية فاتسعت حركة الوضع واختلاق الأحاديث في تفضيل العرب على العجم، وتفضيل بعض الشعوب والأماكن، وتكفير من قال بخلق القرآن.

٦- انتشار القصاص. فقد كان هؤلاء القصاص ينتشرون في المساجد يعظون الناس ويستميلونهم بقصص لا أصل لها طلبا للمال.

٧- الجهل بالدين. فقد استباح بعض الزهاد والمتصوفة وضع الأحاديث والقصص في الترغيب والترهيب ظنا منهم أنهم يتقربون بذلك إلى الله ويخدمون دين الإسلام. ومن أمثلة ما وضعوه في هذا السبيل حديث فضائل القرآن سورة سورة، فقد اعترف بوضعه نوح بن أبي مريم واعتذر لذلك بأنه رأى الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق.

٨- عدم التثبت في رواية الحديث ونقل كثير من الروايات من غير إسناد ومن غير تحر عن روايتها، فمن ثَمّ التبس الصحيح بالضعيف والحق بالباطل.

نماذج من الوضع في التفسير:

أولا : أحاديث فضائل السور:

على الرغم من أن أحاديث فضائل السور لا تدخل في التفسير، إذ هي ليست من معاني الآيات ولا من تأويلها، إلا أنه جرت عادة المفسرين أن يذكروها في أوائل تفاسيرهم للسور المختلفة، ويبدو أن كثيرا من هذه الأحاديث من الموضوعات، وضعها البعض ظنا منهم أنهم يتقربون بذلك إلى الله ويخدمون دين الإسلام.

فقد ذكر الإمام السيوطي ما أخرجه الحاكم في المدخل بسنده عن أبي عمار المروزي، قال : قيل لأبي عصمة الجامع: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة، وليس عند أصحاب عكرمة هذا، فقال : إني رأيت

الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة.[١]

ومع ذلك، فإن هذه الأحاديث قد ذكرها بعض المفسرين في كتبهم، ومن ذلك حديث فضل سورة الأنعام الذي ذكره الإمام الطبرسي في تفسيره: "عن أُبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنزِلت عليّ الأنعام جملة واحدة يشيّعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من الأنعام يوما وليلة".[٢]

ومن ذلك حديث فضل سورة يونس الذي ذكره الإمام الواحدي في تفسيره: "عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول اللَّه صلى اللهُ عليه وسلم: "من قرأ سورةَ يونس أعطي من الأجر عشْر حسناتٍ بعدد من صدّق بيونس وكذّب به وبعدد من غرِقَ مع فرعون".[٣]

ثانيا: الوضع في تفسير الآيات:

الوضع في تفسير الآيات كثير، ومن نماذج ذلك:

أ. قصة آدم:

روى المفسرون قصصا وكلمات عجيبة عن آدم ملأوا بها تفاسيرهم، من ذلك ما ذكره الإمام السيوطي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: ٣٦]. قال: وأخرج ابْن سعد عن ابْن عبّاس قال: لما خلق الله آدم كانَ رَأسه يمس السّماء فوطاه الله إلى الأرض حتّى صار ستين ذراعا في سبعة أذْرع عرضا. وَأخرج الطَّبَرَانِيّ عن عبد الله بن عمر قال: لما أهبط الله آدم أهبطه بأرض الهند ومعه غرس من شجر الجنّة فغرسه بها وكان رأسه

[١] جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، المصدر السابق، ص ٥١٩.

[٢] أبو علي الفضل الطبرسي، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، الجزء الرابع، ص ٣.

[٣] أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م، الجزء الثاني، ص ٥٣٧.

في السّماء ورجلاه في الأرض وكان يسمع كلام الملائكة فكان ذلك يهوّن عليهِ وحدته فغمز غمزة فتطأطأ إلى سبعين ذراعا فأنزل الله إنّي منزل عليك بيتا يطاف حوله كما تطوف الملائكة حول عرشي ويصلى عنده كما تصلي الملائِكة حول عرشي فأقبل نحو البيت فكان موضع كل قدم قرية وما بين قدميه مفازة حتّى قدم مكَّة فدخل من باب الصّفا وطاف بالبيت وصلّى عنده ثمّ خرج إلى الشّام فمات بها. وَأخرج أبو الشّيخ في العظمة عن مجاهد قال: لما أهبط آدم إلى الأرْض فزعت الوحوش ومن في الأرْض من طوله فأطر منه سبْعون ذراعا. وأخرج ابْن جرير في تاريخه والبيهقيّ في شعب الإيمان وابْن عساكِر عن ابْن عبّاس قال: إن آدم حِين خرج من الْجنّة كان لا يمر بشيء إلا عنت به فقيل للملائكة: دَعوه فليتزوّد منْها ما شاء فنزل حين نزل بالهند ولقد حج منها أربعين حجّة على رجليه. وَأخرج سعيد بن منْصور عن عطاء بن أبي رياح قال: هبط آدم بأرض الهند ومعه أعواد أربعة من أعواد الجنة وهي هذه التب تتطيب بها الناس وأنه حج هذا البيت على بقرة".[1]

ب . قصة الغرانيق :

لقد كان الوضع يشكك كذلك برسالة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، وكان من ذلك أسطورة الغرانيق التي دسها أعداء الإسلام. وكان بعض المفسرين يذكرون هذه القصة في تفاسيرهم، ومن ذلك ما ذكره الإمام الطبري في سبب نزول قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج : ٥٢]، قال الطبري : "ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا

[1] جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت، دار الفكر، الجزء الأول، ص ١٣٦.

غَوَىٰ﴾ [النجم : ١-٢] فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ألقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانقة العلى، وإنّ شفاعتهنّ لترجى، فتكلم بها. ثم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا، فنحن معك، قالا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليه السلام، فعرض عليه السورة; فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال : ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افْتَرَيْتُ عَلى الله، وَقُلْتُ عَلى الله ما لَمْ يَقُلْ، فأوحى الله إليه : ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ ... إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾. فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. قال : فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا: هم أحبّ إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان".[1]

وقد علق الدكتور محمد أبو شهبة على القصة، وقال : "وهذه القصة غير ثابتة، لا من جهة النقل ولا من جهة العقل والنظر. أما من جهة النقل فقد طعن فيها كثير من المحققين والمحدثين... وأما من جهة العقل فقد أجمعت الأمة على عصمته عليه الصلاة والسلام من مثل ما روي، إما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا، من مدح آلهة العرب وهو كفر، أو يتسور عليه الشيطان، ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه...".[2]

---

[1] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١٨، ص ٦٦٣.

[2] محمد بن محمد أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، القاهرة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ، ص ٣١٥ وما بعدها.

النوع الثاني : الإسرائيليات :

تعريف الإسرائيليات :

وهي جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو : يعقوب عليه السلام أي عبد الله. وبنو إسرائيل هم : أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وأما في الاصطلاح فهي الأخبار أو القصص أو الحوادث المروية عن مصدر يهودي إسرائيلي أو مصدر نصراني من معارفهم التي تدور حول التوراة والأناجيل والأسفار والتلمود والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتراها الحاخامون، أو تناقلوها عن غيرهم؛ وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم.

أسباب انتشار الإسرائيليات :

ثمة أسباب تؤدي إلى ظهور الإسرائيليات وانتشارها في كتب التفسير، وهي:

١- مجاورة أهل الكتاب للعرب ودخول جماعة منهم في الإسلام وما نتج عن ذلك من أخذ كثير من الصحابة عن أهل الكتاب تفصيل ما أجمله القرآن من قصص الأنبياء وأخبار الأمم.

٢- ترجمة التوراة وشروحها، فتوسع المفسرون والمؤرخون في الاستعانة بهذه الترجمات في تصوير الأخبار والقصص القرآنية.[١]

٣- وجود مؤلفات تاريخية للمفسرين عُنيتْ بذكر تاريخ بني إسرائيل وأنبيائهم وما جرى بينهم، فربما انتقلت هذه القصص الإسرائيلية في كتب التفسير.[٢]

---

[١] رشاد حسن علي، المرجع السابق، ص ٤١.

[٢] ناصر بن محمد بن عثمان المنيع، المرجع السابق، ص ١٧٣.

أقسام الإسرائيليات :

تنقسم الإسرائيليات إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة :

القسم الأول : اعتبار السند :

تنقسم الإسرائيليات باعتبار السند إلى ما يلي :

أ – صحيح من حيث السند والمتن :

ومثاله : ما ذكره ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب : ٤٥]، قال ابن كثير: قال الإمام أحمد : حدثنا مُوسَى بْنُ دَاوُدَ، حدثنا فليح بن سليمان، حدثنا هِلَالِ بْنِ عَلِيٍّ عن عطَاءِ بن يسَارٍ قال: لقيت عَبْدَ اللَّهِ بنَ عَمرِو بن العَاصِ رضي الله عنهما، فقلت: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في التَّوْرَاةِ، قال: أَجَلْ والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَسْتَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، ولكن يعفو ويصفح وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا}، وقد رواه البخاريّ في البيوع عن محمّد بن سنان عن فُلَيح بن سليمان عن هلال بن علي.[1]

ب – ضعيف من حيث السند والمتن :

فمثال الأول ما رواه ابن جرير في تفسيره لقوله تعالى :﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ١٩]، قال "حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال:

[1] ابن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ، الجزء ٦، ص ٣٨٨.

حدثني حجاج، عن ابن جُريج، عن وهب بن سليمان، عن شُعيب الجَبَائي قال: في كتاب الله: الملائكة حَمَلة العرش، لكل مَلك منهم وَجه إنسان وثور وأسد، فإذا حركوا أجنحتهم فهو البرق".[1]

وشعيب الجبائي يماني يروي عن أساطير أهل الكتاب؛ وهو متروك.

ومثال الثاني ما ذكره الإمام الفخر الرازي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، قال: "المسألة الثالثة: إذا قلنا بأنّهما كانا من الملائكة فقد اختلفوا في سبب نزولهما فروي عن ابن عبّاسٍ أنّ الملائكة لمّا أعلمهم الله بآدم وقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء فأجابهم الله تعالى بقوله: إنّي أعلم ما لا تعلمون [البقرة: ٣٠] ثمّ إنّ الله تعالى وكّل عليهم جمعًا من الملائكة وهم الكرام الكاتبون فكانوا يعرجون بأعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم ومن تبقية الله لهم مع ما ظهر منهم من القبائح، ثم أضافوا إليهما عمل السّحر فازداد تعجّب الملائكة فأراد الله تعالى أن يبتلي الملائكة، فقال لهم: اختاروا ملكين من أعظم الملائكة علما وزهدا وديانة لأنزلهما إلى الأرض فأختبرهما، فاختاروا هاروت وماروت، وركّب فيهما شهوة الإنس وأنزلهما ونهاهما عن الشّرك والقتل والزّنا والشّرب، فنزلا فذهبت إليهما امرأةٌ من أحسن النّساء وهي الزّهرة فراوداها عن نفسها فأبت أن تطيعهما إلّا بعد أن يعبدا الصّنم، وإلّا بعد أن يشربا الخمر، فامتنعا أوّلا، ثمّ غلبت الشّهوة عليهما فأطاعاها في كلّ ذلك، فعند إقدامهما على الشّرب وعبادة الصّنم دخل سائلٌ عليهم فقالت: إن أظهر هذا السّائل للنّاس ما رأى منّا فسد أمرنا، فإن أردتما الوصول إليّ فاقتلا هذا الرّجل، فامتنعا منه ثمّ اشتغلا بقتله فلمّا فرغا من القتل وطلبا المرأة فلم يجداها، ثمّ إنّ الملكين عند ذلك ندما وتحسّرا وتضرّعا إلى الله تعالى فخيّرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختار عذاب الدّنيا وهما يعذّبان ببابل معلّقان بين السّماء والأرض يعلّمان النّاس السّحر..."

[1] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١، ص ٣٤٣.

ثم قال : "واعلم أنّ هذه الرّواية فاسدةٌ مردودةٌ غير مقبولةٍ لأنّه ليس في كتاب اللّه ما يدلّ على ذلك، بل فيه ما يبطلها من وجوه، الأول: ما تقدم من الدلائل الدّالّة على عصمة الملائكة عن كلّ المعاصي، وثانيها: أنّ قولهم إنّهما خيّرا بين عذاب الدّنيا وبين عذاب الآخرة فاسدٌ، بل كان الأولى أن يخيّرا بين التّوبة والعذاب لأنّ اللّه تعالى خيّر بَينهما من أشرك به طول عمره، فكيف يبخل عليهما بذلك؟ وثالثها: أنّ من أعجب الأمور قولهم: إنّهما يعلّمان السّحر في حال كونهما معذّبين ويدعوان إليه وهما يعاقبان".[1]

ج – موضوع :

وهو المختلق المصنوع، ومثاله : ما رواه ابن جرير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولا﴾ [الإسراء : ٥]، قال : "حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ بني إسرائيل لمّا اعتدوا وعلوا، وقتلُوا الأنبياء، بعث الله عليهم ملِك فارِس بُختنصّر، وكان الله ملّكهُ سبع مِئة سنةٍ، فسارِ إليهم حتى دخل بيت المقدِسِ فحاصرها وفتحها، وقتل على دمِ زكريّا سبعين ألفا، ثُمّ سبى أهلها وبني الأنبياء، وسلب حُليّ بيتِ المقدِسِ، واستخرج مِنها سبعِين ألفا ومِئة ألفِ عجلةٍ مِن حُليٍّ حتى أوردهُ بابِل، قال حُذيفة: فقلت: يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عظيما عند الله؟ قال: أجل بناهُ سُليمانُ بنُ داوُد مِن ذهبٍ ودُرّ وياقُوتٍ وزبرجدٍ، وكان بلاطُه بلاطةً مِن ذهب وبلاطةً من فِضّةٍ، وعُمُدُهُ ذهبا، أعطاهُ الله ذلك...".[2]

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره معلقا على هذه الرواية : "وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا مطولا أسنده عن حذيفة اليماني مرفوعا مطولا وهو حديث

[1] محمد فخر الدين الرازي، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م، الجزء الثالث، ص ٢٣٨.
[2] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١٧، ص ٣٥٧-٣٥٨.

موضوع لا محالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة الحديث".[١]

القسم الثاني : اعتبار الموضوع :

تنقسم الإسرائيليات باعتبار الموضوع إلى ما يلي :

أ – ما يتعلق بالعقائد :

والمثال على ذلك ما ذكره ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر : ٦٧]، قال : "قال البخاريّ حدّثنا آدم حدّثنا شَيبَانُ عن منصور عن إبراهيم عن عُبيدةَ عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال : جاء حبرٌ مِن الأحبار إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فقال: يا محمّد إنّا نجد أنّ اللّه عزّ وجلّ يجعل السموات على إصبعٍ والأرضين على إصبَعٍ، والشّجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبعٍ فيقول أنا الملك، فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم حتّى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر ثمّ قرأ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾..."[٢]

ب – ما يتعلق بالأحكام :

والمثال على ذلك ما رواه الإمام السيوطي عن ابن عباس في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ [آل عمران: ٩٣] قال : "حرم على نفسه العُروق وذلك أنه كان يشتكي عرق النسا فكان لا ينام اللّيل فقال: والله لئِن عافاني الله منه لا يأكُلهُ لي ولد وليس مكتوبا في التّوراة".[٣]

---

[١] ابن كثير الدمشقي، المصدر السابق، الجزء ٥، ص ٤٤.

[٢] المصدر السابق، الجزء ٧، ص ١٠٢.

[٣] جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٢٦٣.

ج – ما يتعلق بالمواعظ :

ومثاله ما ذكره ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر : ١٦]، قال بعد ذكر قصة برصيصا العابد : "وهذِهِ القِصّة مخالِفةٌ لِقِصّةِ جريجٍ العابِدِ فإنّ جريجًا اتّهمته امرأةٌ بغِيٌّ بِنفسِها، وادّعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى وليّ الأمر فأمر به فأُنزِل مِن صومعته وخربت صومعته وهو يقول ما لكم ما لكم؟ قالوا يا عدوّ اللّهِ فعلت بهذه المرأةِ كذا وكذا، فقال جريجٌ اصبِروا ثمّ أخذ ابنها وهو صغِيرٌ جدًّا، ثمّ قال يا غلام من أبوك. قال أبِي الرّاعِي وكانت قد أمكنته مِن نفسِها فحملت مِنه، فلمّا رأى بنو إِسرائِيل ذلِك عظّموه كلّهم تعظيمًا بليغًا وقالوا نُعيد صومعتك من ذهبٍ، قال لا بل أعيدوها مِن طينٍ كما كانت".[1]

القسم الثالث : اعتبار الحكم :

تنقسم الإسرائيليات باعتبار حكم روايتها إلى ما يأتي :

أ – جوازرو ايتها، وهي المو افقة لما في شريعتنا :

والمثال على ذلك ما يتعلق بصاحب موسى عليه السلام وأنه الخضر وما يتعلق برسالة التوحيد وأنها رسالة الأنبياء جميعا. وفي هذا القسم ورد قوله صلى الله عليه وسلم : "بلّغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرجَ ومن كذب عليّ متعمّدا فليتبوّأ مقعده من النار".[2]

وهذا القسم يجوز ذكره وروايته وإن كان في القرآن والسنة ما يُغني عنه، وإنما يكون ذكره للاستشهاد به وإقامة الحجة على أهل الكتاب من كتبهم. ولا يجوز الاستغناء به عما ورد في القرآن والسنة.

---

[1] ابن كثير الدمشقي، المصدر السابق، الجزء ٨، ص ١٠٥.

[2] أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، انظر: محمد بن إسماعيل البخاري، المصدر السابق، الجزء ٤، ص ١٧٠.

ب – وجوب رفضها وعدم قبولها، وهي المخالفة لما في شريعتنا :

ومثاله ما ذكره الإمام السمرقندي في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص : ٣٤]، قال : "وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله: وَأَلْقَيْنا عَلى كُرْسِيِّهِ جَسَداً قال : شيطان يقال له صخر. قال له سليمان يوماً : كيف تفتنون الناس؟ فقال له : أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه، نبذه في البحر، فذهب ملكه، وقعد صخر على كرسيه، ومنعه الله تعالى نساء سليمان، فلم يقربهن، فأنكرته أم سليمان، أهو سليمان أم آصف؟ فكان يقول : أنا سليمان. فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوماً حوتاً، فوجد خاتمه في بطنه، فرجع إليه ملكه، ودخل صخر البحر فاراً. وذكر شهر بن حوشب نحو هذا، وقال: لما جلس سليمان على سريره، بعث في طلب صخر، فأتي به، فأمر به، فقورت له صخرة، وأدخله فيها، ثم أطبق عليها، وألقاه في البحر، وقال: هذا سجنك إلى يوم القيامة".

ثم قال أبو الليث : "وقال بعضهم: هذا التفسير الذي قاله هؤلاء الذين ذكروا أنه شيطان لا يصح، لأنه لا يجوز من الحكيم أن يسلط شيطاناً من الشياطين على أحكام المسلمين، ويجلسه على كرسي نبي من الأنبياء عليهم السلام".[١]

ج – التوقف في قبولها ورفضها، وهي المسكوت عنها في شريعتنا :

وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني مثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت؟، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم. وعلى سبيل المثال لا الحصر، ذكر الإمام السمرقندي في تفسيره أسماء أصحاب الكهف وهم : مكسلمينا وهو أكبرهم، وتمليخاً، ومطرونس، وسارينوس، ونوانس، وكفاشطهواس، وبطنبورسوس، وكان اسم الكلب قطمير،

[١] أبو الليث السمرقندي، **تفسير السمرقندي**، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص ١٦٨.

وقيل كان اسمه فرفدين ويقال: كان لونه خليج".[١]

والتوقف يعني لا نصدقها ولا نكذبها عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم".[٢]

أقطاب الروايات الإسرائيلية :

المتصفح لكتب التفسير، والمتأمل لأسانيد ما يروى فيها من الإسرائيليات لا يلبث أن يلحظ أن غالبها يدور على سبعة أشخاص، وهم :[٣]

عبد الله بن سلام : وهو الصحابي الجليل عبد الله بن سلام الإسرائيلي ثم الأنصاري (ت ٤٣ هـ)، وهو من ولد يوسف بن يعقوب، وكان حليفا للأنصار، ولما أسلم سماه الرسول صلى الله عليه وسلم "عبد الله"، وكان أحد الأحبار وقد اجتمع له علم التوراة والقرآن.

كعب الأحبار : وهو كعب بن ماتع بن هيسوع الحميري (ت ٣٢ هـ)، أصله من يهود اليمن، وهو من المحضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، يقال له كعب الأحبار وكعب الحبر نظرا لثراء معلوماته، فقد كان واسع الاطلاع على كتب اليهود.

السدي : وهو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدّي (ت ١٢٧ هـ)، القرشي الكوفي، أصله حجازي، كان يقعد في سُدّة باب الجامع بالكوفة؛ فسمي سدِّي، وهو إمام التفسير ويُعدّ من أكثر التابعين رواية للإسرائيليات بل فاق الإخباريين من بني إسرائيل.

ابن جريج : وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠ هـ)، القرشي الأموي مولاهم، الحافظ الفاضل، صاحب التصانيف، كان فقيه أهل مكة في زمانه، اعتمد على بعض الإسرائيليات في التفسير ولكنه لم يكن مكثرا منها.

---

[١] المصدر السابق، الجزء الثاني، ص ٣٦٠.

[٢] أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وغيرها. انظر صحيح البخاري، المصدر السابق، الجزء ٣، ص ١٨١.

[٣] ناصر بن محمد المنيع، المرجع السابق، ص ١٧٩.

وهب بن منبه : وهو وهب بن منبه بن كامل اليماني (ت ١١٠ هـ)، الإخباري القصصي، أدرك بعض الصحابة، كان مكثرا من قراءة كتب أهل الكتاب، روى عنه الطبري أنواعا من الإسرائيليات.

قتادة : وهو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي (ت ١١٨ هـ)، كان قوي الحافظة، واسع الاطلاع في الشعر العربي، بصيرا بأيام العرب، عليما بأنسابهم، ضليعا في اللغة العربية.

ابن إسحاق : وهو محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥٠ هـ)، العلامة الإخباري صاحب السيرة النبوية، رأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، كان إماما في معرفة السير والمغازي، مكثرا من التحديث والروايات. محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥٠ هـ)، العلامة الإخباري صاحب السيرة النبوية، رأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، كان إماما في معرفة السير والمغازي، مكثرا من التحديث والروايات.

النماذج من الدخيل في كتب التفسير:

لقد احتوت كتب التفسير على كثير من القصص الإسرائيلية والموضوعة، وسنورد فيما يلي النماذج منها:

شكل آدم حين الهبوط من الجنة :

ذكر الإمام السيوطي قصة عجيبة في شكل آدم وحجمه، وذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج : ٢٦]، قال : "أخرج عبد الرّزّاق في المصنّف وعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء بن أبي رياح قال: لما أهبط الله آدم كان رجلاه في الأرض ورأسه في السّماء فيسمع كلام أهل السّماء ودعاءهم فيأنس إليهم فهابت الملائكة منه حتّى شكت إلى الله في دعائها وفي صلاتها فأخفضه الله إلى الأرض فلمّا فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتّى شكا إلى الله في دعائه وفي صلاته فوجه إلى مكّة فكان موضع قدمه قرية وخطوة مفازة حتّى انتهى إلى مكّة فأنزل الله

ياقوتة من ياقوت الجنّة فكانت على موضع البيت الآن فلم يزل يطاف به حتّى أنزل الله الطوفان فرفعت تلك الياقوتة حتّى بعث الله إبراهيم فبناه، فذلك قول الله ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾".[١]

ولقد استطرد الدكتور إحسان الأمين في ذكر هذه الرواية وأمثالها، ثم قال: "وفيها ما فيها من التناقضات والقضايا العجيبة المخالفة للعقل ولحقائق التاريخ، والروايات تلك بعضها مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها الآخر وهو أكثرها مروي عن عدد من الصحابة والتابعين، وهي تدل بنفسها على وضعها، كما تدل على ضرورة التأمل والتدبّر فيما يُروى عنهم في التفسير، إذ إن فيه الكثير من الموضوع أو المأخوذ من أهل الكتاب".[٢]

عظم خلق عوج بن عوق أو عنق :

ذكر الإمام الثعلبي في تفسيره لقوله تعالى :﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة : ١٢] قصة رجل من الجبارين، قال : "فسار موسى ببني إسرائيل حتّى إذا قربوا من أرض كنعان وهي أريحا. بعث هؤلاء النقباء إليها يتجسّسون له الأخبار ويعلمونه فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع. قال ابن عمر: كان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من أقرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله.

ويروى له أنه رأى نوحا يوم الطوفان فقال: احملني معك في سفينتك، فقال له: اخرج يا عدو الله فإنّي لم أؤمر بك وطبق الماء ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج، وعاش عوج ثلاثة ألاف سنة ثم أهلكه الله على يد موسى".[٣]

---

[١] جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، المصدر السابق، الجزء ٦، ص ٣٠.

[٢] إحسان الأمين، منهج النقد في التفسير، بيروت، دار الهادي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، ص ٨٢.

[٣] الثعلبي، المصدر السابق، الجزء ٤، ص ٣٦.

وقد علّق الإمام ابن كثير على هذه القصة وقال : "وإذا كان ابن نوح الكافر، غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافرٌ وولد زنية؟ هذا لا يسوّغ في عقل ولا شرع. ثمّ في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظرٌ، والله أعلم".[1]

سبب غضب موسى لما ألقى الألواح :

روى الإمام الطبري عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ [الأعراف : ١٥٠] قصةً غريبة عن غضب موسى، وهي قوله : "حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: "أخذ الألواح"، قال: رب، إني أجد في الألواح أمةً خيرَ أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون - أي آخرون في الخلق - السابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها،- وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظرًا، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئًا، ولم يعرفوه. قال قتادة: وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئًا لم يعطه أحدًا من الأمم - قال: ربِّ اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فضول الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم، ثم يؤجرون عليها - وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه، بعث الله عليها نارًا فأكلتها، وإن ردَّت عليه تركت تأكلها الطير والسباع. قال: وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم - قال: رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد!

[1] ابن كثير الدمشقي، المصدر السابق، الجزء ٣، ص ٦٩.

قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفَّعون والمشفوع لهم، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد! قال: فأعطي نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبيٌّ، قال الله: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٤] . قال: فرضي نبي الله. ثم أعطي الثانية: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٩] ، قال: فرضي نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضى".[1]

ولقد أعقب ابن جرير هذه القصة، وبيّن الصواب، وقال: "والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك، أن يكون سبب إلقاء موسى الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل، لأن الله جل ثناؤه بذلك أخبر في كتابه فقال: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾".[2]

قصة شجرة طوبى في الجنة :

ذكر الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد : ٢٩] رواية غريبة عجيبة عن وهب بن منبه، يقول : "إن في الجنة شجرة يقال لها:"طوبى"، يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها ; زهرها رِيَاط، وورقها بُرود وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووَحَلها مسك، يخرج من أصلها أنهارُ الخمر واللبن والعسل، وهي مجلسٌ لأهل الجنة. فبينا هم في

[1] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١٣، ص ١٢٤.
[2] المصدر السابق، الجزء ١٣، ص ١٢٤.

مجلسهم إذ أتتهم ملائكة من ربّهم، يقودون نُجُبًا مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، وبَرَها كخَزّ المِرْعِزَّى من لينه، عليها رحالٌ ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، فينيخونها ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلّموا عليه. قال: فيركبونها، قال: فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش نُجُبًا من غير مَهنَة، يسير الرَّجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أذُنُ راحلة منها أذُنَ صاحبتها، ولا بَرْكُ راحلة بركَ صاحبتها، حتى إن الشجرة لتتنحَّى عن طرُقهم لئلا تفرُق بين الرجل وأخيه. قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم، فيُسْفِر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام، وحُقَّ لك الجلال والإكرام". قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: "أنا السلام، ومنى السلام، وعليكم حقّت رحمتي ومحبتي، مرحبًا بعبادي الذين خَشُوني بغَيْبٍ وأطاعوا أمري".قال: فيقولون: "ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك ولم نقدرك حق قدرك، فأذن لنا بالسجود قدَّامك" قال: فيقول الله: إنها ليست بدار نَصَب ولا عبادة، ولكنها دارُ مُلْك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نَصَب العبادة، فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنيّته". فيسألونه، حتى إن أقصرهم أمنيةً ليقول: ربِّ، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها، رب فآتني كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا" فيقول الله: لقد قصّرت بك اليوم أمنيتُك، ولقد سألت دون منزلتك، هذا لك مني، وسأتحفك بمنزلتي، لأنه ليس في عطائي نكَد ولا تَصْريدٌ". قال: ثم يقول: "اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم، ولم يخطر لهم على بال". قال: فيعرضون عليهم حتى يَقْضُوهم أمانيهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم بَرِاذين مقرَّنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة، على كل سرير منها قبة من ذهب مُفْرَغة، في كل قبة منها فُرُش من فُرُش الجنة مُظَاهَرة، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة، ليس في الجنة لونٌ إلا وهو فيهما، ولا ريح طيبة إلا قد عَبِقتَا به، ينفذ ضوء وجوههما غِلَظ القبة، حتى يظن من يراهما أنهما من دُون القُبة، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسِّلك الأبيض

من ياقوتة حمراء، يريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على الحجارة، أو أفضل، ويرى هولُهما مثل ذلك. ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبّلانه ويعانقانه، ويقولان له: "والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك"، ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفًّا في الجنة، حتى ينتهي كل رجُل منهم إلى منزلته التي أعدّت له".[١]

ولقد وصف الإمام ابن كثير هذا الأثر بأنه غريب عجيب، قال: "وقد روى ابنُ جريرٍ عن وهب بن منبّهٍ هاهنا أثرا غريبا عجيبا".[٢] وأورد ابن كثير رواية صحيحة في شجرة طوبى دون زيادات وهب بن منبه، قال: "وفي صحيح البخاريّ من حديث يزيد بن زريعٍ عن سعيدٍ، عن قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في قول الله تعالى: وظلٍّ ممدودٍ قال: "في الجنّة شجرةٌ يسير الرّاكب في ظلّها مائَةَ عَامٍ لَا يقطعها".[٣] وهذه الرواية الصحيحة لا ننكرها، ولكن الذي ننكره هو ما زاده وهب بن منبه من الزيادات الطويلة والغريبة.

قصة يأجوج ومأجوج:

ذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور قصة عجيبة عن يأجوج ومأجوج عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤]، قال: "أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار عن حُذيفة قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة بأربعمائة أمة، لا يموت أحدهم حتّى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كل قد حمل السّلاح، قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز، قلت: وما الأرز؟ قال: شجر بالشّام طول الشّجرة عشرون ومائة ذراع في السّماء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هؤلاء الّذين لا يقوم لهم ولا حديد وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا

[١] ابن جرير الطبري، المصدر السابق، الجزء ١٦، ص ٤٣٩-٤٤٠.
[٢] ابن كثير الدمشقي، المصدر السابق، الجزء ٤، ص ٣٩٣.
[٣] المصدر السابق، الجزء ٤، ص ٣٩٢.

يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلّا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشّام وساقتهم يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية".[١]

وهذا الحديث قد نصّ الإمام السيوطي نفسُه على أنه موضوع في كتابه اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة.[٢]

[١] جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، المصدر السابق، الجزء ٥، ص ٤٥٧-٤٥٨.

[٢] جلال الدين السيوطي، **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م، الجزء ١، ص ١٥٩.

خاتمة

وبعد..

فهذا ما يسره الله تعالى من مباحث هذا العلم لأفقر عباده إلى فضله ورحمته، استعرضتُ من خلالها - على قدر الطاقة – مبادئ في علم التفسير، والشروط لمن تصدى للتفسير وتاريخ نشأة التفسير، ثم بينتُ مصادر التفسير والإجماع والاختلاف في التفسير، ثم تطرقت إلى اتجاهات التفسير ومناهجه وأساليبه بإبراز أهم المؤلفات والكتب التفسيرية التي تندرج تحتها، ثم تناولتُ كذلك أسانيد التفسير والنسخ التفسيرية لأهمية هذه المباحث، ثم بيّنتُ أهم القواعد في التفسير وكذلك أهم القواعد الترجيحية في التفسير، ووضعت في آخر المطاف الكلام حول الدخيل في كتب التفسير.

ومع هذا، فقد أردتُ ذلك كله مدخلا إلى آفاق في دراسة أصول التفسير ومناهجه أوسع وأشمل، تتناولها بالتفصيل وتذكر أمثلة أكثر لكل نوع من أنواع المباحث التي تطرقتُ إليها والتي تحتاج إلى بيان شامل وكاف. والمجال ما زال واسعا ومتسعا للدراسات والبحوث والتأليف.

وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك عملا خالصا لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عن تقصيري فيما قصرتُ فيه منه – وهو كثير – وأن ينفع به المسلمين، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات والديّ ومشايخي يوم لا ينفع مال ولا بنون، إنه سميع قريب.

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر المراجع

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، **مقدمة في أصول التفسير**، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠ م.

ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، القاهرة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

ابن حزم الأندلسي، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق : الدكتور محمود حامد عثمان، القاهرة، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.

ابن كثير الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، اختصار محمد علي الصابوني، جدة، مكتبة جدة.

ابن منظور، **لسان العرب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩ م.

أبو إسحاق الثعلبي، **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق : الأستاذ نظير الساعدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢، هـ-٢٠٠٢ م.

أبو إسحاق الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، شرح وتحقيق : الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

أبو الحسن علي الماوردي، **النكت والعيون**، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية.

أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.

أبو الفتح عثمان بن جني، **المحتَسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تحقيق : علي النجدي ناصف، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠٠٤م.

أبو القاسم الراغب الأصفهاني، **مقدمة جامع التفاسير**، تحقيق وتعليق : د. أحمد حسن فرحات، الكويت، دار الدعوة، ١٤٠٥.

أبو القاسم الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق بن عوض الله محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين.

أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، بيروت، دار الفكر.

أبو الليث السمرقندي، **بحر العلوم**، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، **مسند البزار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى.

أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠ هـ.

أبو عبد الرحمن النسائي، **السنن الصغرى**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية ، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م.

أبو عبد الله محمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٨م.

أبو عبيد، **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه**، تحقيق أحمد الخياطي، الرياض، مشروع وزارة الأوقاف، ١٤١٥هـ.

أبو عبيدة المثني، **مجاز القرآن**، تحقيق محمد فواد سزگين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨١هـ.

أبو علي الفضل الطبرسي، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، الجزء الرابع، ص ٣.

أبو عمر الشهرزوري، **مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق دكتور مصطفى الذهبي، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩٩م.

أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري، **تفسير التستري**، جمع: أبي بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

إحسان الأمين، منهج النقد في التفسير، بيروت، دار الهادي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.

أحمد سعد الخطيب، **مفاتيح التفسير**، الرياض، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

أحمد محمد الشرقاوي، **اختلاف المفسرين؛ أسبابه وضوابطه**، بحث محكم صالح للنشر، القاهرة، جامعة الأزهر، ٢٠٠٤م.

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.

بسيوني مصطفي الكومي، **مناهج المحدثين**، طنطا، جامعة الأزهر بطنطا، ٢٠٠١م.

جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، القاهرة، دار مصر للطباعة.

جلال الدين السيوطي، **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.

جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، بيروت، دار الفكر.

حسين بن علي الحربي، **مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين**، الدمام، دار ابن جوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ.

حكمت بشير ياسين، **كتب التراث بين الحوادث والانبعاث**، الدمام، دار ابن الجوزي.

خالد بن عثمان السبت، **قواعد التفسير؛ جمعا ودراسة**، الخبر العقربية، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

خالد عبد الرحمن العك، **أصول التفسير وقواعده**، بيروت، دار النفائس، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٧ م.

الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م.

الراغب الأصفهاني، **مقدمة جامع التفاسير**، الكويت، دار الدعوة.

رشاد حسن علي، **أباطيل يجب أن تمحى من التفسير**، سوهاج، كلية الدراسات الإسلامية للبنات، جامعة الأزهر بسوهاج.

صبحي صالح، **مباحث في علوم القرآن**، بيروت، دار العلم للملايين.

صلاح الدين يوسف شلبي، **محاضرات في مناهج المفسرين**، طنطا، جامعة الأزهر الشريف، ٢٠٠٠ م.

طنطاوي جوهري، **الجواهر في تفسير القرآن**، بيروت، دار الفكر.

عائشة بنت الشاطئ، **التفسير البياني للقرآن الكريم**، القاهرة، دار المعارف.

عبد الحق بن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق

عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.

عبد العال سالم مكرم، **القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية**، بيروت، مؤسسة الرسالة.

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، **التقرير في أسانيد التفسير**، دار المنهاج، الطبعة الأولى، ٢٠١١ م.

عبد العظيم الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، بيروت، دار المعرفة.

عبد الغفار عبد الرحيم، **الشيخ محمد عبده ومنهجه في التفسير**، القاهرة، دار الأنصار.

عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد المتعالي الجبري، **شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية**، القاهرة، دار الاعتصام.

علي حرب، **نقد النص**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.

الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥ م.

فضل الرحمن، **الإسلام وضرورة التحديث**، ترجمة إبراهيم العريس، بيروت، دار الساقي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣ م.

فهد بن عبد الرحمن الرومي، **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر**، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧ م.

محمد ابن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق : أحمد محمد شاكر، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠.

محمد أركون، **الفكر الإسلامي؛ قراءة علمية**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٦م.

محمد الأمين الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦ م.

محمد السيد جبريل، **مدخل إلى مناهج المفسرين**، القاهرة، الحرية للطباعة.

محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣ م.

محمد بن الفراء البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

محمد بن محمد أبو شهبة، **الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**، القاهرة، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨ هـ.

محمد جمال الدين القاسمي، **محاسن التأويل**، تحقيق محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلميه، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

محمد حسين الذهبي، **التفسير والمفسرون**، القاهرة، مكتبة وهبة.

محمد حسين الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٩٩١ م.

محمد صالح محمد سليمان، **اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق**، الرياض، دار ابن الجوزي.

محمد عبد العزيز الخضيري، **الإجماع في التفسير**، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤١٦ هـ.

محمد عبد المنعم القيعي، **الأصلان في علوم القرآن**، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الرابعة، ١٩٩٦م.

محمد عفيف الدين دمياطي، **موارد البيان في علوم القرآن**، سيدورجو، مكتبة لسان عربي، الطبعة الثالثة، ٢٠١٥ م.

محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل**، بيروت، دار الفكر.

محي الدين ابن عربي، **تفسير ابن عربي**، بيروت، دار صادر.

مساعد سليمان الطيار، **فصول في أصول التفسير**، الدمام، دار ابن جوزي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩ م.

مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

مصطفى كيحل، **الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون**، رسالة دكتوراه غير منشورة بقسم الفلسفة بكلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٨ م.

مصطفى مسلم، **مباحث في التفسير الموضوعي**، بيروت، دار القلم، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥ م.

مكي بن أبي طالب القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية،١٩٨١ م.

مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، سورابايا، مكتبة الهداية.

ناصر بن محمد عثمان المنيع، **معالم في أصول التفسير**، الرياض، دار الصميعي، ٢٠١٢ م.

نصر أبو زيد، **الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية**، القاهرة، مدبولي، ١٩٩٦ م.

نصر أبو زيد، **مفهوم النص؛ دراسة في علوم القرآن**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠ م.

وهبة الزحيلي، **الوجيز في أصول الفقه**، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

فهرس

مقدمة ..... ث

مبادئ في علم التفسير

معنى التفسير ١
فائدته ٣
موضوعه ومسائله ٣
غرضه ٣
شرفه وفضله ٣
حاجة القرآن إلى التفسير ٤
الفرق بين التفسير والتأويل ٥
أصول التفسير؛ معناها وموضوعها وغايتها وفائدتها ٦

شروط التفسير

معنى شروط التفسير ٨
شروط المفسر ٨
آداب المفسر ١٧

تاريخ التفسير

المرحلة الأولى : التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ١٩
المرحلة الثانية : التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم ٢٣
المرحلة الثالثة : التفسير في عهد التابعين رضي الله عنهم ٢٦
المرحلة الرابعة : التفسير في عصر التدوين ٢٩

مصادر التفسير

معنى المصادر ٣٢
المصدر الأول : القرآن الكريم ٣٣
المصدر الثاني : السنة النبوية ٣٥
المصدر الثالث : أقوال الصحابة رضي الله عنهم ٣٨
المصدر الرابع : أقوال التابعين ٤٤
المصدر الخامس : اللغة ٤٥
المصدر السادس : الرأي والاجتهاد ٤٧

الإجماع في التفسير

معنى الإجماع في التفسير ٥١
أقسام الإجماع ٥٢
فائدة الوقوف على إجماع المفسرين ٥٣
كيفية الوصول إلى إجماع المفسرين ٥٣
مدى الحاجة إلى معرفة إجماع المفسرين ٥٤
عناية المفسرين بالإجماع ٥٥
دواعي ذكر الإجماع عند المفسرين ٥٦
أسباب مخالفة المفسر للإجماع ٥٨

أمثلة من الإجماعات في كتب التفسير ٥٩

الاختلاف في التفسير

معنى الاختلاف في التفسير ٦٢
موقف المسلم من اختلاف المفسرين ٦٣
أنواع اختلاف التنوع ٦٤
أسباب اختلاف المفسرين ٦٥

الاتجاهات في التفسير

تمهيد في معنى الاتجاه والمنهج والأسلوب ٨٠
مفهوم الاتجاه في اللغة ٨٢
مفهوم الاتجاه في التفسير ٨٢
أنواع الاتجاهات في التفسير ٨٣
- الاتجاه الأول : الاتجاه الكلامي ٨٤
- الاتجاه الثاني : الاتجاه الفقهي ٨٩
- الاتجاه الثالث : الاتجاه اللغوي ٩٥
- الاتجاه الرابع : الاتجاه العلمي ٩٩
- الاتجاه الخامس : الاتجاه الفلسفي ١٠١
- الاتجاه السادس : الاتجاه الاجتماعي ١٠٣
- الاتجاه السابع : الاتجاه التربوي ١٠٥

مناهج التفسير

مفهوم مناهج التفسير ١٠٧
أقسام مناهج التفسير ١٠٨

القسم الأول : المناهج النقلية ١٠٩
- تعريف المنهج النقلي ١٠٩
- المنهج الأول : المنهج القرآني ١٠٩
- المنهج الثاني : المنهج البياني ١١٥
- المنهج الثالث : منهج القراءات المفسرة ١٢٠
- المنهج الرابع : المنهج الأثري ١٢٥
القسم الثاني : المناهج العقلية ١٣٤
- تعريف المنهج العقلي ١٣٤
- المنهج الأول : منهج التفسير الكلامي ١٣٤
- المنهج الثاني : منهج التفسير اللغوي ١٤٥
- المنهج الثالث : منهج التفسير الاجتماعي ١٤٩
- المنهج الرابع : منهج التفسير العلمي ١٥٣
- المنهج الخامس : منهج التفسير الباطني ١٥٩
- المنهج السادس : منهج التفسير الصوفي ١٦٢
- المنهج السابع : منهج التذوق الأدبي ١٦٩
المناهج الغربية ١٧٣
- المنهج الهرمنيوطيقي ١٧٤
- المنهج اللساني ١٨٠
- المنهج التاريخاني ١٨٤

أساليب التفسير

الأسلوب الأول : التفسير التحليلي ١٨٨
الأسلوب الثاني : التفسير الإجمالي ١٨٩
الأسلوب الثالث : التفسير المقارن ١٩٠

الأسلوب الرابع : التفسير الموضوعي ١٩٢
- نشأة التفسير الموضوعي ١٩٢
- أقسام التفسير الموضوعي ١٩٥
- فوائد التفسير الموضوعي ١٩٨

أسانيد التفسير

معنى أسانيد التفسير ١٩٩
تساهل السلف في روايات التفسير ١٩٩
أسباب التساهل في الرواية عن الضعفاء في التفسير ٢٠١
أنواع التفسير المسند ٢٠٢
- التفسير المرفوع ٢٠٢
- التفسير الموقوف ٢٠٣
- تفسير التابعين وأتباع التابعين ٢٠٨

نسخ التفسير

تعريف نسخ التفسير ٢١٥
طرق الوصول إلى النسخ التفسيرية ٢١٦
- الطريقة الأولى : البحث في كتب الإجازات والمسموعات ٢١٦
- الطريقة الثانية : البحث في الكتب الموجودة لمصنف التفسير المفقود ٢١٧
- الطريقة الثالثة : البحث في كتب التلاميذ و تلاميذ التلاميذ ومن بعدهم ٢١٨
- الطريقة الرابعة : البحث في الكتب الخاصة بفن التفسير ٢١٩
- الطريقة الخامسة : البحث في كتب التفسير، المتأخرة عنه ٢٢٠
- الطريقة السادسة : البحث في ترجمة مصنف التفسير المفقود
وتراجم رجال إسناده إذا أسند وترجم لرجاله ٢٢١

- الطريقة السابعة : البحث في كتب أهل بلد مؤلف التفسير المفقود
وكتب ذريته وأهل مذهبه ٢٢١
- الطريقة الثامنة : البحث في التفاسير المسندة المتأخرة عن التفسير المفقود .٢٢٢
فوائد معرفة النسخ التفسيرية ٢٢٣

قواعد التفسير

معنى قواعد التفسير ٢٢٤
أهمية معرفة قواعد التفسير ٢٢٥
استمداد قواعد التفسير ٢٢٦
أقسام قواعد التفسير ٢٢٦
- القسم الأول : القواعد المتعلقة بطرق التفسير ٢٢٦
- القسم الثاني : القواعد اللغوية ٢٢٨
- القسم الثالث : القواعد الأصولية ٢٣٢

القواعد الترجيحية في التفسير

معنى قواعد الترجيح ٢٣٦
بيان متى يكون الترجيح ٢٣٧
طرق المفسرين في عرض الأقوال المختلفة في التفسير ٢٣٩
النماذج من قواعد الترجيح في التفسير..... ٢٣٩
- الاعتبار الأول : قواعد الترجيح المتعلقة بالقراءات ورسم المصحف ٢٤٠
- الاعتبار الثاني : قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني ٢٤١
- الاعتبار الثالث : قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة النبوية ٢٤١
- الاعتبار الرابع : قواعد الترجيح المتعلقة بالآثار ٢٤٢
- الاعتبار الخامس : قواعد الترجيح المتعلقة بالقرائن ٢٤٣

- الاعتبار السادس : قواعد الترجيح المتعلقة باستعمال العرب
للألفاظ والمباني ٢٤٤
- الاعتبار السابع : قواعد الترجيح المتعلقة بمرجع الضمير ٢٤٦
- الاعتبار الثامن : قواعد الترجيح المتعلقة بالإعراب ٢٤٧

الدخيل في التفسير

تعريف الدخيل ٢٤٨
مصادر الدخيل ٢٤٩
خطورة الدخيل في التفسير ٢٤٩
أنواع الدخيل ٢٥٠
النوع الأول : الموضوعات ٢٥٠
- تعريف الموضوعات ٢٥٠
- أنواع الموضوعات ٢٥١
- أسباب انتشار الموضوعات ٢٥١
- النماذج من الوضع في التفسير ٢٥٢
النوع الثاني : الإسرائيليات ٢٥٦
- تعريف الإسرائيليات ٢٥٦
- أسباب انتشار الإسرائيليات ٢٥٦
- أقسام الإسرائيليات ٢٥٧
- القسم الأول : اعتبار السند ٢٥٧
أ – صحيح من حيث السند والمتن ٢٥٧
ب – ضعيف من حيث السند والمتن ٢٥٧
ج – الموضوع ٢٥٩

- القسم الثاني : اعتبار الموضوع ٢٦٠
أ – ما يتعلق بالعقائد ٢٦٠
ب – ما يتعلق بالأحكام ٢٦٠
ج – ما يتعلق بالمواعظ ٢٦١
- القسم الثالث : اعتبار الحكم ٢٦١
أ – جواز روايتها، وهي الموافقة لما في شريعتنا ٢٦١
ب – وجوب رفضها وعدم قبولها، وهي المخالفة لما في شريعتنا ٢٦٢
ج – التوقف في قبولها ورفضها، وهي المسكوت عنها في شريعتنا ٢٦٢
أقطاب الروايات الإسرائيلية ٢٦٣
النماذج من الدخيل في كتب التفسير ٢٦٤

خاتمة ٢٧١
قائمة المصادر والمراجع ٢٧٣
فهرس ٢٨٠
المؤلف في سطور ٢٨٨

المؤلف في سطور :

- محمد عفيف الدين بن أحمد دمياطي بن محمد رملي
- ولد في مدينة جومبانج بإندونيسيا (١٩٧٩ م)
- حصل على :
  - شهادة الابتدائية الإسلامية (جومبانج) ١٩٩١ م،
  - شهادة الإعدادية الإسلامية (جومبانج) ١٩٩٤ م،
  - شهادة الثانوية الإسلامية (جمبر) ١٩٩٧ م،
  - والليسانس في التفسيروعلوم القرآن بكلية أصول الدين– جامعة الأزهر بمصر– ٢٠٠٢ م،
  - ودرجة التخصص (الماجستير) في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها– معهد الخرطوم الدولي للغة العربية بالسودان– ٢٠٠٤ م،
  - والدرجة العالمية (الدكتوراه) في المنهج وطرق التدريس – جامعة النيلين بالسودان- ٢٠٠٧ م.
- تعلم القرآن بمعهد سونن فانداناران الإسلامي لتحفيظ القرآن بسليْمان يوكياكرتا ١٩٩٧-١٩٩٨.
- عمل مشرفا على بعثة جاوى الشرقية لمسابقة تلاوة القرآن الوطنية - قسم تفسير القرآن باللغة العربية.
- يعمل الآن مدرِّسا للغة العربية واللسانيات الحديثة وطرائق تدريس اللغة العربية بكلية التربية وكلية الدراسات العليا- جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية بسورابايا-UINSA .

- يعمل أيضا مدرسا لعلوم القرآن ومناهج التفسير بكلية الدراسات العليا – الجامعة الإسلامية الحكومية تولونج أجونج IAIN Tulung Agung.
- يعمل أيضا مديرا ومدرسا بمعهد دار العلوم الإسلامي، فتيرونجان جومبانج جاوى الشرقية PP. Darul Ulum Peterongan Jombang .
- له عديد من المؤلفات باللغة العربية منها :

١ – مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي.
٢ – موارد البيان في علوم القرآن.
٣ – صفاء اللسان في إعراب القرآن؛ سورة الفاتحة والسجدة والإنسان.
٤ – مجمع البحرين في أحاديث التفسير من الصحيحين.
٥ – علم التفسير؛ أصوله ومناهجه.
٦ – إرشاد الدارسين إلى إجماع المفسرين.
٧ – الشامل في بلاغة القرآن (ثلاثة مجلدات).
٨ – جمع العبير في كتب التفسير (مجلدان)